

# كتاب الأمان

لأنبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور احسان عباس

الدكتور ابراهيم السعافين      الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني والعشرون

دار طائر

بيروت

# کتابُ الْإِعْزَازِ

22



جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

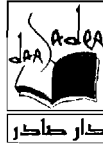
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أنسطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25  
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

## [ 460 ] - أخبار خالد بن عبد الله

[نسبه]

هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب ، وشق بن صعب هذا هو الكاهن المشهور ، بن يشكر بن رهم بن أقول ، وهو سعد الصبح ، بن زيد بن قسر بن عبق بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث بن القرز ، ويقال : القرز بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

فأما غلبة بجيلة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلة ليست برجل ، إنما هي امرأة قد اختلف في نسبها ، فقال ابن الكلبي : يقال لها بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، تزوجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ووداعة وصهيبة وجذيمة وأشهل وشهلاء وطريقاً والحارث ومالكاً وفهماً وشيبة . قال ابن الكلبي : ويقال : إن بجيلة امرأة حبشية كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً غير خثعم ، فإنه انفرد ، فصار قبيلة على حديثه ، ولم تحضنه بجيلة ، واحتج من قال هذا القول بقول شاعرهم :

وما قرئت بجيلة منك دوني      بشيء غير ما دُعيت بجيلة  
وما للغوث عندك أن نسينا      علينا في القرابة من فضيلة<sup>1</sup>  
ولكنّا وإياكم كثرنا      فصيرنا في المحل على جديلة

جديلة ها هنا موضع لا قبيلة ، وهم أهل بيت شرف في بجيلة ، لولا ما يقال في عبد الله بن أسد ؛ فإن أصحاب المثلث ينفونه عن أبيه ، ويقولون فيه أقوالاً أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا ، إن شاء الله ، وعلى ما قيل فيه أيضاً ؛ فقد كان له ولابنه خالد سودد وشرف وجود .

[جده كرز]

وكان يقال لكُرز كُرز الأئنة ، وإياه عنى قيس بن الخطيم بقوله ، لما خرج يطلب النصر على الخزرج :

فإن تنزل بذئ النجدات كُرز      تلاقٍ لديه شرباً غير نزر

له سَجْلَانِ سَجْلٌ من صريحٍ وسجلٌ رثيئةٌ بعتيق خمر<sup>1</sup>  
ويمنعُ من أراد ولا يُعايا مَقَاماً في المحلة وسطَ قسر<sup>2</sup>

[جده أسد بن كرز]

وكان أسدُ بن كُرْزٍ يُدْعَى في الجاهلية رَبَّ بجيلة ، وكان من حَرَمِ الخمر في جاهليته  
تنزّها عنها ، وله يقول القتال السُّحْمِيّ :

[من الوافر]

فأبلغ ربنا أسدَ بن كُرْزٍ بأنّ النَّأْيَ لم يكُ عن تقالي

[من الوافر]

وله يقول القتال يعتذر :

فأبلغ ربنا أسدَ بن كُرْزٍ بأنّي قد ضلّلت وما اهتديتُ

[من الطويل]

وله يقول تأبّط شرّاً :

وجدتُ ابنَ كُرْزٍ تستهلُّ يمينه ويُطلق أغلالَ الأسير المكبّل<sup>3</sup>

[جده أسد وبنو سحمة]

وكان قوم من سُحْمَةِ عرضوا لجار لأسد بن كرز ، فأطردوا إبلاً له ، فأوقع بهم أسد  
وقعة عظيمة في الجاهلية ، وتبعهم حتى عاذوا به ، فقال القتال فيه عدة قصائد يعتذر إليه  
لقومه ، ويستقبله فعلهم<sup>4</sup> بجاره ، ولم أذكرها ههنا لطولها ، وأنّ ذلك ليس من الغرض  
المطلوب في هذا الكتاب ، وإنما نذكرها هنا لمعاً<sup>5</sup> وسائرُه مذكور في جمهرة أنساب العرب  
الذي جمعت فيه أنسابها وأخبارها ، وسَمَّيته كتاب التعديل والانتصاف . ولبني سُحْمَةِ  
يقول أسد بن كرز في هذه القصة ، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً :

[من الطويل]

ألا أبلغا أبناء سُحْمَةَ كلّها بني خثعمٍ عني وذلٌّ لخثعمٍ  
فما أنتم منّي ولا أنا منكم فراش حريقِ العرفجِ المتضرّم<sup>6</sup>

1 سجلان : مثني سجل ، وهو الدلو العظيمة . صريح : لبن صريح . الرثيئة : اللبن المحلوب على حامض ، وفي رواية أخرى الرييلة : الخفض والنعمة .

2 لا يعايا : من المعاياة بمعنى لا يضار . قسر : بطن من بجيلة .

3 تستهلُّ يمينه : تجود .

4 يستقبله فعلهم : يطلب إليه إقالتهم من عقوبة ذنبهم .

5 لمعاً : جمع لمعة : بلغة من العيش .

6 العرفج : شجر يتخذ منه الوقود .

فلمستُ كمن تُزري المقالةَ عرضَه  
وما جأرُ بيتي بالذليل فُتْرَتَجى  
وأقْزَلُ آبائي وقسرُ عَمَارَتِي  
وأحمسُ يوماً إن دعوتُ أجابني  
فمن جأر مَوْلى يدفعُ الضيمَ جأرُه  
وكيف يخافُ الضيمَ من كان جاره  
دنياً كعودِ الدوحةِ المترنم<sup>1</sup>  
ظلامتُه يوماً ولا المنهضم  
هما ردياني عزتي وتكرمي  
عرانينُ منهم أهل أيدٍ وأنعم  
مع الشمس ما إن استطاع بسلم  
إذا ضاع جاري يا أميمة أو دمي

وهي قصيدة طويلة .

ولأسد أشعار كثيرة ذكرتُ هذه منها ها هنا لأن تعلم إعرافهم في العلم والشعر ،  
وسائرُها يُذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل ، إن شاء الله تعالى .

[إسلام جده أسد وابنه يزيد]

وأدرك أسدُ بنُ كُرْزٍ الإسلامَ هو وابنه يزيد بنُ أسد ، فأسلما ، فأما أسدٌ فلا أعلمه رَوَى  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله رواية كثيرة ، بل ما روى شيئاً .

وأما يزيد ابنه فروى عنه رواية يسيرة ، وذكر جريرُ بن عبد الله خبرَ إسلامه ، حدث  
بذلك عنه خالدُ بن يزيدَ عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن  
عبد الله ، قال : أسلم أسدُ بن كرز ، ومعه رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبي ﷺ قوساً ،  
فقال له : يا أسد ، من أين لك هذه النُّبْعَةُ ؟ فقال : يا رسول الله تنبْتُ بجبلنا بالسراة ،  
فقال الثَّقَفِيُّ : يا رسول الله ، الجبلُ لنا أم لهم ؟ قال : بل الجبلُ جبل قسِرٍ ، به سمي أبوهم  
قسِرٌ عبقر . فقال أسد : يا رسول الله ، اذْعُ لي . فقال : اللهم اجعل نصرك ونصر دينك  
في عقب أسد بن كُرْزٍ . وما أدري ما أقول في هذا الحديث ، وأكره أن أكذب بما رَوَى  
عن رسول الله ﷺ ، ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه لو كان رسول الله ﷺ دعا له بهذا  
الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفين على عليٍّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله  
عليه . ولا كان ابن ابنه خالدٌ يلعبه ، على المنبر . ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع  
أخباره ، قبحه الله ولعنه ، إلا أنني أذكر الشيء كما رَوَى ، ومن قال على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وآله ما لم يَقُلْ فقد تبوأ مقعده من النار . كما وعده عليه السلام .

[منافرة بين جده جرير وقضاة]

وكان جريرُ بن عبد الله نافرَ قضاة ، فبلغ ذلك أسدَ بن عبد الله ، وكان بينه وبينه ، أعني

جريراً ، تباعدٌ ، فأقبل في فوارسَ من قومه ناصراً لجريير ومعاوناً له ومنجداً ، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه ، فرآه جريير ، ورأى أصحابه في السلاح ارتاع ، وخافه ، فقيل له : هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك ، فقال جريير : ليت لي بكل بلد ابن عمٍّ عاقاً مثلَ أسد ، فقال جعدة بن عبد الله الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد : [من الطويل]

تدارك رَكْضُ المرء من آل عبقر      جريراً وقد رانت عليه حلائبه  
فنفَسَ واسترخى به العَقْدُ بعد ما      تغشاه يوم لا تَوَارى كواكبه<sup>1</sup>  
وقاك ابن كُرْزٍ ذو الفَعَالِ بنفسه      وما كنتَ وَصَلاً له إذ تحاربُه  
إلى أسدٍ يأوي الذليلُ بيته      ويلجأ إذ أعيت عليه مذهبُه  
فتى لا يزال الدهرَ يحمل مُعْظِماً      إذا المجتدى المسؤول ضنَّت رواجه<sup>2</sup>

وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدمه مع أبيه على النبي ﷺ ، وقد روى عنه أيضاً حديثاً ذكره هُشَيْمُ بن بشر الواسطي عن سنان بن أبي الحكم قال : سمعتُ خالد بن عبد الله القسري ، وهو على المنبر يقول : حدثني أبي عن جدِّي يزيد بن أسد ، قال : قال رسول الله ﷺ : يا يزيد ، أحبِّ للناس ما تُحِبُّ لنفسك . وخرج يزيد بن أسد في أيام عمر بن الخطاب في بعوث المسلمين إلى الشام ، فكان بها ، وكان مطاعاً في اليمن عَظِيمُ الشأن . [جده ينتصر لعثمان]

ولما كتب عثمان إلى معاوية حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام ، فوجد عثمان قد قُتِل . [خطبة جده يزيد في صفين]

فانصرف إلى معاوية ، ولم يُحْدِثْ شيئاً ، ولما كان يوم صفين قام في الناس فخطب خطبةً مذكورة ، حرضهم فيها . فذكر من روى عنه خبره في ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامة خَزَّ سوداء ، وهو متكئٌ على قائم سيفه ، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ : وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض ، والله يعلم أنني كنت لذلك كارها ، ولكنهم لم يُبْلِعُونَا ريقنا ، ولم يدعونا نرتاد لديننا وننظر لمعادنا ، حتى نزلوا في حريمنا ويضتنا<sup>3</sup> . وقد علمنا أن بالقوم حلماء وطغماً . فلنسنا نأمن طغامهم على

1 نَفَسَ : تنفَسَ .

2 الرواجب : أصول الأصابع . معظماً : عظيماً من الأعطية والدييات . ضنت رواجه : بخلت يده .

3 البيضة : الحوزة والحمى .



ذرائنا ونسائنا ، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهل ديننا ، فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالنا حاميةً ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، والذي بعث محمداً بالحق لو ددت أني مت قبل هذا ، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمراً لم يستطع العباد رده ، فنستعين بالله العظيم ، ثم انكفأ .

[خمول أبيه عبد الله]

ولم تكن لعبد الله بن يزيد نباهةً من ذكرت من آبائه ، وأهل المثل يقولون : إنه دعني ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيام خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قُتل عمرو هرب حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمّن من الناس عام الجماعة ، فأمنه .

[تخنته في حدائنه]

ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة ، وكان في حدائنه يتخنث ، ويتبع المغنين والمخنثين ويمشي بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء في رسائلهن إليه وفي رسائلهن إليهن ، وكان يقال له خالد الخريت<sup>1</sup> فقال مصعب الزبيري : كل ما ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره ، فقال : أرسلت الخريت أو قال : أرسلت الجري<sup>2</sup> فإنما يعني خالداً القسري ، وكان يترسل بينه وبين النساء .

[يظلل ابن أبي ربيعة وعشيقته]

أخبرني بذلك الحرمي ومحمد بن مزيد وغيرهما ، عن الزبير ، عن عمه ، وأخبرني عمي : قال : حدثني الكراني ؛ عن العمري ، عن الهيثم بن عدي ، قال : بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي ومعه خالد بن عبد الله القسري ، وهو خالد الخزاعي الذي يذكره في شعره إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبب بهما ، وهما يتماشيان فقصداهما ، وجلسا معهما ملياً ، فأخذتهم السماء ، ومطّروا ، فقام خالد وجاريتان للمراتين ، فظللوا عليهم بمطرقة<sup>3</sup> وبردين له ، حتى كف المطر وتفرقوا ، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة :

أفي رسم دارٍ دمُعكَ المترقُ      سفاهاً وما استنطاق ما ليس ينطق ؟  
بحيثُ التقى جمعٌ ومُفضى مُحسّرٍ      معالمٌ قد كادت على الدهر تخلُق<sup>4</sup>

1 الخريت : الدليل الماهر في أمر الدلالة .

2 الجري : الرسول ، أو الوكيل .

3 المطرقة : رداء من خز مربع فيه أعلام .

4 محسر : اسم مكان .

ذكرتُ بها ما قد مضى من زماننا      وذكرك رسم الدار ممّا يشوقُ  
مُقاما لنا عند العشاء ومُجلّسا      لنا لم يكدره علينا مُعوقُ  
وممشى فتاة بالكساء يَكْنُها      به تحت عين برفها يتألقُ  
يُلُّ أعالي الثوب قطرٌ وتحتَه      شعاعُ بدا يُعشي العيونَ ويُشرقُ  
فأحسنُ شيء بدء أول ليلةٍ      وآخرها حُزنٌ إذا تَنَفَّرُ

الغناء في هذه الأبيات لمبعد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي ، وذكر الهشامي أنه منحول .

[خالد وابن أبي عتيق يستجزان ابن أبي ربيعة وعده]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو العباس المروزيّ ، قال : حدثنا ابن عائشة قال : حضر ابن أبي عتيق عُمر بن أبي ربيعة يوماً وهو ينشد قوله : [من الطويل]

ومن كان محروباً لإهراق دَمعة      وهى غربها فليأتنا نَبْكُه غدا<sup>1</sup>  
نُعيه على الإثكال إن كان ثاكلاً      وإن كان محزوناً وإن كان مُقصدًا<sup>2</sup>

قال : فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخريّت ، وقال : قم بنا إلى عمر ، فمضيا إليه ، فقال له ابن أبي عتيق : قد جئنا لموعدك ، قال : وأي موعد بيننا ؟ قال : قولك . فليأتنا نَبْكُه غدا .

قد جئناك لموعدك ، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك ، أو ننصرف على أنّك غير صادق ، ثم مضى وتركه .

قال ابن عائشة : خالد الخريت هو خالد القسري .

[يجمع بين ابن أبي ربيعة ومعشوقاته]

أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم : قال : حدثنا أبو هفان عن إسحاق ، وأخبرنا محمد بن مزيد ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الحزامي والمثنى ومحمد بن سلام ، قالوا : خرجت هند والرباب إلى متنزّه لهما بالعقيق في نسوة فجلستا هناك تتحدثان ملياً ، ثم أقبل إليهما خالد القسريّ ، وهو يومئذ غلام مؤنث ، يصحب المغنّين والمختنين ، ويترسل بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء . فجلس إليهما . فذكرتا عمر بن أبي ربيعة ، وتشوقاه ، فقالتا لخالد : يا خريّت ، وكان يعرف بذلك ، لك عندنا حُكْمُك إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم

1 الغرب : مسيل الدمع من العيون .

2 المقصد : من أقصد فلان فلاناً : طعنه فلم يخطيء مقاتله .

أنا بعثنا بك إليه ، فقال : أفعل فكيف تريان أن أقول له ؟ قالتا : تؤذنه<sup>1</sup> بنا ، وتعلمه أنا خرجنا في سر منه ، ومرة أن يتنكر ، ولبس لبسة الأعراب ، ليرانا في أحسن صورة ، ونراه في أسوأ حال ، فتمزح بذلك معه ، فجاء خالد إلى عمر ، فقال له : هل لك في هند والرباب وصواحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حال حذر منك وكيماي لك أمرهما ؟ قال : والله إني إلى لقائهن لمشتاق ، قال : فتنكر ، والبس لبسة الأعراب ، وهلم نمض إليهن ، ففعل ذلك عمر ، ولبس ثياباً جافيةً ، وتعمم عمّة الأعراب ، وركب قعوداً له على رحل غير جيد ، وصار إليهن ، فوقف منهن قريباً ، وسلم ، فعرفنه ، فقلن : هلم إلينا يا أعرابي ، فجاءهن ، وأناخ قعوده ، وجعل يحدثهن ، وينشدهن ، فقلن له : يا أعرابي : ما أظرفك ، وأحسن إنشادك ! فما جاء بك إلى هذه الناحية ؟ قال : جئت أنشد ضالّة لي ، فقالت له هند : انزل إلينا ، واحسّر عما منك عن وجهك ، فقد عرفنا ضالتك ، وأنت الآن تُقدّر أنك قد احتلت علينا ، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد الخريّت ، حتى قال لك ما قال ، فجئتنا على أسوأ حالاتك ، وأقبح ملابسك ، فضحك عمر ، ونزل إليهن ، فتحدّث معهن ، حتى أمسوا ، ثم إنهم تفرقوا ، ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة :

### صوت

ألم تعرفِ الأطلالَ والمترّيعا      بيطن حليّات دوارسَ بلقعا<sup>2</sup>  
إلى السّرح من وادي المغمّسِ بُلّكت      معالمة وبلا ونكباء زعزعا<sup>3</sup>  
فَيُخَلَنَ أو يُخبرن بالعلم بعد ما      نكأن فؤادا كان قدماً مفجعاً  
لهندٍ وأترابٍ لهند إذ الهوى      جميع وإذا لم نخش أن يتصدعا  
في هذه الأبيات ثقیل أول لمبعد :

تبألهنّ بالعرفان لما رأييني      وقُلن امرؤ باغٍ أكلٌ وأوضعا<sup>4</sup>  
وقربن أسبابَ الهوى لمتيمٍ      يقيس ذراعاً كلّما قسنَ إصبعا

[جده كان عبداً أبقاً]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، وذكر مثل

1 تؤذنه : تعلمه .

2 حليات : جمع حلية ، وهو نبت سبط من أجود المراعي .

3 المغمّس : مكان النكباء . الزعزع : الريح العاتية .

4 أكل : أهرق دابته . أوضع : أسرع بدابته حتى أنهكها .

ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى : أن كُرَزَ بن عامر جدَّ خالد بن عبد الله عبدٌ كان أبقاً عن مواليه عبد القيس من هَجَر ، ويقال : إن أصله من يهود تيماء ، وكان أبق ، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمجمة بن شق الكاهن ، ثم وهبوه لقوم من بني طهية ، فكان عندهم حتى أدرك ، وهرب ، فأخذته بنو أسد بن خزيمة ، فكان فيهم ، وتزوج مولاة لهم يقال لها زَرْنب ، ويقال : إنها كانت بغيّاً ، فأصابها ، فولدت له أسد بن كُرَز ، سماه باسم أسد بن خزيمة لِرَقَّة كانت فيهم ، ثم أعتقوه ، ثم إن نفرًا من أهل هجر مرّوا به ، فعرفوه ، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه ، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يزل فيهم ، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف ، فلما رأى دار بجيلة أعجبه ، فاشترى نفسه وابنه ، فجاء ، فنزل فيهم ، فأقام مدة ، ثم ادعى إليهم وعاونوه على ذلك حيّ من أحمرس يقال لهم : بنو مُنبّة ، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة ، سُمّي بذلك لأن عينه أُصيب . فكان يغطيها بخرقه ، وهو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شق ، فنزل كرز في بني سُحمة هارياً من ذي الرقعة ، ثم وثب على ابن عم للقتال بن مالك السُّحميّ فقتله ، وهرب إلى البحرين مع التجار ، فأقام مدة ، ثم مات ، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدعى في بجيلة ، ولا تُلحقه إلى أن مات ، ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد ، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري ، وكتب له ، وكان كاتباً مُفوّهاً ، وذلك في إمارة عثمان بن عفان .

[أبو خطيب الشيطان]

فنال حظاً وشرفاً ، وكان يقال له : خطيب الشيطان ، ووسم خيله : القسريّ ، ثم تدسّسَ ليملك خيلاً في بلاد قسر ، فمُنعت به بجيلة ذلك أشدّ المنع ، فلم يقدر عليه ، حتى عظم أمره ، ونشأ ابنه خالد ، ومات هو ، فكان خالد في مرتبته ، ثم ولي العراق ، وقال قيس بن القتال له في هذا المعنى :

ومن سَمَّاكَ باسمك يا ابن كرز ؟ وأين المولد المعروف تدري ؟

وقال بُجير بن ربيعة السُّحميّ :

[من الطويل]

نفته من الشَّعْبين قسر بعزّها إلى دار عبد القيس نفّي المزنم<sup>1</sup>

[ين أبيه وأبي موسى بن نصير]

قال أبو عبيدة : وكان بين عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبي موسى بن نصير كلام عند عبد الملك بن مروان . فقال له عبد الله : إنما أنت عبد لعبد القيس ، فقال :

1 المزنم : الدّعي في قوم ليس منهم .

اسكت ، فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك ، فقال له عبد الله : أنا ابن أسد بن كرز ، نحن الذين نضمّن الشَّهر ، ونطعم الدهر ، فقال له : تلك قَسْرٌ ، ولستَ منهم ، وإنما أنت عبدٌ أبقي ، قد كنتُ أراك تروم مثل ذلك ، فلا تقدر عليه ، ثم نفاه جرير بن عبد الله إلى الشام ، فأقام بها مدة ، ثم مضى إلى حبيب ، فقال له : دع ذكر البحرين لفرارك ، أترك منهم وأنت عبْدٌ ، وأهلك من يهود تيماء فأسكتهما عبد الملك ، ولم يسره ما قال عبد الله لأبي موسى بن نصير ، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله ، فقال في ذلك أبو موسى بن نصير :

جارية غير سَؤومٍ في مطاولة      يا ابنَ الوشائط من أبناء ذي هجر<sup>1</sup>  
لا من نزارٍ ولا قحطان تعرفكم      سوى عبيدٍ لعبد القيس أو مضر

[الكذب متوارث في أسرته]

وقال أبو عبيدة : فأخبرني عبد الله بن عمر بن زيد الحكمي قال : كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان ، وكان أكذب الناس في كل شيء معروفاً بذلك ، ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك منهجَه في الكذب ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسة وسخاء كانا فيه سترتا ذلك من أمره .

قال عُمر بن زيد : فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بخير المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة ، فجعل يأتي بأحاديث أنكرها ، فقلت له : من أنت يا ابن أخي ؟ قال إسماعيل بن عبد الله بن يزيد القسري . فقلت : يا ابن أخي . لقد أنكرتُ ما جرى حتى عرفتُ نسبك فجعل يضحك .

[يطلب على المنبر أن يطعموه ماء]

أخبرني اليزيدي ، عن سليمان بن أبي شيخ ، عن محمد بن الحكم ، وذكره أبو عبيدة ، واللفظ له ، قال : كان خالد بن عبد الله من أجبن الناس ، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر ، فدهش وتحير ، فقال : أطعموني ماء ، فقال الكميتُ في ذلك ، ومدح يوسف بن عمر :

خرجتَ لهم تمشي البراح ولم تكن      كمن حصنه فيه الرّجاجُ المضَيَّب<sup>2</sup>

الوشائط

1 الوشائط : الدّخلاء . ينتمون إلى قوم ليسوا منهم .

2 البراح : البين الواضح . والرّجاج المضرب : غلق الباب المصنوع من الحديد .

وما خالدٌ يستطعم الماءَ فاعراً      بعدلِكَ والداعي إلى الموتِ ينعبُ<sup>1</sup>

[أولى كذبات ابن الكلبي]

وقال ابن الكلبي : أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كُرز ، وكانت أمةً بغيًّا لبني أسد يقال لها : زرنب . فقلت له : هي زينب بنت عرعر بن جذيمة بن نصر بن قعين ، فسُرَّ بذلك ، ووصلني .

[بنو أسد ينكرونه]

قال : قال خالد ذات يوم لحمد بن منظور الأسدي : يا أبا الصباح ، قد ولدتمونا ، فقال : ما أعرف فينا ولادة لكم ، وإن هذا لكذب . فقليل له : لو أقررت للأمير بولادة ما ضرَّك ، قال : أفسدُ وأستنبط ما ليس مني ، وأقرَّ بالكذب على قومي ؟ فأمر خالدٌ خِدَاشاً الكنديَّ ، وكان عاملاً ، بضرب مولَى لعباد بن إياس الأسدي ، فقتله ، فرفع إلى خالد ، فلم يُقِده ، فوثب عبَّادٌ على خِدَاش فقتله ، وقال :

[من الطويل]

لعمري لئن جارت قضيةُ خالدٍ      عن القصد ما جارت سيوفُ بني نصر

[يتناول على السماء]

فأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، عن سحيم بن حصين قال : قتل خِدَاش الكنديّ رجلاً من بني أسد ، وكان الكنديّ عاملاً لخالد القسري ، فطُوب بالقَوْد ، وهو على ذَهْلِكَ<sup>2</sup> فقال : والله لئن أقدتُ من عاملي لأقيدن من نفسي ، ولئن أقدتُ من نفسي ليقيدن أمير المؤمنين من نفسه ، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه ، ليقيدن رسول الله ﷺ من نفسه ، ولئن أقاد رسول الله ﷺ من نفسه هاهُ هاهُ ! يعرضُ بالله عز وجل ، لعنة الله على خالد .

[أمة نصرانية]

أخبرني الحسن : قال : حدثنا الخراز ، عن المدائني ، عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبي اليقظان ، قالوا : كانت أم خالد رومية نصرانية ، فبنى لها كَنِيسَةً في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضربَ لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقرائتهم .

[أعشى همدان يفحش في هجائه]

فقال أعشى همدان يهجوهُ ، ويعيِّره بأمه ، وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك

1 العِدَل : المعادل .

2 الدهلك : جزيرة بين اليمن وأرض الحبشة ، أو واحد الدهالك : آكام سوداء معروفة بجزيرة العرب .

الوقت قالوا ابن البظراء ، فأنف من ذلك ، فيقال : إنه ختن أمه وهي كارهة ، فعيره الأعشى بذلك حين يقول :

لعمرك ما أدري وإني لسائلٌ      أبظراء أم مختونة أم خالد  
فإن كانت الموسيقى جرت فوق بظرها      فما خُتنت إلا ومَصَّانُ قاعد<sup>1</sup>  
يرى سواة من حيث أطلع رأسه      تمر عليها مرهفات الحدائد

وقال أيضاً فيه ، يرميه باللواط :

ألم ترَ خالداً يختارُ ميماً      ويترك في النكاح مَشَقَّ صادٍ  
ويُبغض كلَّ أنسةٍ لعوبٍ      وينكح كلَّ عبدٍ مستقادٍ<sup>2</sup>  
ألا لعن الإله بني كُرَيزٍ      فكرز من خنازير السواد<sup>3</sup>

[يكره مضر ، ويسب علي بن أبي طالب]

قال المدائني في خبره : وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال : قال لي خالد بن عبد الله القسري : اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياماً ، ثم أتته . فقال : ما صنعت ؟ فقلت : بدأت بنسب مضر وما أتممته . فقال : اقطعه ، قطعه الله مع أصولهم ، واكتب لي السيرة ، فقلت له : فإنه يمرّ بي الشيء من سير علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، فأذكره ، فقال : لا ، إلا أن تراه في قعر الجحيم . لعن الله خالداً ومن ولّاه ، وقبحهم ، وصلوات الله على أمير المؤمنين .

[من مظاهر زندقته]

وقال أبو عبيدة : حدثني أبو الهذيل العلاف ، قال : صعد خالد القسري المنبر ، فقال : إلى كم يغلب باطلنا حقكم ، أما آن لربكم أن يغضب لكم ؟ وكان زنديقاً ، أمه نصرانية ، فكان يولي النصارى والمجوس على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم ، وكان أهل الذمة يشترون الجوارى المسلمات ويظنونهن ، فيطلق لهم ذلك ، ولا يُغيّر عليهم .

وقال المدائني : كان خالد يقول : لو أمرني أمير المؤمنين نقضت الكعبة حجراً حجراً ، ونقلتها إلى الشام .

قال : ودخل عليه فراس بن جعدة بن هبيرة وبين يديه نبق ، فقال له : العن علي بن أبي

1 مصّان : أي ماص بظر أمه .

2 مستقاد : تابع مقود .

3 كُرَيز : تصغير كرز جد خالد . والسواد : اسم يطلق على العراق .

طالب ولك بكل نبقة دينار فاعطاه بكل نبقة ديناراً .

قال المدائني : وكان له عامل يقال له : خالد بن أمي . وكان يقول : والله لخالد ابن أمي أفضل أمانة من علي بن أبي طالب صلوات الله عليه .

وقال له يوماً : أيما أعظم ركيثنا<sup>1</sup> أم زمزم ؟ فقال له : أيها الأمير : من يجعل الماء العذب النقاخ<sup>2</sup> مثل الملح الأجاج ؟ وكان يسمى زمزم أم الجعلان<sup>3</sup> .  
[بينه وبين الفرزدق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : أتى الفرزدق خالد بن عبد الله القسري ، يستحمّله في ديات حمّله ، فقال له : إيه يا فرزدق ، كأني بك قد قلت : آتي الحائك بن الحائك ، فأخذه عن ماله إن أعطاني ، أو أذمه إن منعني . فأتا حائك ابن حائك . ولست أعطيك شيئاً . فاذممني كيف شئت ، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها :

ليتني من بجيله اللوم حتى يُعزلَ العاملُ الذي بالعراق  
فإذا عامل العراقي ولّى عدت في أسرة الكرام العتاق

قال : وإنما أراد خالد بقوله : الحائك بن الحائك تصحيح نسبه في اليمن ، والانتفاء من العبودية لأهل هجر .

[يتناول على الخليفة وابنه فيعزله]

وكان خالد شديد العصبية على مضر . وبلغ هشاماً أنه قال : ما ابني يزيد بن خالد بدون مسلمة بن هشام ، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق .  
[يتناول على مقام النبوة]

قال : وخطب بمكة وقد أخذ بعض التابعين ، فحبسه في دور آل الحضرمي ، فأعظم الناس ذلك وأنكروه ، فقال : قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدو أمير المؤمنين ومن حاربه ، والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتها ، والله لأمرير المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه عليهم السلام ، ولعن الله تعالى خالداً وأخزاه .

أخبرني أبو عبيدة الصيرفي ، قال : حدثنا الفضل بن الحسن المصري ، قال : حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني عبيد الله بن حباب ، قال : حدثني عطاء بن مسلم قال : قال

1 الركية : البثر غير مطوية .

2 النقاخ : الماء العذب الصافي المورّد .

3 الجعلان : جمع جعل .



خالد بن عبد الله ، وذكر النبي ﷺ ، فقال : أيما أكرم عندكم على الرجل : رسوله في حاجته أو خليفته في أهله ؟ يُعرض بأن هشاماً خيراً من النبي ﷺ .

[يوازن بين إبراهيم الخليل والخليفة]

قال أبو عبيدة : خطب خالد يوماً ، فقال : إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء ، فسقاه الله ملحاً أجاجاً ، وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماء فسقاه الله عذبا نقاحاً ، وكان الوليد حفر بئراً بين ثنية ذي طوى وثنية الحجون ، فكان خالد ينقل ماءها ، فيوضع في حوض إلى جنب زمزم . ليرى الناس فضلها . قال : فغارت تلك البئر ، فلا يُدري أين هي إلى اليوم ؟

[ينال من علي بن أبي طالب]

أخبرني أبو الحسن الأسدي : قال حدثنا العباس بن ميمون طابع ، عن ابن عائشة ، قال : كان خالد بن عبد الله زنديقاً ، وكانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه فرأى يوماً عكرمة ، مولى ابن عباس ، وعلى رأسه عمامة سوداء ، فقال : إنه بلغني أن هذا العبد يشبه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه ، وإني لأرجو أن يسود الله وجهه كما سود وجه ذاك .

قال : حدثني مَنْ سمعه ، وقد لعن علياً ، صلوات الله عليه وسلامه ، فقال في ذكره : علي بن أبي طالب بن عم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وزوج ابنته فاطمة ، وأبو الحسن والحسين ، هل كنيت . اللهم ألعن خالداً واخزّه ، وجدّد على روحه العذاب .

[إسماعيل بن خالد يسب بني أمية في مجلس السفاح]

وقال أبو عبيدة : ذكر إسماعيل بن خالد بن عبد الله القسريّ بني أمية عند أبي العباس السفاح في دولة بني هاشم ، فذمهم وسبهم ، وقال له حمّاس الشاعر مولى عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين : أيسب بني عمك وعمّالهم وعماتك رجل اجتمع هو والخزيت في نسب ؟ إن بني أمية لحمك ودمك ، فكلهم ولا تؤكلهم . فقال له : صدقت . وأمسك إسماعيل فلم يُحر جواباً .

[سليمان يضربه مائة سوط]

وقال ابن الكلبي : كان خالد بن عبد الله أميراً على مكة فأمر رأس الحجة<sup>1</sup> أن يفتح له الباب وهو ينظر ، فأبى فضربه مائة سوط . فخرج الشيبى<sup>2</sup> إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه

1 رأس الحجة : رأس حجة الكعبة .

2 الشيبى : نسبة إلى شيبة الذين كانوا يقومون بسدانة الكعبة .

فصادف الفرزدق بالباب ، فاسترفده<sup>1</sup> . فلما أذن للناس ، ودخلا شكا الشيبى ما لحقه من خالد ، ووثب الفرزدق ، فأنشأ يقول :

سَلُّوا خَالِدًا لَا أَكْرَمَ اللَّهَ خَالِدًا      مَتَى وَلَيْتَ قَسْرَ قَرِيشًا تَدِينُهَا<sup>2</sup>  
أَقْبَلْ رَسُولَ اللَّهِ أَمْ ذَاكَ بَعْدَهُ !      قَتَلَكَ قَرِيشٌ قَدْ أَغْثَ سَمِينُهَا<sup>3</sup>  
رَجَوْنَا هُدَاهُ لَا هَدَى اللَّهَ خَالِدًا      فَمَا أُمُّهُ بِالْأَمِّ يُهْدَى جَنِينُهَا

فحمى سليمان وأمر بقطع يد خالد ، وكان يزيد بن المهلب عنده ، فما زال يُقَدِّيه ، ويقبل يده ، حتى أمر بضربه مائة سوط ، ويُعْفَى عن يمينه ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ صَبَّتْ عَلَى ظَهْرِ خَالِدٍ      شَايِبٌ مَا اسْتَهْلَنَ مِنْ سَبَلِ الْقَطْرِ  
أُضْرَبُ فِي الْعِصْيَانِ مَنْ كَانَ طَائِعًا      وَيَعْصِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخُو قَسْرٍ ؟  
فَنَفْسُكَ لَمْ فِيمَا أُتَيْتَ فَإِنَّمَا      جُزِيتَ جَزَاءَ بِالْمُحْدَرَجَةِ السَّمْرِ<sup>4</sup>  
وَأَنْتَ ابْنُ نَصْرَانِيَّةٍ طَالَ بَطَرُهَا      غَذَّتْكَ بِأَوْلَادِ الْخَنَازِيرِ وَالْخَمْرِ  
فَلَوْلَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَلَّقَتْ      بَكَفِكَ فَتَخَاةً إِلَى الْفَرَخِ فِي الْوَكْرِ<sup>5</sup>  
لَعَمْرِي لَقَدْ صَالَ ابْنُ شَيْبَةَ صَوْلَةً      أَرْتَكُ نَجُومَ اللَّيْلِ ظَاهِرَةً تَسْرِي

[يجس الفرزدق]

فحقدها خالد على الفرزدق فلما وُلِّي ، وحفر نهر العراق بواسط قال فيه الفرزدق أبياتاً يهجوها منها :

وَأَهْلَكَتَ مَا لَ اللَّهَ فِي غَيْرِ حَقِّهِ      عَلَى النَّهْرِ الْمَشْتُومِ غَيْرِ الْمُبَارِكِ  
وَتَضْرِبُ أَقْوَامًا صِحَاحًا ظُهُورَهُمْ      وَتَتْرِكُ حَقَّ اللَّهَ فِي ظَهْرِ مَالِكِ

وقال ، ويقال : إنها للمفرج بن المرقع .

كَأَنَّكَ بِالْمُبَارِكِ بَعْدَ شَهْرِ      يَخُوضُ غَمَارَهُ بُقْعُ الْكَلَابِ<sup>6</sup>

[من الوافر]

1 استرفده : استعان به .

2 تدينها : تخضعها وتذلها .

3 أغث سمينها : هزل ما كان سميناً من إبلها وشائها .

4 المخرجة السمر : السياط .

5 الفتخاء : العقاب اللينة الجناحين .

6 بقع الكلاب : جيف الكلاب المنقوعة في الماء .

كذبت خليفة الرحمن عنه وكيف يرى الكذوبُ جزأ الكذاب  
فأخذ خالد الفرزدق ، فحبسه ، واعتل عليه بهجائه إياه في حفر المبارك ، فقال الفرزدق  
في السجن :

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً فعجل هداك الله نزعك خالداً  
بنى بيعة فيها الصليبُ لأمه وهدم من بغض الإله المساجداً  
فبعث هشام إلى خالد بن سويد يأمره بإطلاق الفرزدق ، فأطلقه ، فقال الفرزدقُ يهجو  
خالداً القسري :

ألا لعن الرحمن ظهر مطية أتننا تخطى من بعيد بخالدٍ  
وكيف يؤم المسلمين وأمه تدين بأن الله ليس بواحد ؟

[ابن عيَّاش يشتمه]

أخبرنا الحسن ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، قال : شتم عبد الله بن  
عيَّاش الهمداني خالد بن عبد الله في أيام منصور بن جمهور ، فسمعه رجل من لخم ، فقدمه إلى  
منصور واستعده عليه ، فقال له منصور : ما تريد ؟ فقال ابن عيَّاش : أمرنا أيها الأمير برقية  
العقرب . وفيه عجب ، لخمى يستنصر كلبياً على همداني لبجلٍ دعي<sup>1</sup> .  
[يدل على هشام]

وقال المدائني في خبره : كان خالد بن عبد الله قريباً من هشام بن عبد الملك مكيناً عنده  
فأدُل ، وتمرغ<sup>2</sup> عليه ، حتى إنه التفت يوماً إلى ابنه يزيد بن خالد عند هشام ، فقال له : كيف  
بك يا بني إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين ؟ قال : أواسيهم ولو في قميصي . فتبين الغضب  
في وجه هشام ، واحتملها .  
[يلقب هشاماً بابن الحمقاء]

قال المدائني : حدثني بذلك عبد الكريم مولى هشام : إنه كان واقفاً على رأس هشام ،  
فسمع هذا من خالد ، قال : وكان إذا ذكر هشام قال له : ابن الحمقاء فسمعها رجل من أهل  
الشام ، فقال له هشام : إن هذا البطر الأشير الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ  
الذكر ، فقال : ماذا يقول ؟ لعله يقول : الأحوال قال : لا والله ، ولكن ما لا تنشق به الشفتان  
قال : فلعله قال : ابن الحمقاء ، فأمسك الشامي ، فقال : قد بلغني كل ذلك عنه .

1 اللخمي هو الواشي . والكلبي هو منصور بن جمهور ، والهمداني هو المتكلم . والبجلي الدعي هو خالد .

2 تمرغ عليه : تلبث عنده ، وأطال التردد عليه .

[يجمع مالا كثيراً]

واتخذ خالدٌ ضيعاً كثيرة حتى بلغت غلته عشرة آلاف ألف درهم ، فدخل عليه دهقانٌ كان يأنس به فقال له : إن الناس يحبون جسمك ، وأنا أحبُّ جسمك وروحك ، قد بلغت غلة ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلتك ، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا ، فاحذر ، فقال له خالد : إن أخي أسد بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا ، أفأنت أمرته ؟ قال : نعم ، قال : ويحك ! دعه ، فربُّ يومٍ كان يطلب فيه الدرهم ، فلا يجده .  
[كان بخيلاً بطعامه]

وقال المدائني في خبره : كان خالد بن عبد الله بخيلاً على الطعام ، فوفد إليه رجل له به حرمة ، فأمر أن يكتبَ له بعشرة آلاف درهم ، وحضر الطعام ، فأتي به ، فأكل أكلاً منكراً ، فأغضبه ، وقال للخازن : لا تعرض عليّ صكّه ، فعرفه الخازن ذلك ، فقال له : ويحك ! فما الحيلة ؟ قال : تشتري غداً كل ما يحتاجُ إليه في مطبخه ، وتهبُّ الطباخَ دراهم ، حتى لا يشتري شيئاً ، وتساءله إذا أكل خالد أن يقول له : إنك اليوم في ضيافة فلان ، فاشترى كل ما أراد ، حتى الحطب ، فبلغ خمسمائة درهم ، فأكل خالد ؛ فاستطاب ما صنّع له . فقال له الطباخ : إنك كنتَ اليوم في ضيافة فلان ، قال له : وكيف ذاك ؟ فأخبره ، فاستحيا خالد ودعا بصكّه ، فصيرَه ثلاثين ألفاً ، ووقع فيه ، وأمر الخازن بتسليمها إليه .  
[حيلة تاجر]

قال : وكان لبعض التجار على رجل دينٌ ، فأراد استعداد خالدٍ عليه ، فلاذَّ الرجلُ بيواب خالد ، وبرّه ، فقال له : سأحتال لك في أمر هذا بحيلة ، لا يدخله عليه أبداً ، قال : فافعل ، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل ، وخالد يأكل سمكاً ، فجعل يأكل أكلاً شنيعاً كثيراً ، فغاض ذلك خالداً ، فلما خرج قال لبوابه : فيم أتاني هذا ؟ قال : يستعدي على فلان في دين يدعيه عليه . قال : والله إني لأعلم أنه كاذب ، فلا يدخلن عليّ . وتقدّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه ، وقال المدائني في خبره :  
[يعرف لغة الحمير]

كان خالدٌ يوماً يخطب على المنبر . وكان لُحَنَةً ، وكان له مؤدب يقال له : الحسين بن رَهمَة الكلبيّ ، وكان يجلس بإزائه ، فإذا شك في شيء أوماً إليه ، وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم ، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبي في وسط خطبته ، وقال : قد حضرتني مسألة ، قال : ويحك ! أما ترى الشيطان عينه في عيني ، يعني حُسِينا ، قال : لا بد والله منها ، قال : هاتها ، قال : أخبرني ، فلمسان إذا

ساف<sup>1</sup> ، ثم رفع رأسه وكرف<sup>2</sup> أي شيء يقول ؟ قال : أراه يقول : ما أطيبه يا رباه ، قال : صدقت ما كان ليستشهد على هذا سوى ربه .  
[رأيه في حفظة القرآن]

قال المدائني : وقال خالد يوماً على المنبر : هذا كما قال الله عز وجل : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثم أرتج عليه ، فقال للتغليبي : قم فافتح عليّ يا أبا زمزم سورة كذا وكذا ، فقال : خففْ عليك أيها الأمير ، لا يهولنك ذلك ، فما رأيت قط عاقلاً حفظ القرآن ، وإنما يحفظه الحمقى من الرجال ، قال : صدقت ، يرحمك الله .  
[يهب المغنية للقصاص]

وقال المدائني : حدثني أبو يعقوب الثقفي ، قال : قال خالد بن عبد الله للعربان : يا عُرَيَّانُ ، أعمجرت عن الشرط ، حتى أولي غيرك ! فإن الغناء قد فشا وظهر قال : لم أعجز ، وإن شئت فاعزلني ، فقال له : خذ لي المغنيات ، فأحضره خمساً منهن أو ستاً ، فأدخلهن إليه ، فنظر إلى واحدة منهن بيضاء دعجاء ؛ كأنها أشربت ماء الذهب ، فدعا لها بكرسي ، فجلست . ثم قال لها : أين البربط<sup>3</sup> الذي كانت تضرب به ؟ فأحضر ، ثم سوته ، فغنت :

إلى خالدٍ حتّى أنحنَ بخالدٍ      فنعَمَ الفتى يُرجى ونعم المومِّلُ  
فقال : أعدلي عن هذا إلى غيره ، فغنت :

أروحُ إلى القصَّاص كلَّ عَشِيَّةٍ      أرجي ثوابَ الله في عدد الخطَا  
قال : وأقبل قاصُّ المصر . فقال له خالد : أكانت هذه تروح إليك ؟ قال : لا ، وما مثلها يروح إليّ ، قال : خذ بيدها فهي لك ، ومولاها بالباب ، فسأل عنها فقيل : وهبها للقصَّاص ، فتحمل<sup>4</sup> عليه بأشراف الكوفة ، فلم يردّها ، حتى اشتراها منه بمائتي دينار .  
[هشام يضيّق به ذرعاً فيقرعه]

وقال المدائني : قال خالد في خطبته : والله ما إمارة العراق مما يشرفني ، فبلغ ذلك هشاماً ، فغاضه جداً ، وكتب إليه : بلغني يا ابن النصرية أنك تقول : إن إمارة العراق ليست مما يشرفك ، صدقت والله ، ما شيء يشرفك ، وكيف تشرف وأنت دعيّ إلى

1 ساف : شم .

2 كرف الحمار وغيره : شم بول الأتان ، ثم رفع رأسه ، وقلب جحفلته .

3 البربط : العود .

4 تحمل : توسّل .

بجيلة القبيلة القليلة الذليلة ، أما والله إني لأظن أن أول ما يأتيك ضغن<sup>1</sup> من قيس ، فيشد يديك إلى عنقك .

[هشام ينكل به]

وقال المدائني : حدثني شبيب بن شبة عن خالد بن صفوان بن الأهم قال : لم تزل أفعال خالد به ، حتى عزله هشام ، وعذبه ، وقتل ابنه يزيد بن خالد ، فرأيت في رجله شريطاً قد شُدَّ به ، والصبيان يجرونه ، فدخلت إلى هشام يوماً ، فحدثته ، وأطلت ، فتنفس . ثم قال : يا خالد ، رُبَّ خالٍ كان أحبَّ إليَّ قرباً ، وألذَّ عندي حديثاً منك ، قال : يعني خالداً القسري ، فانتهزتها ، ورجوت أن أشفع له فتكون لي عند خالد يدٌ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده ؟ فقد أدبته بما فرطَ منه ، فقال : هيهات ، إن خالداً أوجف فأعجف ، وأدلَّ فأمل ، وأفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة ، فجلم الأديم<sup>2</sup> ، ونغل الجرح<sup>3</sup> ، وبلغ السيلُ الزبي<sup>4</sup> والحزام الطيبين<sup>5</sup> ، فلم يبق فيه مُستَصلح ، ولا للصنيعة عنده موضع عُد إلى حديثك .

[عود إلى تخنثه ودورانه في فلك عمر بن أبي ربيعة]

فأما أخباره في تخنثه وإرسال عمر بن أبي ربيعة إياه إلى النساء ، فأخبرني به علي بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي ، وأخبرني الحرزميُّ بن أبي العلاء ، قال : حدثني الزبير بن بكار ، قال : حدثني محمد بن الحارث بن سعد السعدي ، عن إبراهيم بن قدامة الحاطبي ، عن أبيه ، واللفظ لعلي بن صالح في خبره ، قالوا : قال الحاطبي : أتيتُ عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين ، فانتظرت في مجلس قومه ، حتى إذا تفرق القومُ دنوتُ منه ، ومعِي صاحب لي ، فقال لي صاحبي : هل لك في أن تُريغهُ<sup>6</sup> عن الغزل ، فننظر هل بقي منه شيء عنده ؟

1 ضغن : حاقد .

2 الأديم : الجلد . حلم : كثر دوده ، حتى تنقب وفسد . وهنا مثل : « كدابة وقد حلم الأديم » ورد في مجمع الأمثال 150/2 والمستقصى للزمخشري 216/2 والأمثال للقاسم بن سلام 343 والجمهرة للعسكري 137/2 ، 158 .

3 نغل الجرح : تعفن وفسد .

4 الزبي : جمع زبية ، وهي الربوة التي لا يصل إليها الماء وهنا مثل : ورد في مجمع الأمثال 91/1 ، 93 ، 96 و142/12 والجمهرة للعسكري 203 ، 220 والمستقصى للزمخشري 14/2 وفصل المقال 472 .

5 الطبي : حلمة تدي الناقة . وهنا مثل : يضرب به في تفاقم الأمر .

6 تريغه : من أراغه عن الأمر وعليه : طلبه منه .

فقلت له : دونك . فقال : يا أبا الخطاب أحسنَ والله ريسان العذري ، قاتله الله ، قال :  
وفيمَ أحسن ؟ قلت : حيث يقول : [من البسيط]

لو جَزَّ بالسيف رأسي في مودَّتْها      لَمالَ لا شك يهوي نحوها رأسي

فقال : نعم أحسن ، فقلت : يا أبا الخطاب ، وأحسنَ والله نحيّةُ بنُ جنادة العذري ،  
قال : في ماذا ؟ قلت : حيث يقول : [من البسيط]

سرت لعينيك سَلَمي بعد مغفاهي      فَبِتَ مستوهناً من بَعْدِ مسراها  
فقلتُ : أهلاً وسهلاً من هَذاكِ لنا      إن كنتِ تمثالها أو كنتِ إياها

وفي رواية الزبيري خاصة :

تأتي الرياحُ التي من نحوِ أرضكم      حتى أقولَ : دَنْتُ منّا برّياها  
وقد تراخت بها عَنّا نوى قَذَفَ      هيهات مُصْبِحُها من بعدِ مُمساها<sup>1</sup>  
من حُبّها أتمنّى أن يلاقيني      من نحو بلدتها ناعٍ فينعاهي  
كيما أقولَ : فِراقٌ لا لقاءَ له      وتُضمِرَ اليأسَ نفسي ثم تَسْلَاهي  
ولو تموت لراعتني وقلتُ لها :      يا بوُسَ للدهر ليت الدهر أبقاها

ويروى :

..... لراعتني مِنْيْتها      وقلتُ يا بوُسَ ليت الدهر أبقاها

فضحك عمر ثم قال : يا ويحه أحسن والله ، لقد هيجتما عليّ ما كان ساكناً مني  
فلأحدثكما حديثاً خلواً : بينا أنا أوّلُ أعوامي جالس إذا بخالد الخريت قال : مررت  
بأربع نسوة قبيل<sup>2</sup> ، يَرِدُنَ ناحية كذا وكذا من مكة ، لم أرَ مثلهن قط ، فيهن هند ، فهل  
لك أن تأتيهن متكرراً فتسمع من حديثهن ، ولا يعلمن ؟ فقلت : وكيف لي بأن يخفي  
ذلك ؟ قال : تلبس لبسة الأعراب ، ثم تقعدُ على قعود ، كأنك تنشُدُ ضالة ، فلا يَشْعُرُنَ  
حتى تهجمَ عليهن ، قال : فجلست على قعود . ثم أتيتهن فسَلَمْتُ عليهن ، فأنسنني ،  
وسألنني أن أنشدَهن ، فأنشدتهن لكثيرٍ وجميلٍ وغيرهما ، وقلن : يا أعرابي ، ما  
أملحك ، لو نزلت ، فتحدثت معنا يومنا هذا ، فإذا أمسيت انصرف ، فأنختُ قعودي ،  
وجلستُ معهن ، فحدثتهن ، وأنشدتهن ، فدنت هند ، فمدّت يدها ، فجذبت عِمامتي ،

1 قَذَفَ : بعيدة تتقاذف بمن تصيبه .

2 قبيل : متشابهات .

فألقته عن رأسي ، ثم قالت : تالله لظننت أنك خدعتنا ، نحن والله خدعناك ، أرسلنا إليك خالداً الخريّت في إتياننا بك على أقبح هيئتك ، ونحن على أحسن هيئتنا . ثم أخذنا بنا في الحديث ، فقالت إحداهن : يا سيدي لو رأيتني منذ أيام ، وأصبحت عند أهلي ، فأدخلت رأسي في جيبتي ، فنظرت إلى جري ، فرأيت ملء العس<sup>1</sup> والقسّ فصحت : يا عمراه ! فصحت : لبيك لبيك ، ولم أزل معهن في أحسن وقت إلى أن أمسينا ، ففترقنا ، عن أنعم عيش ، فذلك حين أقول :

ألم تعرف الأطلالَ والمتربعا      بيطن حليّات دوارسَ بلقعا  
وذكر الأبيات .

انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبداً .

### صوت

[من الطويل]

أنائلُ ما رؤيا زعمتِ رأيتها      لنا عجبٌ لو أن رؤياك تصدقُ  
أنائلُ ما للعيشِ بعدك لذة      ولا مشربٌ نلقاه إلا مُرتق<sup>2</sup>  
أنائلُ إني والذي أنا عبده      لقد جعلتُ نفسي من البين تُشفقُ  
لعمرك إن البين منك يشوقني      وبعض بُعادِ البين والنأي أشوقُ  
الشعر لصخر بن الجعد الخضريّ .

أخبرنا بذلك محمد بن مزيد ، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضري ، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر . ومن الناس من يروي هذه الأبيات لجميل ، ولم يأت ذلك من وجه يصحّ ، والزبير أعلم بأشعار الحجازيين .  
والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي ، وفيه لابن المكّي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

1 العس : الفدح الكبير .

2 مشرب مُرتق : مشوب غير صاف .



## [ 461 ] - أخبار صخر بن الجعد ونسبه

[ نسبه ]

صخرُ بنُ الجعدِ الخُضريّ ، والخُضرُ ولدُ مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيّلان بن مُضَر ، وصخرُ أحد بني جِحاش بن سَلَمَة بن ثعلبة بن مالك بن طريف ، قال : وسُمِّي ولد مالك بن طريف الخُضرُ لسوادِهِم ، وكان مالك شديد الأذمة<sup>1</sup> . وخرج ولده إليه فقيل لهم الخُضرُ ، والعربُ تسمي الأسودَ الأُخضرَ .

[ ابن ميّدة يترفع عن مهاجته ]

وهو شاعر فصيحٌ من مُخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وقد كان يَغْرِض لابن ميّدة لما انقضى ما بينه وبين حَكَم الخُضريّ من المهاجاة ، ورام أن يهاجيه ، فترفع ابنُ ميّدة عنه . أخبرني بخبره عليّ بن سليمان الأخفش ، عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، عن الزبير بن بكار مجموعاً ، وأخبرني بأخبار له متفرقة الحُرُميّ بن أبي العلاء ، عن الزبير ابن بكار .

وحدثني بها غيرُهما من غير رواية الزبير ، فذكرت كلّ شيء من ذلك مفرداً ، ونسبته إلى راويه .

[ قصته مع كأس ]

قال الزبير فيما رواه هارون عنه : حدثني مَنْ أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجَوْن قال : كان صخرُ بن الجعد مُغرماً بكأس بنت بُجَيْر بن جُنْدب ، وكان يشبب بها ، فلقية أخوها وقاصٌ ، وكان شجاعاً ، فقال له : يا صخرُ ، إنك تشبب بابنة عمك ، وشهرتها ، ولعمري ما بها عنك مذهبٌ ؛ ولا لنا عنك مرغبٌ ، فإن كانت لك فيها حاجة فهلُم أزوّجكها ، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها بذكر ، ولا أسمعنه منك . فأقسم بالله لئن فعلت ذلك ليخالطنك سيفي ، فقال له : بل والله إن لي لأشدّ الحاجة إليها ، فوعده موعداً وخرج صخرُ لموعده ، حتى نزل بأبيات القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقاصٌ فدبّح ، وجمع أصحابه . وأبطأ صخر عنهم ، فلما رأى ذلك وقاصٌ بعث إليه : أن هلمّ لحاجتك ، فأبطأ ، ورجع الرسولُ فقال مثل قوله ، فغضب . وعمدَ إلى رجل من الحيّ ليس يُعْدَلُ بصخر ، يقال له حِصْنٌ ، وهو مُغضَب لما صنع ، فحمّد الله وأثنى عليه ، وزوّجه كأس ، وافترق القوم ، ومروا بصخر ،

فأَعْلَمُوهُ تَرْوِيجَ كَأْسٍ بِحَصْنٍ ، فَرَحَلُ عَنْهُمْ مِنْ تَحْتِ اللَّيْلِ ، وَانْدَفَعَ يَهْجُوهَا بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي قَذَفَهَا فِيهَا فِيمَا قَذَفَهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ حِينَ يَقُولُ :  
[من الطويل]

وَأَنْكَحَهَا حَصْنًا يَلِيطُمِسَ حَمَلُهَا      وَقَدْ حَمَلَتْ مِنْ قَبْلِ حَصْنٍ وَجَرَّتْ  
أَي زَادَتْ عَلَى تِسْعَةِ أَشْهُرٍ ، قَالَ : وَتَرَاغَبَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَمِيرُهَا يَوْمئِذٍ طَارِقُ مَوْلَى عَثْمَانَ ، قَالَ : فَتَنَازَعُوا إِلَيْهِ . وَمَعَهُمْ يَوْمئِذٍ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ حَزْمٌ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى صَخَرٍ شَرًّا . فَقَالَ : وَفِيهِ يَقُولُ صَخَرُ :

كَفَى حَزْنًا لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي      أَدَاغُ كَأْسًا عِنْدَ أَبْوَابِ طَارِقٍ<sup>1</sup>  
أَتَنْسِينَ أَيَّامًا لَنَا بِسُوءِ قَدَرٍ      وَأَيَّامَنَا بِالْجِزْعِ جِزْعُ الْخَلَائِقِ  
لِيَالِي لَا نَخْشَى انْصِدَاعًا مِنَ الْهَوَى      وَأَيَّامَ حَزْمٍ عِنْدَنَا غَيْرُ لَائِقِ  
إِذَا قُلْتُ لَا تَفْشِي حَدِيثِي تَعَجَّرْتُ      زِيَادًا لَوْ دُهَا هُنَا غَيْرُ صَادِقٍ<sup>2</sup>  
قَالَ : فَأَقَامُوا عَلَيْهِ الْبَيْتَ بِقَذْفِ كَأْسٍ ، فَضُرِبَ الْحَدُّ ، وَعَادَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَأَسِيفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ تَرْوِيجِ كَأْسٍ ، فَطَفِيقٌ يَقُولُ فِيهَا الشَّعْرُ .  
[مطولته في كأس]

قَالَ الرَّبِيرُ : فَأَنْشَدَنِي عَمِّي وَغَيْرُهُ لَصَخَرٍ قَوْلُهُ :

لَقَدْ عَاوَدَ النَّفْسَ الشَّقِيَّةَ عَيْدُهَا      نَعَمْ إِنَّهُ قَدْ عَادَ نَحْسًا سَعُودُهَا<sup>3</sup>  
وَعَاوَدَهُ مِنْ حُبِّ كَأْسٍ ضَمَانَةٌ      عَلَى النَّأْيِ كَانَتْ هَيْضَةٌ تَسْتَقِيدُهَا<sup>4</sup>  
وَأَتَى تَرْجِيئَهَا وَأَصْبَحَ وَصَلُهَا      ضَعِيفًا وَأَمْسَتْ هَمَّهُ لَا يَكِيدُهَا  
وَقَدْ مَرَّ عَصْرٌ وَهِيَ لَا تَسْتَرِيدُنِي      لَمَّا اسْتَوْدِعْتُ عِنْدِي وَلَا أَسْتَرِيدُهَا  
فَمَا زَلَتْ حَتَّى زَلَّتِ النُّعْلُ زَلَّةً      بِرَجْلِكَ فِي زَوْرَاءٍ وَعَثَّ صَعُودُهَا<sup>5</sup>  
أَلَا قُلْ لِكَأْسٍ إِنْ عَرَضَتْ لَبِيئَتِهَا      فَأَيْنَ بُكَاءِي عَيْنِي وَأَيْنَ قَصِيدُهَا ؟  
لَعَلَّ الْبُكَاءَ يَا كَأْسُ إِنْ نَفَعَ الْبُكَاءَ      يُقَرِّبُ دُنْيَانَا لَنَا فَيَعِيدُهَا

1 المدافعة : المقاضاة .

2 تعجرت : تكبرت .

3 العيد : العادة .

4 الضمانة : العلة . والهيضة : المرض بعد المرض .

5 زوراء : أرض بعيدة . وعث صعودها : من وعث الطريق وعثا : تعسر سلوكه .

وكانت تناهت لوعةُ الودِّ بيننا      فقد أَصْبَحَتْ يُبْساً وأذبل عودُها  
ويروى : وقد ذاء عودُها يقال : ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد .

ليالي ذاتُ الرمسِ لا زال هيجُها      جنوباً ولا زالتْ سحابٌ تجودُها<sup>1</sup>  
وعيشٌ لنا في الدهرِ إذ كان قلبُه      يطيبُ لديه بخلُ كأسٍ وجودُها<sup>2</sup>  
تذكرتُ كأساً إذ سمِعتُ حمامةً      بكت في ذراً نخل طوالِ جريدُها  
دعت ساقَ حرٍّ فاستجبتُ لصوتها      مولَّهةً لم يبقَ إلا شريدُها<sup>3</sup>  
فيا نفسُ صبراً كلُّ أسبابٍ واصلٍ      ستنمي لها أسباب هجرٍ تُبيدُها  
قال أبو الحسن الأخفش : ستنمي لها أسباب صرَم تُبيدُها أجود .

وليلٍ بدتْ للعين نارٌ كأنَّها      سنا كوكبٍ للمستبين خمودُها  
فقلت : عساها نارُ كأسٍ وعلَّها      تشكِّي فأمضي نحوها وأعودُها  
فتسمع قولي قبل حتفٍ يصيدُني      تُسرُّ به أو قبل حتفٍ يصيدُها  
كأن لم نكنْ يا كأسُ إلَفي مودةً      إذ الناسُ والأيامُ تُرعى عهدُها

[من شعره في تجواله]

أخبرني عبدُ الله بن مالك النحويّ ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال : لما ضربَ  
صخرُ بن الجعد الحدَّ لكأسٍ ، وصارت إلى زوجها نديمَ على ما فرط منه ، واستحيا من  
الناس للحدِّ الذي ضربَه ، فلحقَ بالشام ، فطالت غيبته بها ، ثم عادَ فمرَّ بنخلٍ كان لأهله  
ولأهل كأسٍ ، فباعوه ، وانتقلوا إلى الشام ، فمرَّ بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها<sup>4</sup> ،  
فبكى عند ذلك بكاءً شديداً ، وأنشأ يقول :

مررتُ على خيماتِ كأسٍ فأسبلتُ      مدامعُ عيني والرياحُ تُميلُها  
وفي دارهم قومٌ سواهم فأسبلتُ      دموعٌ من الأجفانِ فاضَ مسيلُها  
كذاك الليالي ليسَ فيها بسالمٍ      صديقٌ ولا يبقى عليها خليلُها

وقال وهو بالشام :

[من الطويل]

1 ذات الرمس : مكان . الهيج : الريح .

2 قلبه في ل : فلتة .

3 ساق حرٍّ : ذكر القماري .

4 صرم النخلة : جذها .

ألا ليت شعري هل تغيرَ بعدنا      عن العهد أم أمسى على حاله نجد ؟  
وعهدي بنجدٍ منذ عشرين حِجَّةً      ونحنُ بدُّنا ثمَّ لم نلقها بعدُ  
به الخوصةُ الدهماءُ تحتَ ظلالِها      رياضُ بها الحوذانُ والنفلُ الجعدُ<sup>1</sup>

قال : ومَرَّ على غديرٍ كانت كَأْسُ تشرب منه ويحضره أهلها ويجمعون عليه ، فوقف طويلاً عليه يكي وكان يقال لذلك الغدير جَنَان فقال صخرُ : [من الطويل]

بليتُ كما يئلى الرِّداءُ ولا أرى      جناناً ولا أكنافَ ذِرْوَةٍ تَخْلُقُ<sup>2</sup>  
السُّوي حيازيمي بهنَّ صباةً      كما تتلوَّى الحيةُ المَشرِقُ<sup>3</sup>

[تموت كَأْسُ فيرثها]

أخبرني عبدُ الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : قال السَّعِيدِيّ : حَدَّثَنِي سَبْرَةُ مولى يزيدَ بن العوام ، قال : كان صخر بن الجعد المحاربي خِذْنا لَعَوَامَ بن عقبة ، وكان عَوَامَ يَهُوى امرأةً من قومِهِ ، يقال لها : سوداء ، فماتت ، فرثاها ، فلما سمعَ صخرُ بن الجعدَ المَريَّة ، قال : وِدِدْتُ أَنْ أُعِيشَ حَتَّى تَمُوتَ : كَأْسُ ، فأرثيها ، فماتت كَأْسُ ، فقال : [من الطويل]

على أم داودَ السلامُ ورحمةُ      من الله يجري كلُّ يومٍ بشيرُها  
غداةً غد الغادون عنها وغودرتُ      بلماعةِ القيعانِ يستنُّ مورُها<sup>4</sup>  
وغُيِّبَتْ عنها يومَ ذاكَ وليتني      شهدتُ فيحوي مَنكبي سريرُها  
ويروى : فيعلو منكبي .

نَزَتْ كبدِي لما أَتاني نِعْيُها      فقلتُ : أدانِ صدعُها فمُطيرُها ؟

[أمير المؤمنين يسأل عن قائل شعره]

أخبرني الحِرْمِيُّ بن أبي العلاء ، قال : حَدَّثَنِي الزبير ، قال : حَدَّثَنِي خالد بن الواضح قال : قال عَبْدُ الْأَعْلَى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجُمَحِيُّ لعبد الله بن مصعب : سألني أمير المؤمنين اليوم في موكبه : مَنْ الذي يقول :

[من الوافر]

ألا يا كَأْسُ قد أَفْنَيْتُ شِعْري      فلستُ بقائلٍ إلا رجيعا ؟

1 الخوص : ورق النخل والمقل والنارجيل . الحوذان : نبات عشبي . النفل : نبت طيب الرائحة أصفر الزهر .

2 جنان ، وذروة : مكانان .

3 الحيزوم : الصدر أو وسطه . الحية المشرق : التي تحاول الدفء عند شروق الشمس .

4 لماعة القيعان : فلاة يلمع السراب أو البرق في قيعانها . يستن : يسرع . المور : الغبار الذي تطير به الريح .

ولم أدر لمن الشعر ؟ فقال عبدُ الله بن مصعب : هو لصخرُ الخُضريِّ ، وأنشدَ باقيَ الأبيات ، وهي :

تُرَجِّي أن تلاقِي آلَ كَأْسٍ      كما يَرْجُو أخو السَّنَةِ الرِّبِيعِ<sup>1</sup>  
فَلَسْتُ بِنَائِمٍ إِلَّا بِحُزْنٍ      وَلَا مَسْتِيقِظاً إِلَّا مَرُوعاً  
فَإِنَّكَ لو نَظَرْتَ إِذَا التَّقِينَا      إِلَى كَبْدِي رَأَيْتَ بِهَا صُدُوعاً

[من شعره حينما ندم على عدم زواجها]

قال ابنُ حبيب في رواية عبد الله بن مالك : لما زُوِّجَتْ كَأْسٌ جَزَعَ صَخْرُ بن الجعد لما فرط منه وندم وأسِفَ ، وقال في ذلك :

هَنِيئاً لكَأْسٍ قَطَعُهَا الحَبْلَ بَعْدَمَا      عَقَدْنَا لكَأْسٍ مَوْثِقاً لَا نَخُونُهَا  
وَإِشْمَاتُهَا الأَعْدَاءَ لَمَّا تَأَلَّبُوا      حَوَالِيَّ وَاشْتَدَّتْ عَلَيَّ ضَعْفُونُهَا  
فَإِنْ حَرَاماً أَنْ أَخُونَكَ مَادَعَا      بَيْلِيلَ قُمْرِيَّ الحِمَامِ وَجُونُهَا<sup>2</sup>  
وَقَدْ أَيْقَنْتَ نَفْسِي لَقَدْ حِيلَ دُونَهَا      وَدُونَكَ لو يَأْتِي بِيَأْسٍ يَفِينُهَا  
وَلَكِنْ أَبْتُ لَا تَسْتَفِيقُ وَلَا تَرَى      عَرَاءَ وَلَا مَجْلُودَ صَبْرٍ يُعِينُهَا<sup>3</sup>  
لَوْ أَنَا إِذِ الدُّنْيَا لَنَا مَطْمَئِنَّةٌ      دَحَا ظِلُّهَا ثُمَّ أَرْجَحَنْتُ غُصُونُهَا<sup>4</sup>  
لَهَوْنَا وَلَكِنَّا بَغْرَةٌ عَيْشِنَا      عَجَبْنَا لِلدُّنْيَانَا فَكِدْنَا نُعِينُهَا  
وَكُنَّا إِذَا نَحْنُ التَّقِينَا وَمَا نُرَى      لَعَيْنِينَ إِلَّا مِنْ حِجَابٍ يَصُونُهَا  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا      وَأَوْسَاطِهَا حَتَّى تُمَلَّ فَنُونُهَا

[نراه كَأْس في النوم]

قال ابنُ حبيب : أُرْسِلَتْ كَأْسٌ بَعْدَ أَنْ زُوِّجَتْ إِلَى صَخْرِ بن الجعد تخبره أنها رأتَه فيما يرى النَّائم : كَأَنَّهُ يُلْبِسُهَا خَمَاراً ، وَأَنَّ ذَلِكَ جَدَّدَ لَهَا شَوْقاً إِلَيْهِ وَصَبَابَةً ، فقال صخر :

أَنَايِلُ مَا رَوَّيَا زَعَمْتَ رَأَيْتَهَا      لَنَا عَجَبٌ لو أَنَّ رُؤْيَاكَ تَصْدُقُ

1 السنة : الجذب والمحل .

2 بَيْلِيل : اسم موضع . الجون جمع جونا : وهي الناقة السوداء .

3 مجلود : من جلده على الأمر : أكرهه عليه .

4 دحا الظل : استرخى وامتد . ارجحنت : تمايلت .

أَنَّا لَوْلَا الْوُدُّ مَا كَانَ بَيْنَنَا نَضًا مِثْلَ مَا يَنْضُو الْخَضَابُ فَيَخْلُقُ<sup>1</sup>

[بشترى نسيئة ثم يهرب من البائع]

أخبرنا حبيب بن نصر ، قال : حدثنا عبد الله بن شبيب ، قال : حدثني محمد بن عبد الله البكري ، قال : قدم صخر بن الجعد الخُضْرِيّ المدينة ، فأتى تاجراً من تجارها ، يقال له سَيَّارٌ فابتاع منه بُرّاً وَعِطْراً ، وقال : تأتينا غُدوة فأقضيكَ ، وركب من تحت ليلته ، فخرج إلى البادية ، فلما أصبح سَيَّارٌ سأل عنه ، فعُرف خبره ، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه ، حتى أتوا بَغْرَ مُطَلِّبٍ ، وهي على سبعة أميال من المدينة ، وقد جهدوا من الحرِّ ، فزلوا عليها ، فأكلوا تمرّاً كان معهم ، وأراحوا دوابَّهم وسَقَوْها ، حتى إذا بَرَدَ النهار انصرفوا راجعين ، وبلغ الخبيرُ صخرَ بن الجعد ، فقال :

أَهْوَنُ عَلَيَّ بِسَيَّارٍ وَصَفْوَتُهُ	إذا جعلتُ صِراراً دونَ سَيَّارٍ <sup>2</sup>
إِنْ الْقَضَاءُ سَيَّاتِي دُونَهُ زَمَنْ	فاطوِ الصَّحِيفَةَ واحفظْهَا مِنَ الْعَارِ <sup>3</sup>
يَسْأَلُ النَّاسَ هَلْ أَحْسَسْتُمْ جَلْباً	محارِباً أَتَى مِنْ نَحْوِ أَظْفَارٍ <sup>4</sup>
وَمَا جَلَبْتُ إِلَيْهِمْ غَيْرَ رَاحِلَةٍ	وغيرَ رحلٍ وسيفٍ جَفَنَةٍ عَارٍ
وَمَا أُرِيْتُ لَهُمْ إِلَّا لِأَدْفَعَهُمْ	عني ويخرجُنِي نقضي وإمراري <sup>5</sup>
حَتَّى اسْتَغَاثُوا بِأَرْوَى بِغْرِ مُطَلِّبٍ	وقد تحرقَّ منهم كلُّ تَمَارٍ <sup>6</sup>
وَقَالَ أَوَّلُهُمْ نَصْحاً لآخِرِهِمْ :	أَلَا ارْجِعُوا وَاتَرَكُوا الْأَعْرَابَ فِي النَّارِ

[جاريته تخذعه]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا ابن الأعرابي ، قال : كان الجعد المحاربيُّ أَبُو صَخْرَ بن الجعد قد عُمِّرَ حتى خَرَفَ ، وكان يكنى أبا الصَّمُوتِ ؛ وكانت له وليدة<sup>7</sup> يقال لها سمحاء<sup>8</sup> ، فقالت له يوماً : يا أبا الصَّمُوتِ ، زعم بُنُوكُ أَنَّكَ إِنْ مِتَّ

1 نضا : نصل .

2 صرار : موضع قرب المدينة .

3 قضاء : قضاء الدين .

4 الجلب : ما جلب من متاع وشاء وإبل ونحو ذلك . أظفار : طائفة من الكواكب .

5 الإمرار : قتل الحبل ونحوه . النقض : ضد القتل .

6 الأروى : أثنى الوعل . وبئر مطلب : المكان الذي نزل فيه سيار ورفقته .

7 وليدة : جارية .

8 ل : سمحاء .

قَتَلُونِي ، قال : ولم ؟ قالت : ما لي إليهم ذنب غير حَبِّي لك ، فَأَعْتَقَهَا عَلَى أَنْ تَكُونَ مَعَهُ ، فَمَكَّنْتُ يَسِيرًا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا الصَّمُوتِ ، هَذَا عَرَابَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْدِنِ يَخْطُبُنِي ، قَالَ : أَيْنَ هَذَا مِمَّا قُلْتَ لِي ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ ذُو مَالٍ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ مَالَهُ لَكَ ، قَالَ : فَأَتَنِي بِهِ ، فَأَتَتْهُ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا ، فَوُلِدَتْ لَهُ أَوْلَادًا ، وَقَوَّتُهُ بِمَا كَانَتْ تَصِيَّهُ مِنَ الْجَعْدِ ، وَكَانَتْ تَأْتِي الْجَعْدَ فِي أَيَّامٍ ، فَتَخْضِبُ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَطَعْتَهُ ، فَأَنْشَأَ الْجَعْدُ يَقُولُ :

[من البسيط]

أُصْسَى عَرَابَةٌ ذَا مَالٍ وَذَا وَلَدٍ      مِنْ مَالٍ جَعْدٍ وَجَعْدٌ غَيْرُ مُحَمَّدٍ  
تَظِلُ تُنَشِّقُهُ الْكَافُورَ مَتَكُمًّا      عَلَى السَّرِيرِ وَتَعْطِينِي عَلَى الْعُودِ

[من قوله لامرأته]

قال والجعدُ هو القائل لامرأته :

[من الطويل]

تُعَالِجُنِي أُمُّ الصَّمُوتِ كَأَنَّمَا      تَدَاوِي حِصَانًا أَوْهَنَ الْعِظَمِ كَاسِرُهُ  
فَلَا تَعْجِبِي أُمُّ الصَّمُوتِ فَإِنَّهُ      لِكُلِّ جَوَادٍ مَعَثَرٌ هُوَ عَائِرُهُ  
وَقَدْ كُنْتُ أَصْطَادَ الظَّبَاءِ مُوْطَأًا      وَأَضْرَبُ رَأْسَ الْقِرْنِ وَالرَّمْحُ شَاجِرُهُ<sup>1</sup>  
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْعَشِّ طَارَتْ فِرَاحُهُ      وَغُودِرَ فِي رَأْسِ الْهَشِيمَةِ سَائِرُهُ<sup>2</sup>

[أولاده يرثونه حيًّا]

فلما كبر حَمَلُهُ بَنُوهُ ، فَأَتَوْا بِهِ مَكَّةَ ، وَقَالُوا لَهُ : تَعَبَدُ هَا هُنَا ، ثُمَّ اقْتَسَمُوا الْمَالَ ، وَتَرَكَوْا لَهُ مِنْهُ مَا يُصْلِحُهُ ، فَقَالَ :

[من الوافر]

أَلَا أَبْلُغُ بَنِي جَعْدٍ رَسُولًا      وَإِنْ حَالَتْ جِبَالُ الْعَوْرِ دُونِي  
فَلَمْ أَرَ مَعَثَرًا تَرَكَوْا أَبَاهُمْ      مِنَ الْآفَاقِ حَيْثُ تَرَكَتُمُونِي  
فإِنِّي وَالرَّوَاقِصَ حَوْلَ جَمْعٍ      وَمَخْطُمُهُنَّ مِنْ حَصْبِ الْحَجُونِ<sup>3</sup>  
لَوْ أَنِّي ذُو مَدَافِعَةٍ وَحَوْلِي      كَمَا قَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا كُمُونِي  
إِذَا لَمَنْعَتْكُمْ مَالِي وَنَفْسِي      بِنَصْلِ السَّيْفِ أَوْ لَقَاتَلْتُمُونِي

[بعيا وعنده حاضر البديهة]

وَأَخْبَرَنِي الْحِرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ

1 موطأ : منحدرًا . شاجره : داخل فيه مشتبك به .

2 الهشيمة : الشجرة البالية . سائره : باقيه .

3 الرواقص : الإبل التي تحمل الجحيج . جمع : علم على المزدلفة . الحجون : جبل بمغلاة مكة .

عبد الله بن عثمان البكريّ ، عن عروة بن زيد الخضريّ ، عن أبيه قال : كنتُ في ركبٍ فيهم  
صخر بن الجعد ، ودرنٌ مولى الخضريين معنا ، ونحن نريد خير ، فنزلنا منزلاً تعشينا فيه ،  
فهيجنا إيلَ صخر ، فلما ركبنا ساق بنا واندفع يَرَجُزُ ، ويقول : [من الرجز]

لقد بعثت حادياً قراضيفاً<sup>1</sup>

فردّده قطعاً من الليل لا يُنفِده ، ولا يقول غيره ، ثم قال لنا : إني نسيت عقالاً ، فرجع  
يطلبه في المتعشّى ، ونزل درنٌ يسوق بالقوم ، فارتجز درنٌ بيت صخر ، وقال : [من الرجز]

لقد بعثتُ حادياً قراضيفاً من منزلٍ رحلتُ عنه آنفاً

يسوقُ خوصاً رجفاً حواجفاً مثلَ القسيّ تقذفُ المقاذفاً<sup>2</sup>

حتى ترى الرباعيّ العتارفاً من شدّة السير يُزجّي واجفاً<sup>3</sup>

قال : فأدركه صخر ، وهو في ذلك ، فقال له : يا ابن الخبيثة أتعترىء على أن تنفذ بيتاً  
أعياي ؟ فقاتله ، فضربه ، حتى نزلنا ، ففرقنا بينهما .

### صوت

[من الطويل]

إذا سرّها أمرٌ وفيه مَساءتي قضيتُ لها فيما تحبُّ على نفسي

وما مرَّ يومٌ أرتجي منه راحةً فأذكرُها إلّا بكيتُ على أمسي

الشعر لأبي حفص الشطرنجيّ ، والغناء لإبراهيم ثقل أول بالوسطى عن عمرو .

1 قراضفا : مسرعا .

2 خوصاً : جمع خوصاء ، وهي الناقة ونحوها غارت عينها . رجفاً : مهتزة .

3 الرباعي : من ربت الإبل : سرحت في المراعي . واجفا : مسرعا .



## [ 462 ] - أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه

[نشأته]

أبو حفص : عمر بن عبد العزيز ، مولى بني العباس ، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال ، وكان اسمه اسماً أعجمياً ، فلماً نشأ أبو حفص وتأدّب ، غيّرهُ وسمّاه عبد العزيز .  
أخبرني بذلك عمّي ، عن أحمد بن الطيّب ، عن جماعة من موالي المهديّ .  
ونشأ أبو حفص في دار المهديّ ومع أولاد مواليه ، وكان كأحدِهِمْ ، وتأدّب ، وكان لاعباً بالشطرنج مشغولاً به ، فلُقّب به لغلّبه عليه .

[انقطاعه إلى عليّة بنت المهديّ]

فلماً مات المهديّ انقطع إلى عليّة ، وخرج معها لما زوّجت ، وعاد معها لما عادت إلى القصر ، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إختوتها وبني أخيها من الخلفاء ، فتتجلّ بعض ذلك ، وتترك بعضه ، ومّا ينسب إليها من شعر . ولها فيه غناء ، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارها :

[من الطويل]

تَحَبَّبَ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ

وهو صوت مشهور لها .

[يخلعون عليه أحب الأوصاف]

حدّثني الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدّثني أحمد بن الطيب السرخسي قال : حدّثني الكنديّ ، عن محمد بن الجهم البرمكيّ ، قال : رأيت أبا حفص الشطرنجيّ الشاعر ، فرأيت منه إنساناً يُلْهِيك حضوره عن كلّ غائب وتُسْلِك مجالسته عن هموم المصائب ، قُرْبُهُ عُرْس ، وحديثه أنس ، جدّه لَعِب ، ولَعِبِه جد ، دَيْن ماجد ، إن لبسته على ظاهره لبست مومقاً لا تملّه ، وإن تبعتته لتستبطن خبرته وقفت على مُرَوّة لا تطير الفواحشُ بجَنبَاتِها ، وكان فيما علمته أقلّ ما فيه الشعر ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

## صوت

تَحَبَّبَ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ      وكم من بعيد الدار مُسْتَوَجِب القرب  
إذا لم يكن في الحب عتب ولا رضا      فأين حلاوات الرسائل والكتب ؟

تَفَكَّرَ فَإِنْ حَدَّثْتَ أَنَّ أَخَا هَوَىٰ نَجَا سَالماً فَارْجُ النِّجَاةَ مِنَ الْكَرْبِ<sup>1</sup>  
وَأَطِيبُ أَيَّامِ الْهَوَىٰ يَوْمُكَ الَّذِي تُرَوِّعُ بِالتَّحْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعُتْبِ<sup>2</sup>  
قال : وفي هذه الأبيات غناء لعلية بنت المهدي ، وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني  
التي تريدها ، فيقولها ، وتغني فيها .  
قال وأنشدني لأبي حفص أيضاً :

[من الخفيف]

### صوت

عَرَّضَنُ لِلَّذِي تُحِبُّ بِحَبٍّ ثُمَّ دَعَا يَرُوضُهُ إِبْلِيسُ  
فَلَعَلَّ الزَّمَانَ يُدْنِيكَ مِنْهُ إِنْ هَذَا الْهَوَىٰ جَلِيلٌ نَفِيسُ  
صَابِرِ الْحَبِّ لَا يُصِرُّكَ فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ تَجْهُمُ وَعَبُوسُ  
وَأَقْلُ اللَّجَاجِ وَاصْبِرْ عَلَى الْجَهِّ لِإِنْ هَذَا الْهَوَىٰ نَعِيمٌ وَبُوسُ  
في هذه الأبيات للمسعودي هزج ذكره لي جحظة وغيره عنه .  
وأما قوله :

تَحِبُّ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ

فقد مضت نسبته في أخبار عليّة .

[مساجلة بينه وبين الرشيد على لسان ماردة]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني محمد بن  
عبد الله بن مالك ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثني أبو العباس  
الكاظم قال : كان الرشيد يحب ماردة جاريتة ، وكان خلّفها بالرقّة ، فلما قدم إلى مدينة  
السلام اشتاقها ، فكتب إليها :

[من المتقارب]

### صوت

سَلامٌ عَلَى النَّازِحِ الْمُغْتَرِبِ تَحِيَّةٌ صَبٌّ بِهِ مَكْتُبُ  
غَزَالٌ مَرَاتُعُهُ بِالْبَلِيخِ إِلَى دَيْرِ زَكَى فَقَصْرِ الْخَشْبِ  
أَيَا مَنْ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ بِتَخْلِيفِهِ طَائِعاً مَنْ أَحَبُّ

1 الكرب في ل : الحب .

2 التحريش : الحك والدلك بمشط ونحوه .

سَأَسْتَرُ وَالسَّتْرُ مِنْ شِمْتِي هَوَى مَنْ أَحَبُّ بَمَنْ لَا أَحِبُّ  
 فلما ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشطرنجي صاحب عليّة ، فأجاب الرشيد عنها  
 بهذه الأبيات ، فقال :

أتاني كتابك يا سيدي	وفيه العجائب كلّ العجب
أترعّم أنّك لي عاشق	وأنتك بي مُستهامٌ وصب
فلو كان هذا كذا لم تكن	لتركني نُهْزَةً للكُرب
وأنتَ ببغدادَ ترعى بها	نباتَ اللّذاذةِ مع مَنْ تُحب
فيا مَنْ جفاني ولم أجفه	ويا مَنْ شجاني بما في الكتب
كتابك قد زادني صَبوةً	وأُسعَرَ قلبي بحرَ اللّهب
فهَبْنِي نَعْمَ قد كتمتُ الهوى	فكيف بكتمانٍ دَمَعٍ سَرَب
ولولا اتقائك يا سيدي	لوافتك بي النّاجيات النُّجُب <sup>1</sup>

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد ، حتى حدّرها<sup>2</sup> إلى بغداد في  
 الفرات ، وأمر المغنين جميعاً ، فغنّوا في شعره .

قال الأصفهانيّ : فمِمَّنْ غنّى فيه إبراهيم الموصليّ ؛ غنّى فيه لحنين ، أحدهما ماخوريّ ،  
 والآخر ثاني ثقل عن الهشاميّ . وغنّى يحيى بن سعد بن بكر بن صَغير العين فيه رملًا . ولابن  
 جامع فيه رمل بالبنصر ، ولفليح بن العوراء ثاني ثقل بالوسطى ، وللمعلّى خفيف رمل  
 بالوسطى ، ولحسين بن محرز هزج بالوسطى ، ولأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر ، هذه  
 الحكايات كلّها عن الهشاميّ ، وقال : كان المختار من هذه الألحان كلّها عند الرشيد الذي  
 اشتهاها منها وارتضاه لحن سليم .

[يصلح بين الرشيد وعليّة بشعره]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ، قال : حدّثني محمد بن يزيد النحويّ ، قال :  
 حدّثني جماعة من كتاب السلطان : أنّ الرشيد غضب على عليّة بنت المهديّ ، فأمرت أبا  
 حفص الشطرنجيّ شاعرَها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد ، ويسأله الرضا عنها ،  
 فيستعطفه لها فقال :

1 الناجيات النُّجُب : الإبل الأصيلّة المسرعة .

2 حدر الشيء : دحرجه من علو إلى أسفل .

## صوت

لو كان يمنعُ حسنُ العقلِ صاحبهُ      من أن يكونَ له ذنبٌ إلى أحدٍ  
كانتِ عُليَّةُ أبرأ الناسِ كلَّهمُ      من أن تُكافأ بسوءِ آخرِ الأبدِ<sup>1</sup>  
ما لي إذا غبتُ لم أذكرِ بواحدةٍ      وإن سَقِمتُ فطال السُّقمُ لم أُعَدِ  
ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحرِّمهُ      قد كنتُ أحسبُ أني قد ملأتُ يدي

فأتاها بالأبيات ، فاستَحَسَنَتها ، وغَنَّت فيها ، وألَقَت الغناء على جماعة من جوارِي الرشيد ، فغَنِّيَنه إِيَّاه في أوَّل مجلس جلس فيه معهن ، فطَرِبَ طرباً شديداً ، وسألهن عن القصة ، فأخبرنه بها ، فبعث إليها ، فحضرت ، فقبَّلَ رأسها ، واعتذرت ، فقبَّلَ عُذْرَها ، وسألها إعادةَ الصوت ، فأعادته عليه ، فبكى ، وقال : لا جرمَ أني لا أغضب أبداً عليك ما عشت .

[بينان في دنائير بمائتي دينار]

حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى ، عن عمرو بن بانه ، قال : دخل أبو حفص الشَّطرنجيّ على يحيى بن خالد ، وعنده ابن جامع ، وهو يلقي على دنائير صوتاً أمره يحيى بإلقائه عليها ، وقال لأبي حفص : قل في دنائير بيتين يغني فيهما ابن جامع ، ولك بكل بيت مائة دينار إن جاءت كما أريد ، فقال أبو حفص : [من السريع]

## صوت

أشبهك المسكُ وأشبهتهُ      قائمةً في لونه قاعدةُ  
لا شكَّ إذ لونكما واحدٌ      أنكما من طينةٍ واحدةُ

قال : فأمر له يحيى بمائة دينار ، وغَنَّى فيهما ابنُ جامع .

قال الأصمغانيّ : لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج .

[صديق حميم لأسرة الخليفة]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان أبو حفص الشَّطرنجيّ ينادم أبا عيسى بن الرشيد ، ويقول له الشعر ، فينتحله ، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأخته ، وكذلك بعُليَّة عمَّتهم .

[يعاتب عيسى بن الرشيد]

وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأنسون به ، فمرض ، فعادوه جميعاً سوى أبي عيسى فكتب إليه :

إخاء أبي عيسى إخاء ابن ضرّة      ووُدِّي وُدّ لابن أمّ ووالد  
ألم يأتِه أنّ التّأدّب نسبة      تلاصق أهواء الرّجال الأبعد  
فما باله مُستعذباً من جفائنا      موارد لم تعذب لنا من موارد  
أقمت ثلاثاً حلف حمى مُضرة      فلم أره في أهل وُدّي وعائدي  
سلام هي الدّنيا قروض وإنما      أخوك مُديم الوصل عند الشّدائد

[بيتان ليسا له]

حدّثني جعفر بن الحسين ، قال : حدّثني ميمون بن هارون ، قال : حدّثنا أبي عن أبي حفص الشطرنجي : قال : قال لي الرشيد يوماً : يا حبيبي ، لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتهما ، قلت : ما هما يا سيّدي ؟ فمِن شرفهما استحسانك لهما ، فقال : قولك : [من الكامل]

### صوت

لم ألقَ ذا شَجَن يَوح بِجُبه      إلّا حَسِيتُكَ ذلكَ المحبوا  
حذراً عليك وإنّي بك واثق      إلّا ينال سواي منك نصيبا  
فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس لي ، هما للعبّاس بن الأحنف ، فقال : صدّقك والله أعجب إليّ ، وأحسنُ منهما بيتاك حيث تقول :

إذا سرّها أمرٌ وفيه مساءتي      قضيتُ لها فيما تريدُ على نفسي  
وما مرَّ يومٌ أرتجي فيه راحةً      فأذكره إلّا بكيتُ على أمسي  
في البيتين الأولين اللذين للعبّاس بن الأحنف ثقیل لإبراهيم الموصليّ ، وفيهما لابن جامع رملٌ عن الهشاميّ ، الروايتان جميعاً لعبد الرحمن ، وفي أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غيرُ مجنّس .

[ينعى نفسه قبل أن يموت]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدّثني الحسين بن يحيى ، قال ، حدّثني عبد الله بن الفضل ، قال : دخلت على أبي حفص الشطرنجيّ شاعرٌ عُليّة بنت المهديّ أعوده في علّته التي مات فيها ، قال : فجلست عنده فأنشدني لنفسه :

[من المتقارب]

## صوت

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ      وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ  
فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِدَاعِي الْفَنَاءِ      فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ  
أَلْسَنَا نَرَى شَهَوَاتِ النَّفْوِ      سَ تَفْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ  
وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبُ      فَعَاشِ الْمَرِيضُ وَمَاتِ الطَّيِّبُ  
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ      فَكَيْفَ تَرَى حَال مَنْ لَا يَتُوبُ؟  
غَنَى فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي إِبْرَاهِيمَ هَزَجًا .  
انْقَضَتْ أَخْبَارُهُ .

## صوت

[من الهزج]

أَبَى لَيْلَى أَنْ يَذْهَبُ      وَنِيطَ الطَّرْفُ بِالْكُوكَبِ  
وَنَجْمٍ دُونَهُ النَّسْرَا      نِ يَنْ الدَّلْوِ وَالْعَقْرَبُ<sup>1</sup>  
وَهَذَا الصُّبْحُ لَا يَأْتِي      وَلَا يَدْنُو وَلَا يَقْرُبُ

الشعر لأُمَيمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى .

[تسرق لحن إسحاق وهو سكران]

أخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحوي ، قالا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ :  
التَّقِيْتُ مَعَ دِمْنٍ جَارِيَةِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ يَوْمًا ، فَقُلْتُ لَهَا : أَسْمِعِينِي شَيْئًا أَخَذْتَهُ مِنْ  
إِسْحَاقَ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ مِنْ جَوَارِيهِ أَخَذَ مِنْهُ صَوْتًا قَطٌّ وَلَا أَلْقَى عَلَيْنَا شَيْئًا قَطٌّ وَإِنَّمَا  
كَانَ يَأْمُرُ مَنْ أَخَذَ مِنْهُ مِنَ الرِّجَالِ مِثْلَ مَخَارِقَ وَعُلُويَّةَ وَوَجْهَ الْقِرْعَةِ الْخَزَاعِيِّ وَجَوَارِي  
الْحَارِثِ بْنِ بَسْخَرٍ أَنْ يَلْقُوا عَلَيْنَا مَا يَخْتَارُونَ مِنْ أَغَانِيهِمْ ، وَأَمَّا عَنْهُ فَمَا أَخَذْتُ شَيْئًا قَطٌّ إِلَّا  
لَيْلَةً ، فَإِنَّهُ انْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ الْمُعْتَصِمِ ، وَهُوَ سَكَرَانٌ ، فَقَالَ لِلْخَادِمِ الْقِيَمِ عَلَى حُرْمَةٍ : جِئْنِي  
بِدِمْنٍ ، فَجَاءَنِي الْخَادِمُ ، فَدَعَانِي ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ ، فَإِذَا هُوَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَنَامُ فِيهِ ، وَهُوَ  
يَصْنَعُ فِي هَذَا الشَّعْرِ :

[من الهزج]

أَبَى لَيْلَى أَنْ يَذْهَبُ      وَنِيطَ الطَّرْفُ بِالْكُوكَبِ

1 النسران : مجموعتان من النجوم تقعان في النصف الشمالي من القبة السماوية .

وهو يتزايد فيه ، ويقومه ، حتى استوى له ، ثم قام إلى عودٍ مصلحٍ معلقٍ كان يكون في بيت منامه ، فأخذه ، فغنى الصوت ، حتى صحَّ له ، واستقام عليه ، وأخذته عنه ، فلما فرغ منه قال : أين دمن ؟ فقلت : هو ذا أنا هاهنا ، فارتاع ، وقال : مُذْ كَمْ أَنْتِ هاهنا ؟ قلت : مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدك ، فقال : خذي العود ، فغنيه ، فأخذته ، فغنيتها ، حتى فرغت منه ، وهو يكاد أن يتميَّز غيظاً ، ثم قال : قد بقي عليك فيه شيء كثير ، وأنا أصلحه لك ، فقلت : أنا مستغنية عن إصلاحك ، فأصلحه لنفسك ، فاضطجع في فراشه ونام ، وانصرفت ، فمكث أياماً إذا رأني قطب وجهه .

وهذا الشعر تقوله أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به مَنْ قُتِلَ في حروب الفِجار<sup>1</sup> من قريش .

1 الفِجار : جمع فجرة ، وإِنَّمَا سُمِّيَتْ بذلك لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَلَأَن قِيساً لَمَّا انْهَزَمَتْ فِيهِ قَالَتْ : « قَدْ فَجَرْنَا » .

## [ 463 ] - ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ ونسب أميمة بنت عبد شمس

[نسب أميمة]

أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأمها تفرّخت بنت عبيد بن رواح بن كلاب ، وكانت عند حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلمي ، فولدت له أمية بنت حارثة .

وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في أربعة أعوام متواليات ، ولم يكن لقريش في أولها مدخل ، ثم التحقت بها .

فأما الفجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام ، ولم تسم باسم لشهرتها .  
وأما الفجار الثاني فإنه كان أعظمهما ؛ لأنهم استحلوا فيه الحرم ، وكانت أيامه يوم نخلة ، وهو الذي لم يشهده رسول الله ﷺ منها ، وشهد سائرهما ، وكان الرؤساء فيه حرب بن أمية في القلب ، وعبد الله بن جُدعان ، وهشام بن المغيرة في المجنبتين ثم يوم شمطة ، ثم يوم العباء ، ثم يوم عكاظ ، ثم يوم الحرة .  
[ما الذي أدى إلى حرب الفجار]

قال أبو عبيدة : كان أول أمر الفجار أن بدر بن معشر الغفاري أحد بني غفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان رجلاً منيعاً مستطيلاً يمتنع على من ورد عكاظ ، فاتخذ مجلساً بسوق عكاظ ، وقعد فيه وجعل يبدخ<sup>1</sup> على الناس ويقول : [من الرجز]

نحن بنو مدركة بن خندف      من يطعنوا في عينه لا يطرف<sup>2</sup>

ومن يكونوا قومَه يُغَطِر<sup>3</sup>      كأنهم لُجَّةٌ بحرٍ مُسَدِف<sup>3</sup>

وبدر بن معشر باسطٌ رجليه ، يقول أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز مني فليضرب هذه بالسيف ، فهو أعز مني ، فوثب رجل من بني نصر بن معاوية ، يقال له الأحمر بن مازن بن أوس بن النابغة ، فضربه بالسيف على ركبته ، فأندرها<sup>4</sup> ، ثم قال : خذها إليك

1 يبدخ : يفخر ويغالي في فخره .

2 لا يطرف : من طرف البصر : تحرك جفناه .

3 يغطرف : من الغطرفة بمعنى التيه والخيلا . مسدِف : مظلم .

4 أندرها : فصلها .



إِيَّهَا الْمَخْدِفُ ، وهو ماسك سيفه ، وقام أيضاً رجل من هَوَازِنَ ، فقال : [من الرجز]  
 أَنَا ابْنُ هَمْدَانَ ذُوِي النَّغْطَرِ بِحَرِّ بِحُورٍ زَاخِرٍ لَمْ يُنْزَفِ  
 نَحْنُ ضَرَبْنَا رَكْبَةَ الْمَخْدِفِ إِذْ مَدَّهَا فِي أَشْهُرِ الْمَعْرِفِ<sup>1</sup>  
 وفي هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها .

[اليوم الثاني من أيام الفجار الأول]

ثم كان اليوم الثاني من أيام الفجار الأول ، وكان السبب في ذلك أَنَّ شَبَاباً من قريش وبني كنانة كانوا ذوي غرام ، فأرأوا امرأة من بني عامرٍ جميلةً وسيمَةً ، وهي جالسة بسوق عكاظ في درع وهي فَضْلُ<sup>2</sup> عليها برقع لها ، وقد اكتنفها شباب من العرب ، وهي تحدّثهم ، فجاء الشباب من بني كنانة وقريش ، فأطافوا بها ، وسألوها أَنْ تُسْفِرَ فَأَبَتْ ، فقام أحدهم ، فجلس خلفها ، وحل طرف ردائها ، وشدّه إلى فوق حُجَزَتِهَا<sup>3</sup> بشوكة ، وهي لا تعلم ، فلمّا قامت انكشف درعها عن دبرها ، فضحكوا وقالوا : منعنا النظر إلى وجهك ، وجُدّت لنا بالنظر إلى دبرك ، فنادتْ يا آل عامر ! فثاروا ، وحملوا السلاح ، وحملته كنانة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ووقعت بينهم دماء ، فتوسّط حربُ بَنُ أُمَيَّة ، واحتمل دماء القوم ، وأرضى بني عامر من مثَلَةٍ صاحبته .

[اليوم الثالث من أيام الفجار الأول]

ثم كان اليوم الثالث من الفجار الأول ، وكان سببه أَنَّهُ كان لرجل من بني جُشَمِ بن بكر بن هوازِنَ ذَيْنَ على رجل من بني كنانة فلوَاهُ<sup>4</sup> به ، وطال اقتضاؤه إِيَّاهُ ، فلم يُعْطِهِ شيئاً ، فلمّا أَعْيَاه ، وافاه الجشمي في سوق عكاظ بِقِرْدٍ ، ثم جعل ينادي : مَنْ يبيعني مثل هذا الرُّبَاحِ<sup>5</sup> بما لي على فلان بن فلان الكناني ؟ مَنْ يعطيني مثل هذا بما لي على فلان بن فلان الكناني ؟ رافعاً صوته بذلك ، فلمّا طال نداؤه بذلك وتعيّره به كنانة مرّاً به رجل منهم ، ف ضرب القردَ بسيفه ، فقتله ، فهتف به الجشمي : يا آل هوازِنَ ، وهتف الكناني : يا آل كنانة ، فتجمع الحيان فاقتتلوا ، حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفوا : وقالوا : أفي رُبَاحٍ تريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ، وحمل ابنُ جُدْعَانَ ذلك في ماله بين الفريقين .

1 في أشهر المعرف : في أشهر الوقوف بعرفات .

2 فضل : امرأة فَضْلُ أي مختلة تُسبل من طرف ردائها .

3 الحجرة : معقد تكة السراويل .

4 لوَاه : ماطله .

5 الرُّبَاح : الذكر من القروء .

[اليوم الأول من أيام الفجار الثاني]

قال : ثم كان يوم الفجار الثاني ، وأول يوم حروبه يوم نخلة ، وبينه وبين مبعث النبي ﷺ ستّ وعشرون سنة ، وشهد النبي ﷺ ذلك اليوم مع قومه ، وله أربع عشرة سنة ، وكان يناول عمومته النبل ، هذا قول أبي عبيدة . وقال غيره : بل شهدها ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة .

قال أبو عبيدة : كان الذي هاج هذه الحرب يوم الفجار الآخر ، أن البراض بن قيس بن رافع ، أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكيراً فاسقاً ، خلعه قومه ، وتبرعوا منه فشرب في بني الدليل ، فخلعوه ، فأتى مكة ، وأتى قريشاً ، فنزل على حرب بن أمية ، فحالفه فأحسن حربٌ جواره ، وشرب بمكة ، حتى همَّ حربٌ أن يخلعه ، فقال لحرب : إنه لم يبق أحد ، ممن يعرفني إلا خلعتني سواك ، وإنك إن خلعتني لم ينظر إلي أحد بعدك ، فدعني على حلفك ، وأنا خارج عنك ، فتركه ، وخرج ، فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة .

[لطيمة النعمان]

وكان النعمان يبعث إلى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة<sup>1</sup> يُجيزها له سيّد مضر ، فتباع ، ويُشترى له بثمانها الأدم والحريّ والوكاء والحذاء والبرود من العصب<sup>2</sup> والوشي والمسير<sup>3</sup> والعَدَنِي ، وكانت سوق عكاظ في أول ذي القعدة ، فلا تزال قائمة يُباع فيها ويُشترى إلى حضور الحج ، وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة أميال ، وبها نخل وأموال لثقيف ، فجهز النعمان لطيمة له ، وقال : من يجيزها ؟ فقال البراض : أنا أُجيزها على بني كنانة ، فقال النعمان : إنما أُريد رجلاً يجيزها على أهل نجد ، فقال عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذ رجل من هوازن : أنا أُجيزها - أبيت اللعن - فقال له البراض : من بني كنانة تجيزها يا عروة ؟ قال : نعم ، وعلى الناس جميعاً أفكلبُ خليع يجيزها !

[البراض يقتل عروة]

قال : ثم شخص بها ، وشخص البراض ، وعروة يرى مكانه ، لا يخشاه على ما صنع ، حتى إذا كان بين ظهريّ غطفان إلى جانب فذك ، بأرض يقال لها أواره قريب من الوادي الذي يقال له تيمَن نام عروة في ظلّ شجرة ، ووجد البراضُ غفلته ، فقتله وهرب في عضاريط<sup>4</sup> الركاب ، فاستاق الركاب ، وقال البراض في ذلك : [من الوافر]

1 اللطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة .

2 قد يكون العصب من الخرز في القلادة ، أو البرود اليمانية .

3 المسير : ثوب به خطوط من القز والحري ونحو ذلك .

4 العضاريط : جمع عضروط ، وهو الخادم أو الأجير .

وداهية يُّهال الناسُ منها      شددتُ لها بني بكر ضلوعي  
هتكتُ بها بيوتَ بني كلاب      وأرضعتُ الموالي بالضروع  
جمعتُ لها يديَّ بنصل سيفٍ      أفلَ فخرٌ كالجدع الصريع<sup>1</sup>

وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

نقمتُ على المرء الكلابي فخره      وكنت قديماً لا أقرُّ فخارا  
علوتُ بحدِّ السيف مفرق رأسه      فأسمع أهلَ الوادين خوارا

قال : وأمَّ عروة الرِّحالُ نُفيرةُ بنت أبي ربيعة بن نُهَيْك بن هلال بن عامر بن صعصعة ، فقال لبيد بن ربيعة يحضُّ على الطلب بدمه : [من الوافر]

فأبلغُ إن عرضتَ بني نُمَيْرٍ      وأحوالَ القتيلِ بني هلالٍ  
بأنَّ الوافدَ الرِّحالُ أضحى      مقيماً عند تيمَنَ ذي الظُّلالِ

قال أبو عبيدة : فحدثني أبو عمرو بن العلاء ، قال : لقي البرَّاضُ بشرَ بن أبي خازم ، فقال له : هذه القلائص لك على أن تأتي حربَ بن أمية وعبد الله بن جُدعان وهشاماً والوليد ابني المغيرة ، فتحبرهم أن البرَّاض قتل عروة ، فإني أخاف أن يسبق الخبرُ إلى قيس أن يكتموه . حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً . فقال له : وما يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل ؟ قال : إن هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طريداً من بني ضُمرة ، قال : ومرَّ بهما الحليس بنُ يزيد أحدُ بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيدُ الأحابيش من بني كنانة . والأحابيشُ من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو نَفْثة بن الذَّيل ، وبنو لحيان من خزاعة ، والقارة ، وهو أثيع بن الهون بن خزيمة ، وعَضَل بن دَمَس بن محمِّل بن عائذ بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة ، فقال لهم الحليس : ما لي أراكم نجياً<sup>2</sup> ؟ فأخبروه الخبر ، ثم ارتحلوا ، وكنتموا الخبر على اتفاق منهم .

[وفاء ابن جُدعان]

قال : وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جُدعان ، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجَّهم ثم يردُّها عليهم إذا ظعنوا ، وكان سيِّداً حكيماً مثيراً من المال . فجاءه القوم ، فأخبروه خبر البرَّاض وقتله عروة ، وأخبروا حربَ بن أمية وهشاماً والوليد ابني المغيرة ، فجاء حرب إلى عبد الله بن جُدعان ، فقال له : احتبس قبلك سلاح

1 أفل : به فلول من كثرة الصراع .

2 نجياً : من النجوى أي متناجين .

هوازن ، فقال له ابنُ جُدعان : أبا الغدَرُ تأمرني يا حرب ؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيفٌ إلا ضُربتُ به ، ولا رمحٌ إلا طُعِنْتُ به ما أمسكتُ منها شيئاً ، ولكن لكم مائة درع ، ومائة رمح ، ومائة سيف في مالي تستعينون بها ، ثم صاح ابنُ جُدعان في الناس مَنْ كان له قِلي سلاح فليأتِ ، وليأخذه ، فأخذ الناس أسلحتهم .

[عدم جدوى خداع هوازن]

ويبعث ابنُ جُدعان وحربُ بنُ أمية وهشامُ والوليدُ إلى أبي براء : إنه قد كان بعد خروجنا حرب ، وقد خِفنا تفاقم الأمر ، فلا تُنكروا خروجنا ، وساروا راجعين إلى مكّة ، فلمّا كان آخرَ النهار بلغَ أبا براء قتلُ البراضِ عُرْوَةَ ، فقال : خدعني حربٌ وابنُ جُدعان ، وركبَ فيمَن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم ، فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنّ عليهم الليل ، فكفّوا ، ونادى الأذرمُ بن شعيب ، أحدُ بني عامر بن ربيعة بن صعصعة : يا معشر قريش ، ميعادُ ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ ، وكان يومئذٍ رؤساء قريش حربُ بنُ أمية في القلب ، وابنُ جُدعان في إحدى المجنبتين ، وهشامُ بنُ المغيرة في الأخرى ، وكان رؤساء قيس عامرُ بن مالك ، ملاعبُ الأسيّة على بني عامر ، وكذا أم بنُ عُمير على فهم وعدوان ، ومسعودُ بن سهم على ثقيف ، وسبيعُ بن ربيعة النصري على بني نصر بن معاوية ، والصّمّةُ بن الحارث ، وهو أبو دُرَيْدِ بن الصّمّة على بني جُشم ، وكانت الراية مع حرب بن أمية ، وهي راية قُصَيّ التي يقال لها العقاب .

[ما قاله خدّاش بن زهير في هذه الحرب]

فقال في ذلك خدّاشُ بن زهير :

يا شِدَّةَ ما شدّدنا غيرَ كاذبةٍ	على سَخِينَةٍ لولا الليلُ والحرمُ <sup>1</sup>
إذ يَتَقِينا هشامُ بالوليد ولو	أنّا تَقِفنا هشاماً شالت الخدمُ <sup>2</sup>
بين الأراكِ وبين المرج تبطّحهم	زُرُقُ الأسيّة في أطرافها السُّهمُ <sup>3</sup>
فإن سمعتم بجيش سالكٍ سرفاً	وبطنٍ مرٍّ فأخفوا الجرس واكْتَبِمُوا <sup>4</sup>

[عبد الملك يستنشد شعر خدّاش]

وزعموا أنّ عبد الملك بن مروان استنشد رجلاً من قيس هذه الكلمة ، فجعل يحيد عن

1 الشدّة : يريد بها الهجوم . سخينة : لقب يطلق على قريش ، وهو في الأصل طعام كانت تنخذه .

2 هشام : هشام بن المغيرة ، والوليد : أخوه . شالت : ارتفعت . الخدم : جمع خدمة ، وهي الخلعة المحكمة .

3 السُّهم : الحرارة الغالبة .

4 سرف ، وبطن مر : مكانان .

قوله : «سَخِينَة» ، فقال عبد الملك : إنا قوم لم يزل يعجبنا السُّخْنُ ، فهات ، فلما فرغ قال : يا أبا قيس ، ما أرى صاحبك زاد على التمني والاستنشاء .

[البراض يقدم باللطيمة]

قال : وقَدِمَ البراض باللطيمة مَكَّةَ ، وكان يأكلها ، وكان عامر بنُ يزيد بن الملوِّح بن يعمر الكِنَانِي نازلاً في أخواله من بني نُمَيْر بن عامر ، وكان ناكحاً فيهم ، فهمت بنو كلاب بقتله ، فمَنَعته بنو نمير ، ثم شخصوا به حتى نزل في قومه ، واستَغَوَتْ<sup>1</sup> كنانة بني أسد وبني نمير واستغاثوا بهم ، فلم تغتهم ، ولم يشهد الفجار أحد من هذين الحيين .

[اليوم الثاني من الفجار الثاني]

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الثاني ؛ وهو يوم شمطة ، فتجمعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة ، والأحابيش ، وأعطت قريش رؤوس القبائل أسلحة تامة وأعطى عبد الله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامة وأداة ، وجمعت هوازن ، وخرجت ، فلم تخرج معهم كلاب ولا كعب ، ولا شهد هذان البطنان من أيام الفجار إلا يوم نخلة مع أبي براء عامر بن مالك ، وكان القوم جميعاً متساندين ، على كل قبيلة سيدهم .

[قواد قريش ومن معهم]

فكان على بني هاشم وبني المطلب ولقهم<sup>2</sup> الزبير بن عبد المطلب ، ومعهم النبي ﷺ ، إلا أن بني المطلب ، وإن كانوا مع بني هاشم ، كان يرأسهم الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ورجل منهم ، وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وأم الزبير الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف ، وكان على بني عبد شمس ولقها حرب بن أمية ومعه أخواه أبو سفيان وسفيان ، ومعهم بنو نوفل بن عبد مناف ، يرأسهم بعد حرب مُطعم بن عدي بن نوفل ، وكان على بني عبد الدار ولقها خويلد بن أسد وعثمان بن الحويرث ، وكان على بني زهرة ولقها مخزومة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان ، وكان على بني تيم بن مرة ولقها عبد الله بن جُدعان ، وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة ، وعلى بني سهم العاصي بن وائل ، وعلى بني جُمح ولقها أمية بن خلف ، وعلى بني عدي زيد بن عمرو بن نفيل ، والخطاب بن نفيل عمه ، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس بن عبد ود أبو سهل بن عمرو ، وعلى بني الحارث بن فهر عبد الله بن الجراح أبو أبي عبيدة عامر بن

1 استغوت كنانة بني أسد : أغوتهم بجرهم إلى الحرب .

2 اللف : الجماعة والأخلاق من الناس .

عبد الله بن الجراح ، وعلى بني بكر بلعاء بن قيس ، ومات في تلك الأيام ، وكان جثامة بن قيس أخوه مكانه ، وعلى الأحابيش الحليس بن يزيد .  
[قواد هوازن ومن معهم]

وكانت هوازن متساندين كذلك ، وكان عطية بن عفيف النصري على بني نصر بن معاوية ، وقيل : بل كان عليهم أبو أسماء بن الضريبة ، وكان الخنيسق الجشمي على بني جشم وسعد ابن بني بكر ، وكان وهب بن معتب على ثقيف ، ومعه أخوه مسعود ، وكان على بني عامر بن ربيعة وحلفائهم من بني جسر بن محارب سلمة بن إسماعيل : أحد بني البكاء ، ومعه خالد بن هوزة : أحد بني الحارث بن ربيعة ، وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة ربيعة بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر .  
[هوازن تسبق قريشاً وترجع كفتها]

قال : فسبقت هوازن قريشاً ، فنزلت شمطة من عكاظ ، وظنوا أن كنانة لم توافهم ، وأقبلت قريش ، فنزلت من دون المسيل ، وجعل حرب بني كنانة في بطن الوادي ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم ، ولو أبيحت<sup>1</sup> قريش ، فكانت هوازن من وراء المسيل .

قال أبو عبيدة : فحدثني أبو عمرو بن العلاء : قال : كان ابن جُدعان في إحدى المجنبتين ، وفي الأخرى هشام بن المغيرة ، وحرب في القلب ، وكانت الدائرة في أول النهار لكنانة ، فلما كان آخر النهار تداعت هوازن ، وصبروا واستحروا القتل في قريش ، فلما رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة ، وهم في بطن الوادي ، مالوا إلى قريش ، وتركوا مكانهم ، فلما استحروا القتل بهم قال أبو مساحق بلعاء بن قيس لقومه : ألحقوا برحمة ، وهو جبل ، ففعلوا ، وانهزم الناس .

[الرسول ﷺ يحضر هذه الحرب]

وكان رسول الله ﷺ لا يصير في فئة إلا انهزم من يحاذيها ، فقال حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان : ألا ترون إلى هذا الغلام ما يحميل على فئة إلا انهزمت ؟  
[شعر خدش في المعركة]

وفي ذلك يقول خدش بن زهير في كلمة له :

فأبلغ إن عرضت بنا هشاماً      وعبد الله أبلغ والوليدا  
أولئك إن يكن في الناس خيرٌ      فإن لديهم حسباً وجوداً

1 ولو أبيحت : ولو دارت الدائرة عليها .

هُمُ خَيْرُ الْمَعَاشِرِ مِنْ قَرِيشٍ وَأُورَاهَا إِذَا قُدِحَتْ زَنُودَا  
بَأْتَا يَوْمَ شَمْطَةٍ قَدْ أَقْمَنَا عَمُودَ الْمَجْدِ إِنَّ لَهُ عَمُودَا  
جَلَبْنَا الْخَيْلَ سَاهِمَةً إِلَيْهِمْ عَوَابِسَ يَذَرُغْنَ النَّقَعَ قُودَا<sup>1</sup>  
فَبِتْنَا نَعْقِدُ السَّيِّمَا وَبَاتُوا وَقَلْنَا : صَبِّحُوا الْآنَسَ الْحَدِيدَا<sup>2</sup>  
فَجَاؤُوا عَارِضاً بَرِداً وَجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتَ فِي الْغَابِ الْوَقُودَا  
وَنَادُوا : يَا لَعْمَرُو لَا تَفِرُّوَا فَقَلْنَا : لَا فِرَارَ وَلَا صُدُودَا  
قوله : نَعْقِدُ السَّيِّمَا أَيِ العَلَامَاتِ .

فَعَارَكُنَا الْكُمَاةَ وَعَارَكُونَا عِرَاكَ النَّمْرِ عَارَكَتِ الْأَسُودَا  
فَوَلُّوْا نَضْرِبُ الْهَامَاتِ مِنْهُمْ بِمَا اتَّهَكُوا الْحَارِمَ وَالْحُدُودَا  
تَرَكْنَا بَطْنَ شَمْطَةٍ مِنْ عِلَاءٍ كَأَنَّ خِلَافَهَا مَعَزَاً شَرِيدَا  
وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ هَزَمُوا وَفُلُّوَا وَلَا كَذِبَادِنَا عَنَقَاً مَذُودَا<sup>3</sup>

قوله : يَا لَعْمَرُو ، يعني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

[اليوم الثالث يوم العبلاء]

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار ، وهو يوم العبلاء ، فجمع القوم بعضهم لبعض ،  
والتقوا على قرن الحول بالعبلاء ، وهو موضع قريب من عكاظ ، وروؤساؤهم يومئذ على ما  
كانوا عليه يوم شَمْطَةٍ ، وكذلك مَنْ كان على المجنبتين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت  
كنانة .

[شعر خدش في المعركة أيضاً]

فَقَالَ خَدَّاشُ بْنُ زَهِيرٍ فِي ذَلِكَ : [من الوافر]

أَلَمْ يَلْغُكْ بِالْعَبْلَاءِ أَنَّا ضَرَبْنَا خِنْدِفًا حَتَّى اسْتَقَادُوا<sup>4</sup>  
نُبْنِي بِالْمَنَازِلِ عِزَّ قَيْسٍ وَوَدُّوا لَوْ تَسِيخُ بَنَى الْبِلَادِ<sup>5</sup>

وَقَالَ أَيْضاً : [من الوافر]

1 سَاهِمَةٌ : ضامرة . قودا : جمع أقود ، وهو السلس القياد ، أو الطويل العنق والظهر .

2 صَبِّحُوا الْقَوْمَ الْحَدِيدَ : أَيِ عَاجِلُوهُمْ بِالْحَدِيدِ بَدَلَ شَرَبِ اللَّبَنِ أَوْ الْخَمْرِ .

3 الْعِنَقُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .

4 اسْتَقَادُوا : انْقَادُوا وَخَضَعُوا .

5 تَسِيخٌ : تَخْسِفٌ .

أَلَمْ يَلْعَكْ مَا لَأَقَتْ قَرِيشٌ      وَحِيٌّ بَنِي كِنَانَةَ إِذْ أَثِيرُوا<sup>1</sup>  
 دَهْنَاهُمْ بِأَرْعَنَ مَكْفَهْرٌ      فَظَلَّ بَنَا بَعْقَوْتِهِمْ زَيْرٌ<sup>1</sup>  
 نَقُومُ مَارِنَ الْخَطِيّ فِيهِمْ      يَجِيءُ عَلَى أَسْتِنَا الْخَرِيرُ<sup>2</sup>

[اليوم الرابع يوم عكاظ]

ثم كان اليوم الرابع من أيامهم ، يوم عكاظ ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول ، وفيه جمع بعضهم لبعض ، واحتشدوا ، والرؤساء بحالهم ، وحمل عبد الله بن جُدعان يومئذ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير .

[العنابس من أولاد أُمَيّة]

وَحَشِييت قَرِيشٌ أَنْ يَجْرَى عَلَيْهَا مِثْلُ مَا جَرَى يَوْمَ الْعَبْلَاءِ ، فَقَيْدَ حَرْبٍ وَسَفِيَانُ وَأَبُو سَفِيَانِ بَنُو أُمَيّةِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ أَنْفُسَهُمْ ، وَقَالُوا : لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَمُوتَ مَكَانَنَا ، وَعَلَى أَبِي سَفِيَانِ يَوْمئِذٍ دِرْعَانٍ قَدْ ظَاهَرَ بَيْنَهُمَا<sup>3</sup> ، وَزَعَمَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ أَنَّ أَبَا سَفِيَانِ بْنِ أُمَيّةِ خَاصَةً قَيْدَ نَفْسِهِ ، فَسُمِّيَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ يَوْمئِذٍ : الْعَنَابِسُ ، وَهِيَ الْأَسْوَدُ وَاحِدُهَا عَنَبَسَةٌ ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ يَوْمئِذٍ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَتَبَّتِ الْفَرِيقَانِ ، حَتَّى هَمَّتْ بَنُو بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ وَسَائِرُ بَطُونِ كِنَانَةَ بِالْهَرَبِ ، وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ تَلِي كِنَانَةَ ، فَحَافِظَتْ حِفَظًا شَدِيدًا ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ يَوْمئِذٍ بَنُو الْمُغِيرَةِ ، فَإِنَّهُمْ صَبَرُوا ، وَأَبْلَوْا بَلَاءً حَسَنًا ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ مَنَاةَ مِنْ كِنَانَةَ تَذَامَرُوا<sup>4</sup> فَرَجَعُوا وَحَمَلَ بِلْعَاءِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ يَقُولُ :

[من المنسرح]

إِنَّ عُكَازَ مَاوَنَا فَخْلُوهُ      وَذَا الْمَجَازَ بَعْدَ أَنْ تَحْلُوهُ<sup>5</sup>

[مبارزة يهزم فيها رئيس الأحابيش]

وَخَرَجَ الْحُلَيْسُ بْنُ يَزِيدٍ : أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، وَهُوَ رَئِيسُ الْأَحَابِيشِ يَوْمئِذٍ ، فَدَعَا إِلَى الْمُبَارَازَةِ فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْحَدَّثَانُ بْنُ سَعْدِ النَّصْرِيِّ ، فَطَعَنَهُ الْحَدَّثَانُ ، فَدَقَّ عِضْدَهُ وَتَحَاجَزَا .

[الدائرة تدور على قيس]

وَاقْتَتَلَ الْقَوْمُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَمَلَتْ قَرِيشٌ وَكِنَانَةُ عَلَى قَيْسٍ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، فَانْهَزَمَتْ

1 جيش أَرَعَنَ : عَظِيمُ جَرَارٍ . الْعَقْوَةُ : الْمَكَانُ الْمُنْفَسَحُ أَمَامَ الْحَلَةِ .

2 مَارِنَ الْخَطِيّ : الرَّمَاحُ اللَّدْنَةُ . الْخَرِيرُ : خَرِيرُ الدَّمِ الْمُنْبَثِقِ مِنَ الطَّعْنَةِ .

3 ظَاهَرَ بَيْنَهُمَا : جَعَلَ كِلَا مَنِهْمَا مَقْوِيَةً لِلْأُخْرَى .

4 تَذَامَرُوا : حَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الْقِتَالِ .

5 عَكَازٌ وَذُو الْمَجَازِ : مَكَانَانِ مَشْهُورَانِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .



قيسٌ كلّها إلا بني نصر فإنّهم صبروا ، ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دُهمان ، فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا ، وكان عليهم سُبُحُ بن أبي ربيعة ، أحد بني دُهمان ، فعقل نفسه ونادى : يا آل هوازن ، يا آل هوازن ، يا آل نصر ! فلم يعرج عليه أحد ، وأجفلوا منهزمين ، فكرّ بنو أمية خاصة في بني دُهمان ومعهم الخنيسق وقشعة الجشماني ، فقاتلوا فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا .  
[من المستجير بخباء سبيعة]

وكان مسعود بن مُعتب الثقفي قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف خبياء ، وقال لها : مَنْ دخله من قريش فهو آمن ، فجعلت توصيل في خبيائها ، ليتسع ، فقال لها : لا يتجاوزني خباؤك فإنني لا أمضي لك إلا مَنْ أحاط به الخباء ، فأحفظها<sup>1</sup> فقالت : أما والله إنني لأظنّ أنك ستودّ أن لو زدت في توسعته ، فلمّا انهزمت قيس دخلوا خبياءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية جيرانها ، وقال لها : يا عمة ، مَنْ تمسك بأطناب خبيائك ، أو دار حوله فهو آمن ، فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخبيائها ، حتى كثروا جدّاً ، فلم يبق أحد لا نجاة عنده إلا دار بخبيائها فقيّل لذلك الموضع : مدار قيس ، وكان يضرب به المثل ، فتغضب قيس منه ، وكان زوجها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس ، وهو من ثقيف ، قد أخرج معه يومئذ بنيه من سبيعة ، وهم عروة ولوجة ، ونويرة ، والأسود ، فكانوا يدورون ، وهم غلمان ، في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ، ليجيروهم ، فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا .  
[رواية أخرى لخبر خباء سبيعة]

فأخبرني الحرّمي والطوسي : قالوا : حدّثنا الزبير بن بكار ، قال : حدّثني محمد بن الحسن ، عن الحرز بن جعفر وغيره : أن كنانة وقيساً لما توافوا من العام المقبل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعود الثقفي على امرأته سبيعة بنت عبد شمس أم بنيه خبياء ، فرآها تبكي حين تدانى الناس ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : لما يُصاب غداً من قومي ، فقال لها : مَنْ دخل خبياءك فهو آمن ، فجعلت توصيل فيه القطعة بعد القطعة والخرقّة والشيء ليتسع ، فخرج وهب بن مُعتب حتى وقف عليها ، وقال لها : لا يبقى طنب من أطناب هذا البيت إلا ربطت به رجلاً من بني كنانة ، فلمّا صُفّ القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة فنادت بأعلى صوتها : إن وهباً يأتي ويحلف ألا يبقى طنب من أطناب هذا البيت إلا ربط به رجلاً من كنانة ، فالحجّد الحجّد ، فلمّا هزمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس ، فأجارهم حرب بن أمية .

1 أحفظها : أغضبها ، وأوغر صدرها .

[قيس تلجأ إلى خباء سبيعة فيجيرها حرب بن أمية]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَاز ، عَنْ أَبِي عبيدة ، قال : لَمَّا هُزِمَتْ قَيْسٌ لَجَأَتْ إِلَى خَبَاءِ سُبَيْعَةَ ، حَتَّى أَخْرَجُوهَا مِنْهُ ، فَخَرَجَتْ ، فَنَادَتْ : مَنْ تَعَلَّقَ بِطَنْبٍ مِنْ أَطْنَابِ بَيْتِي فَهُوَ آمِنٌ فِي ذِمَّتِي ، فَدَارُوا بِخَبَائِهَا ، حَتَّى صَارُوا حَلْقَةً ، فَأَمْضَى ذَلِكَ كُلَّهُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ لَعَمَّتَهُ ، فَكَانَ يَضْرِبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِمَدَارِ قَيْسِ الْمَثَلِ ، وَيُعَيِّرُونَ بِمَدَارِهِمْ يَوْمَئِذٍ بِخَبَاءِ سُبَيْعَةَ بِنْتُ عَبْدِ شَمْسٍ ، قَالَ :

[شاعران يتحدثان عن الموقعة]

[من المتقارب]

وقال ضرار بن الخطاب الفهري قوله<sup>1</sup> :

لَمْ تَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ شَأْنِنَا  
غَدَاةَ عُكَازٍ إِذْ اسْتَكْمَلْتُ  
وَجَاءَتْ سُلَيْمٌ تَهْزُّ الْقَنَا  
وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ عَلَى الْمَضْمَرَاتِ  
فَلَمَّا التَقِينَا أَذْقَنَاهُمْ  
فَفَرَّتْ سُلَيْمٌ وَلَمْ يَصْبِرُوا  
وَفَرَّتْ ثَقِيفٌ إِلَى لَاتِهَا  
وَقَاتَلَتِ الْعَنْسُ شَطْرَ النَّهْا  
عَلَى أَنَّ دُهْمَانَهَا حَافِظَتْ

وَلَمْ يُثَبِّتِ الْأَمْرَ كَالْخَابِرِ  
هَوَازُنُ فِي كَفِّهَا الْحَاضِرِ  
عَلَى كُلِّ سَلْهَبَةٍ ضَامِرٍ<sup>2</sup>  
بَارِعَنَ ذِي لَجَبٍ زَاخِرٍ<sup>3</sup>  
طِعَانًا بِسُمْرِ الْقَنَا الْعَائِرِ<sup>4</sup>  
وَطَارَتْ شَعَاعًا بَنُو عَامِرٍ<sup>5</sup>  
بِمُنْقَلَبِ الْخَائِبِ الْخَاسِرِ<sup>6</sup>  
رِثْمٍ تَوَلَّتْ مَعَ الصَّادِرِ<sup>7</sup>  
أَخِيرًا لَدَى دَارَةِ الدَّائِرِ

[من الطويل]

وقال خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ :

أَتْنَا قَرِيشَ حَافِلِينَ بِجَمْعِهِمْ  
فَلَمَّا دَنَوْنَا لِلْقَبَابِ وَأَهْلِهَا

عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّحْمَنِ وَاقٍ وَنَاصِرُ  
أُتِيحَ لَنَا رَيْبٌ مَعَ اللَّيْلِ نَاجِرُ<sup>8</sup>

1 ديوانه : 63 ، طبعة دار صادر ، 1996 .

2 السلهبة من الخيل : العظيم الطويل العظام .

3 جيش أرعن : عظيم جرار .

4 العائر : الذي يصيب العين بالورور .

5 الشعاع : المتفرق المنتشر .

6 إلى لاتها : أي إلى اللات الصنم المعبود .

7 العنس : إحدى القبائل .

8 ناجر : شديد الحرارة .

أُتيحت لنا بكرٌ وحول لوائها      كئائبُ يخشاها العزيزُ المكائِرُ  
جثت دونهم بكرٌ فلم تستطعهم      كأنهم بالمشرفية سامرٌ  
وما برحت خيلٌ تنثورُ وتُدعى      ويلحقُ منهم أولون وآخرُ  
للدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا      عمايةُ يومِ شره متظاهرُ<sup>1</sup>  
وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت      هوازنُ وارفضت سليمٌ وعامرُ  
وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصخرَ حدّها      إذا أوهن الناسَ الجدودُ العوائرُ

[اليوم الخامس يوم حرية]

ثم كان اليوم الخامس ، وهو يوم الحرية<sup>2</sup> ، وهي حرّة إلى جانب عكاظ ، والرؤساء بحالهم إلا بلعاء بن قيس ؛ فإنه قد مات فصار أخوه على عشيرته ، فاقتلوا ، فانهزمت كنانة وقُتل يومئذ أبو سفيان بن أمية وثمانية رهط من بني كنانة ، قتلهم عثمان بن أسيد من بني عمرو بن عامر بن ربيعة ، وقتل ورقاء بن الحارث : أحد بني عمرو بن عامر من بني كنانة وخمسة نفر .

[خداش يسجل هذه الموقعة]

وقال خداش بن زهير ، في ذلك :

لقد بلّوكم فابلّوكم بلاءهم      يوم الحرية ضرباً غير تكذيب  
إن توعدوني فإني لابن عمكم      وقد أصابوكم منه بشوئوب<sup>3</sup>  
وإن ورقاء قد أردى أبا كنف      وابني إياس وعمرأ وابن أيوب  
وإن عثمان قد أردى ثمانية      منكم وأنتم على خبر وتجريب

[ينحدث عن مقتل والد خداش]

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقي الرجل ، والرجلان يلقيان الرجلين ، فيقتل بعضهم بعضاً . فلقي ابن محمية بن عبد الله الديلي زهير بن ربيعة أبا خداش ، فقال زهير : إني حرام جئت معتمراً ، فقال له : ما تلقى طوال الدهر إلا قلت : أنا معتمر ، ثم قتله ، فقال الشويعر الليثي ، واسمه ربيعة بن علس :

[من الوافر]

1 شره متظاهر : هجومه قوي .

2 الحرية : الأرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت .

3 الشوئوب : الدفعة من المطر وهنا الدماء .

تركنا ثاوياً يزقو صداهُ      زهيراً بالعوالي والصفاح<sup>1</sup>  
أُتيح له ابنُ مَحْمِةَ بنِ عبدٍ      فأعجله التسومُ بالبطاح<sup>2</sup>

[صلح لا يتم]

ثم تداعوا إلى الصلح على أن يدي مَنْ عليه فضلٌ في القتلى ، الفضلَ إلى أهله ، فأبى ذلك وهب بن مُعْتَب ، وخالف قومه ، واندسَّ إلى هوازن ، حتى أغارت على بني كنانة ، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة ، عليهم سلمة بن سُعدى البكائي ، وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظبيان الهلالي ، وبنو نصر بن معاوية ، عليهم مالك بن عوف ، وهو يومئذٍ أُمَرْدُ ، فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحرَاء الغميم ، فكانت لبني ليث أوّل النهار ، فقتلوا عبيد بن عوف البكائي ، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمّل الجسريّ حليف بني عامر ، ثم كانت على بني ليث آخرَ النهار ، فانهزموا ، واستحرق القتلى في بني الملوّح بن يعمر بن ليث ، وأصابوا نعماً ونساءً حينئذٍ ، فكان ممّن قُتل في حروب الفِجار من قريش العوّام بنُ خويلد ، قتله مُرّة بن مُعْتَب ، وقُتل حزام بن خويلد ، وأُحيحة بن أبي أُحَيحة ، ومعمر بن حبيب الجُمَحِيّ ، وجُرح حرب بن أُميّة ، وقُتل من قيس الصّمّة أبو دريد بن الصّمّة ، قتله جعفر بن الأحنف .

[صلح يتم برهائن]

ثم تراضوا بأن يعدّوا القتلى ، فيدّوا مَنْ فضل ، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة ، فاجتمعت القبائل على الصلح ، وتعاهدوا ألاّ يعرضَ بعضهم لبعض ، فرهن حربُ بن أُميّة ابنه أبا سفيان بنَ حرب ، ورهن الحارثُ بن كَلْدَةَ العبدِيّ ابنه النضرُ ، ورهن سفيانُ بن عوف أحدَ بني الحارث بن عبد مناة ابنه الحارث ، حتى وُدّيت الفضولُ ، ويقال : إنّ عتبةَ بن ربيعةَ تقدم يومئذٍ ، فقال : يا معشر قريش ، هلمُّوا إلى صلة الأرحام ، والصلح ، قالوا : وما صلحكم هنا ، فإنّا موتورون ؟ فقال : على أن نديّ قتلاكم ، ونتصدق عليكم بقتلانا فرضوا بذلك ، وساد عتبة مذ يومئذٍ ، قال : فلمّا رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو ، فأطلقوهم .

[النبي يشهد الفجار]

قال أبو عبيدة : ولم يشهد الفِجار من بني هاشم غيرُ الزبير بن عبد المطلب ، وشهد النبي ﷺ وآلِه سائرَ الأيّام إلّا يومَ نخلة ، وكان يناول عمّه وأهله النبلَ ، قال :

1 يزقو : يصوت . الصدى : طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل . الصفاح : السيوف .

2 التسوم : الإغارة ، أو سوق الخيل المسومة .

وشهدها ﷺ وهو ابن عشرين سنة ، وطعن النبي ﷺ وآله أبا براء مُلاعِبَ الأُسنة ،  
وسئل صلى الله عليه وآله عن مشهده يومئذ ، فقال : ما سرّني أنّي لم أشهده ، إنهم تعدّوا  
على قومي ، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرّاضَ صاحبهم ، فأبوا .  
[عدد القتلى]

قال : وكان الفضل عشرين قتيلاً من هوازن ، فوداهم حرب بن أمية فيما تروي قريش ،  
وبنو كنانة تزعم أنّ القتلى الفاضلين قتلاهم ، وأنهم هم ودّوهم .  
[أعمام النبي يشهدون هذه الموقعة]

وزعم قوم من قريش أنّ أبا طالب وحمزة والعبّاسَ بني عبد المطلب ، عليهما السلام ،  
شهدوا هذه الحروب ، ولم يردّ ذلك أهلُ العلم بأخبار العرب .  
[سبعة نجير بعلمها]

قال أبو عبيدة : ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن مُعَتَب لا يُعَرِّج على شيء حتى أتى  
سُبَيْعةَ بنتَ عبد شمس زوجته ، فجعل أنفه بين ثدييها ، وقال : أنا بالله وبك ، فقالت :  
كلا ، زعمت أنّك ستملاً بيتي من أسرى قومي ، اجلس فأنت آمن .  
[عود إلى الصوت وبقيته]

وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومَن قُتِلَ من قومها ،  
والأبيات التي فيها الغناء منها :  
[من الهزج]

أبى لَيْلِكَ لا يذهبُ	ونيط الطُّرفُ بالكوكبُ
ونجم دونه الأهُوا	لُ بين الدُّلو والعقربُ
وهذا الصبحُ لا يأتي	ولا يدنو ولا يقربُ
بعقرِ عشيرةٍ منّا	كرام الخيم والمنصب <sup>1</sup>
أحالَ عليهمُ دهرٌ	حديدُ النَّابِ والمِخلَبُ
فحلَّ بهم وقد أمِنوا	ولم يُقَصِّرْ ولم يَشْطُبْ <sup>2</sup>
وما عنهُ إذا ما ح	لَّ من منجى ولا مهربُ
ألا يا عينُ فابكيهم	بدمعٍ منك مستغرب <sup>3</sup>

1 الخيم : الخصال والطباع .

2 يشطب : من شطب عن الشيء بمعنى عدل عنه .

3 مستغرب : غزير .

فإن أبك فهم عزي	وهم ركني وهم منكب
وهم أصلي وهم فرعي	وهم نسبي إذا أنسب
وهم مجدي وهم شرفي	وهم حصني إذا أرهب
وهم رُحِي وهم تُرسي	وهم سيفي إذا أغضب
فكم من قائلٍ منهم	إذا ما قال لم يكذب
وكم من ناطقٍ فيهم	خطيب مصقعٍ مُعرب
وكم من فارسٍ فيهم	كميٌ مُعلمٍ مُحرب <sup>1</sup>
وكم من مدرّءٍ فيهم	أريبٍ حوّل قلب <sup>2</sup>
وكم من جحفلٍ فيهم	عظيم النارِ والموكب
وكم من خضرمٍ فيهم	نجيبٍ ماجدٍ مُنجب <sup>3</sup>

## صوت

[من الطويل]

أحبُّ هبوطَ الواديين وإتني	لمشتهرٌ بالواديين غريبُ
أحقاً عبادَ الله أن لستُ خارجاً	ولا والجا إلا علي رقيبُ
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة	من الناس إلا قيل : أنت مُريبُ
وهل ريبةٌ في أن تحنَّ نجيبةٌ	إلى إلفها أو أن يحنَّ نجيبُ

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيباني في أشعار بني جعدة ، وذكره أبو الحسن المدائني في أخبار رواها لمالك بن الصَّمصامة الجعدي ، ومن الناس من يرويه لابن الدُّمينة ويدخله في قصيدته التي على هذه القافية ، والروي والغناء لإسحاق هزج بالنصر عن عمرو .

- 1 المعلم من الفرسان : من يتخذ لنفسه في الحرب علامة تميّزه . المحرب : الخبير المطلع بأمر الحرب .
- 2 المدره : خطيب القوم ، أو سيدهم .
- 3 الخضرم : السيد الجواد . المنجب : من ينجب أولاده .

## [ 464 ] - أخبار مالك ونسبه

[ نسبه ]

هو مالك بن الصَّمصامة بن سعد بن مالك : أحد بني جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر بدويّ مُقِلّ .  
[ يقول أخو جنوب دون حبّها ]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن خلف بن المرزبان ، قالوا : أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ ، ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبي عمرو الشيبانيّ ، قالوا : كان مالك بن الصَّمصامة الجعديّ فارساً شجاعاً جواداً جميل الوجه ، وكان يهوى جنوب بنت مِحْصَن الجعدية ، وكان أخوها الأصْبَغ بن مِحْصَن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم ، فَنَمَى إليه بُذٌّ من خبر مالك ، فآلى يميناً جزماً : لئن بلغه أنّه عَرَضَ لها أو زارها ليقْتلنه ، ولئن بلغه أنّه ذكرها في شعر أو عَرَضَ بها ليأسرنه ، ولا يطلقه إلّا أن يجزّ ناصيته في نادي قومه ، فبلغ ذلك مالك ابن الصَّمصامة ، فقال :

إذا شئتَ فاقْرئيْ إلى جنْب عيهب	أجَبٌ ونضوي للقلوص جنيب <sup>1</sup>
فما الخلق بعد الأسر شرٌّ بَقِيَّةُ	من الصّدِّ والهجرانِ وهي قريبُ
ألا أيّها الساقِي الذي بلّ ذلّوه	بقرِيان يَسْقِي هل عليك رقيب <sup>2</sup>
إذا أنتَ لم تشربْ بقرِيان شربةً	وحانيةِ الجدران ظَلَّتْ تَلوبُ <sup>3</sup>
أحبّ هبوطَ الواديين وإنني	لمشتهر بالواديين غريبُ
أحقّاً عبادَ الله أنْ لستُ خارجاً	ولا والجا إلّا عليّ رقيبُ !
ولا زائراً وحدي ولا في جماعةٍ	من النَّاسِ إلّا قيل : أنتَ مُريبُ

1 العيهب : الكساء من الصوف . أجَبٌ : مقطوع . النضو : الثوب الخلق .

2 قرِيان : موضع .

3 تلوب ، من لآب : دار حول الماء وهو لا يستطيع الوصول إليه .

وهل ربة في أن تحن نجيةً إلى إلفها أو أن يحن نجيبُ

[يرأها فلا يستطيع مخاطبتها]

وقال أبو عمرو خاصة : حدثنا فتیان من بني جعدة أنها أقبلت ذات يوم ، وهو جالس في مجلس فيه أخوها ، فلما رآها عرفها ، ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها ، فأغمي عليه ، وفطن أخوها لما به ، فتغافل عنه ، وأسند بعض فتیان العشرة إلى صدره ، فما تحرك ، ولا أحر جواباً ساعة من نهاره ، وانصرف أخوها كالخجل ، فلما أفاق قال :

ألمتُ فما حيّت وعاجت فأسرعت إلى جرعة بين المخارم فالتحير<sup>1</sup>  
خليلي قد حانت وفاتي فاحفرا برابية بين المخافر والبئر  
لكيما تقول العبدلية كلما رأت جدثي : سقيت يا قبر من قبر

[جنوب ترعى عهده]

وقال المدائني في خبره : انتجع أهل بيت جنوب ناحية حسي والحمى ، وقد أصابها الغيث ، فأمرعت ، فلما أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصمصامة ، حتى إذا بلغت جنوب أخذ يخطام بعيرها ، ثم أنشأ يقول :

أرئتلك إن أزمعتم اليوم نيةً وغالك مصطاف الحمى ومراعبة<sup>2</sup>  
أترعين ما استودعت أم أنت كالذي إذا ما نأى هانت عليه وذائعه

فبكت ، وقالت : بل أرعى والله ما استودعت ، ولا أكون كمن هانت عليه وذائعه ، فأرسل بعيرها ، وبكى ، حتى سقط مغشياً عليه ، وهي واقفة ، ثم أفاق ، وقام ، فانصرف وهو يقول :

ألا إن حسيًا دونه قلّة الحمى منى النفس لو كانت تُنال شرائعه<sup>3</sup>  
وكيف ومن دون الورود عوائق وأصبع حامي ما أحب وماعة<sup>4</sup>  
فلا أنا فيما صدّني عنه طامع ولا أرتجي وصل الذي هو قاطعه

1 عاجت : رجعت . الجرعة : الأرض ذات الحزونة . المخارم والنحر : مكانان .

2 نية : رحلة وبعداً . غالك : أخفأك عني .

3 قلّة كل شيء : أعلاه . شرائع : جمع شريعة ، وهي مورد الماء كالغدير ونحوه .

4 يريد الأصبع أخوا جنوب .



## صوت

[من البسيط]

يا دارَ هَندٍ عفاها كلُّ هَطَّالٍ      بالخَبْتِ مثلُ سحيقِ اليمِّنةِ البالي<sup>1</sup>  
 أربَّ فيها وليٌّ ما يغيِّرها      والريحُ ممَّا تعفُّيها بأذيالِ  
 دارٌ وقفتُ بها صَحبي أسألتها      والدمع قد بلَّ منِّي جَيْبَ سِرْبالي  
 شوقاً إلى الحيِّ أيَّامَ الجميعِ بها      وكيف يطربُّ أو يشتاقُ أمثالي ؟  
 قوله . أربَّ فيها أيَّ أقام فيها وثبت ، والوليَّ : الثاني من أمطار السنة ، أولها الوسميَّ ،  
 والثاني الوليَّ ، ويروى :

جرت عليها رياح الصيف فاطَّرت

واطرَّقتْ : تلبدت .

الشعر لعبيد بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن  
 إسحاق ، وفيه لابن جامع رَمَل بالوسطى ، وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولحنُ إبراهيم  
 إليه .

1 عفاها : محابها . الخبت : مكان . اليمنة : برد مخصوص يرد من اليمن .

[465] - أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه<sup>1</sup>

[اسمه ونسبه]

قال أبو عمرو الشيباني: هو عبيد بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرن به طرفة وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد.

[شاعر ضائع الشعر]

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: عبيد بن الأبرص قديم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله في كلمته:

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مُلْحُوبٌ

ولا أدري ما بعد ذلك.

[يتهم بأخته]

أخبرنا عبد الله بن مالك النحوي الضرير، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، قالا: كان من حديث عبيد بن الأبرص أنه كان رجلاً محتاجاً، ولم يكن له مال، فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له، ومعه أخته مارية؛ ليوردا غنمهما الماء، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهته<sup>2</sup>، فانطلق حزينا مهموماً للذي صنع به المالك، حتى أتى شجراتٍ فاستظل تحتهن، فنام هو وأخته، فزعموا أن المالك نظر إليه وأخته إلى جنبه، فقال:

ذَاكَ عَبِيدٌ قَدْ أَصَابَ مَيًّا يَا لَيْتَهُ أَلْقَحَهَا صَبِيًّا

فحملت فوضعت ضاويًا<sup>3</sup>

1 انظر ترجمته في مقدمة ديوانه 5-16 وفي الشعر والشعراء 1: 267-269 والأمالي 3: 195-196 وأمثال العسكري 93 ومختارات ابن الشجري 2: 33-35 والخزانة 1: 321-324 و4: 164-165 والبلدان 6: 282-286 والاقتضاب 348 وشعراء الجاهلية 596-615.

2 جبهه: صك جبهته، أو قابله بما لا يحب.

3 ضاويًا: مهزولاً نحيفاً.

فسمعه عبيد ، فرفع يديه ، ثم ابتهل ، فقال : اللهم إن كان فلان ظلمي ، ورماني بالبهتان فأدِلني منه ، أي اجعل لي منه دَوَّةً ، وانصُرني عليه ، ووضع رأسه فنام ، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر .

[يهبط عليه الشعر من السماء في النوم]

فذكر أنه أتاه آت في المنام بكبَّة<sup>1</sup> من شعر ، حتى ألقاها في فيه ، ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز : يعني بني مالك ؛ وكان يقال لهم بنو الزَّنية يقول :

[من الرجز]

أيا بني الزَّنية ما غرَّمُ      فلكم الويلُ بسربال حَجَرٍ

ثم استمرَّ بعد ذلك في الشعر ، وكان شاعر بني أسد غير مدافع .

[بينه وبين امرئ القيس]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدَّثنا أبو غسان دَمَاز ، عن أبي عبيدة ، قال : اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حُجَر بن عمرو والد امرئ القيس إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه ؛ أو يُقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد ، أو يُمهِّلهم حولاً ؛ فقال : أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي ، وأما القود فلو قيد إلي ألف من بني أسد ما رَضيتُهم ؛ ولا رأيتهُم كفواً لحُجَر ، وأما النظرة<sup>2</sup> فلكم ، ثم ستعرفوني في فرسان قحطان ، أحكم فيكم طبا السيوف وشبا الأُسنة ، حتى أشفي نفسي ، وأنال ثأري ، فقال عبيد بن الأبرص في ذلك<sup>3</sup> :

[من مجزوء الكامل]

### صوت

يا ذا المخوفُنا بقت      لـ أبيه إذلالاً وحِيناً<sup>4</sup>  
أزعمت أنك قد قتَ      لمت سراتنا كذباً ومِيناً ؟  
هلاً على حُجَر ابن أم      مِ قطامٍ تبكي لا علينا<sup>5</sup>  
إنّا إذا عَضَّ الثَّقَا      فُ برأس صعدتنا لَوِيناً<sup>6</sup>

1 الكبَّة : مجموعة من الخيوط ونحوها على شكل كرة .

2 النظرة : المهلة .

3 ديوانه : 141 .

4 الحين : الهلال .

5 حجر ابن أم قطام : هو أبو امرئ القيس .

6 الثقف : آلة تعدل بها الرماح المعوجة . الصعدة : الرمح .

نحمي حقيقتنا وبعـ ضُ الناس يسقط بين بيٲنا<sup>١</sup>  
هلاً سألتَ جموع كـد سدة يوم ولّوا أين أيننا ؟  
الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشامي ، وفيه ليحيى المكّي خفيف  
ثقليل : قال : وتما هذا الأبيات :

أيام نضربُ هامهم بيواتر حتى انحنينا  
وجموع غسان الملو ك أتينهم وقد انطوينا  
لُحقاً أيا طُلهنّ قد عالجن أسفاراً وأينا<sup>٢</sup>  
والأياطل : الخواصر أي هنّ ضوامرها ؟

نحن الأولى فاجمع جمو عك ثم وجّههم إلينا<sup>٣</sup>  
واعلم بأنّ جيادنا آليّن لا يقضين ديننا  
ولقد أبحنّا ما حمي ستّ ولا مبيع لما حمينا  
هذا ولو قدّرت عليّ لك رماح قومي ما انتهينا  
حتى تنوشك نَوْشَةً عاداتهم إذا انتوينا<sup>٤</sup>  
نُغلي السبّاء بكلّ عا تقية شمول ما صحوّنا<sup>٥</sup>  
ونُهين في لذاتنا عظم التلاد إذا انتشينا  
لا يبلغ الباني ولو رفع الدعائم ما بنينا  
كم من رئيس قد قتد ناه وضمّ قد أبينا  
ولربّ سيّد معشر ضخم الدسيعة قد رمينا<sup>٦</sup>  
عقبائه بظلال عِقْ بان تُمّم ما نوينا  
حتى تركنا شيلوه جزر السباع وقد مضينا<sup>٧</sup>

١ الحقيقة : ما ينبغي حمايته من حريم ووطن ومال وغير ذلك .

٢ الأين : التعب والمشقة .

٣ فاجمع جموعك في الديوان ١٤٢ جمّع جموعاً .

٤ تنوشك : تتناولك .

٥ العاتقة الشمول : الخمر المعتقة .

٦ الدسيعة : الجفنة الكبيرة ، أو المائدة الكريمة ، أو العطية الجزيلة ، أو القوة العارمة .

٧ الشّلو : بقية اللحم ونحوه . جزر السباع : ما تأكله السباع من اللحم .

إِنَّا لَعُمْرُكَ مَا يُضَا      مُ حَلِيفُنَا أَبَدًا لَدِينَا  
وَأَوَانِسَ مَثَلِ الدُّمَى      حُورِ الْعَيُونِ قَدْ اسْتَبِينَا

[الشعر على ألسنة الأفاعي]

وقرأت في بعض الكتب ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، وهو خبر مصنوع ؛ يتبين التوليد فيه : أن عبيد بن الأبرص سافر في ركب من بني أسد ، فبينما هم يسرون إذا هم بشجاع يتممك<sup>1</sup> على الرضاء فاتحاً فاه من العطش ، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها ، فنزل فسقاه الشجاع عن آخره حتى روي وانتعش ، فانساب في الرمل ، فلما كان من الليل ، ونام القوم نذت رواحلهم ، فلم ير لشيء منها أثر ، فقام كل واحد يطلب راحلته ، ففترقوا ، فبينما عبيد كذلك ؛ وقد أيقن بالهلكة والموت إذا هو بهاتف يهتف به : [من الرجز]  
يا أيُّها الساري المضلُّ مذهبة      دونك هذا البكر منّا فاركة  
وبكرك الشارد أيضاً فاجنبه      حتى إذا الليل تجلّى غيبه  
فحطّ عنه رحله وسيه

فقال له عبيد : يا هذا المخاطب ، نشدتك الله إلا أخبرتني : من أنت ؟ فأنشأ يقول :

أنا الشجاع الذي ألفتته رمضاً      في قفرة بين أحجار وأعقاد<sup>2</sup>  
فجدت بالماء لما ضنّ حامله      وزدت فيه ولم تبخل بإنكاد  
الخير يبقى وإن طال الزمان به      والشر أخبث ما أوغيت من زاد<sup>3</sup>  
فركب البكر وجنب بكره ، وسار فبلغ أهله مع الصبح ، فنزل عنه ، وحلّ رحله ، وخلاه ، فغاب عن عينه ، وجاء من سلّم من القوم بعد ثلاث .

[يومان للمنذر بن ماء السماء]

أخبرني محمد بن عمران المؤدّب وعمي ، قالاً : حدّثنا محمد بن عبيد : قال : حدّثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبي ، عن الشرقي بن القطامي : قال : كان المنذر بن ماء السماء قد ناداه رجلان من بني أسد ، أحدهما خالد بن المضلل ، والآخر عمرو بن مسعود بن كلدّة ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يُحفر لكل واحد حفيرة بظهر الحيرة ، ثم يجعلان في تابوتين ، ويدفنا في الحفرتين ، ففعل ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما ،

1 يتممك : يتمرغ في التراب ، ويتقلب عليه .

2 الشجاع : الثعبان . رمضاً : حار الجوف من شدة العطش .

3 أوغيت : حملت في وعائك .

فأخبر بهلاكهما ، فنديم على ذلك ، وغَمَّه ، وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل  
الأسديين يقول شاعر بني أسد :  
[من الكامل]

يا قبرُ بينَ بيوتِ آلِ محرقٍ      جادت عليكِ رواعدُ وبروقُ  
أما البكاءُ فقلَّ عنك كثيرُهُ      ولئن بُكِيتَ فللبكاءِ خَلِيقُ

ثم ركب المنذر ، حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغريتين<sup>1</sup> عليهما ، فَبُنِيَ عليهما ،  
وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريتين ، يُسمَّى أحدهما يوم نعيم ،  
والآخر يوم بوئس ، فأوَّلُ مَنْ يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائةً من الإبل شوماً<sup>2</sup> أي :  
سودا ، وأوَّلُ مَنْ يطلع عليه يوم بوئسه يعطيه رأس ظريانٍ<sup>3</sup> أسود ، ثم يأمرُ به ، فيذبح  
ويغري بدمه الغريان ، فلبث بذلك برهة من دهره .

[يقتل في يوم بوئس المنذر]

ثم إنَّ عبيدَ بنَ الأبرص كان أوَّلَ مَنْ أُشرف عليه في يوم بوئسه ، فقال : هلا كان الذبح  
لغيرك يا عبيد ؟ فقال : أتتكَ بجائنٍ<sup>4</sup> رجلاه<sup>5</sup> ، فأرسلها مثلاً ، فقال له المنذر : أو أجَلُّ بلغ  
إنه ، فقال له المنذر : أنشدني ، فقد كان شعرك يعجبني ، فقال عبيد : حال الجريض<sup>6</sup> دون  
القريض ، وبلغ الحزام الطيبين<sup>7</sup> . فأرسلها مثلاً ، فقال له النعمان : أسمعني ، فقال : المنايا على  
الحوايا<sup>8</sup> ، فأرسلها مثلاً ، فقال له آخر : ما أشدَّ جزعك من الموت ، فقال : لا يرحلُ رَحْلُكَ

1 الغريان : بناءان أقامهما المنذر على نديميه اللذين قتلها .

2 شوما : لعلَّه جمع أشيم أو شيماء بمعنى في جسمها شامة .

3 الظريان : حيوان أصلم الأذنين ، طويل الخطم ، قصير القوائم ، متن الرائحة .

4 الجائن : الهالك .

5 مثل ورد في مجمع الأمثال 21/1 ، 360 و 206/2 والجمهرة للعسكري 10/1 ، 119-120 والأمثال  
للقاسم بن سلام 328 ، والمستقصى للزمخشري 37/1 .

6 الجريض : الغصة . مثل ورد في كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبي 250 ومجمع الأمثال للميداني  
191/1 ، 204 والجمهرة للعسكري 341/1 ، 359 والمستقصى للزمخشري 55/2 وفصل المقال 44  
والأمثال للقاسم بن سلام 319 ، 341 .

7 الطبيان : تنثية طبي ، وهو حلمة الضرع أو الضرع كله ، وهو مثل يضرب للأمر تجاوز حدّه ، ورد في  
الجمهرة للعسكري 220/1 ، 360 و 25/2 ، وفي المستقصى 13/2 ومجمع الأمثال للميداني 42 وورد  
جاوز الحزام الطيبين في مجمع الأمثال 166/1 و 124/2 .

8 الحوايا : ما استوى عليه بطن الإنسان والحيوان وهو مثل وفي الجمهرة 197/1 و 308 وفي غيرها وورد  
بصيغة : البلايا على الحوايا ، والمنايا على السوايا ويروى على الحوايا : مجمع الأمثال 303/2 والجمهرة  
للعسكري 359/1 و 226/2 ، 275 والمستقصى 350/1 والأمثال لأبي القاسم بن سلام 341 .

مَنْ لَيْسَ مَعَكَ<sup>1</sup> فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْذَرُ : قَدْ أَمْلَلْتَنِي ، فَأَرْحَنِي قَبْلَ أَنْ أَمْرَكَ ، فَقَالَ عَبِيدُ : مَنْ عَزَّ بَزَّ<sup>2</sup> فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، فَقَالَ الْمَنْذَرُ : أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ : أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ

فَقَالَ عَبِيدُ :

[من السريع]

### صوت

أَقْفَرَ مَنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ      فَلَيْسَ يُبَدِّي وَلَا يُعِيدُ  
عَنْتَ لَهُ عَنَّةٌ نَكُودُ      وَحَانَ مِنْهَا لَهُ وَرُودُ

فَقَالَ لَهُ الْمَنْذَرُ : يَا عَبِيدُ ، وَيْحَكَ ، أَنْشِدْنِي قَبْلَ أَنْ أَذْجُوكَ ، فَقَالَ عَبِيدُ :

[من السريع]      وَاللَّهِ إِنْ مِتُّ لِمَا ضَرَّنِي      وَإِنْ أَعَشُّ مَا عَشْتُ فِي وَاحِدَةٍ  
فَقَالَ الْمَنْذَرُ : إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَوْ أَنَّ النُّعْمَانَ عَرَضَ لِي فِي يَوْمِ بَوْسٍ لَذَبَحْتَهُ ، فَاخْتَرْتُ  
إِنْ شِئْتَ الْأَكْحَلَ<sup>3</sup> ، وَإِنْ شِئْتَ الْأَبْجَلَ<sup>4</sup> ، وَإِنْ شِئْتَ الْوَرِيدَ<sup>5</sup> ، فَقَالَ عَبِيدُ : ثَلَاثُ خِصَالٍ  
كَسَحَابَاتٍ عَادَ وَارِدُهَا شَرٌّ وَرَادَ ، وَحَادِيهَا شَرٌّ حَادَ ، وَمَعَادُهَا شَرٌّ مَعَادَ ، وَلَا خَيْرَ فِيهِ  
لِمُرْتَدٍّ ، وَإِنْ كُنْتُ لَا مَحَالَةَ قَاتِلِي فَاسْقِنِي الْخَمْرَ ، حَتَّى إِذَا مَاتَتْ مَفَاصِلِي ، وَذَهَلَتْ لَهَا ذَوَاهِلِي  
فَشَأْنُكَ وَمَا تَرِيدُ ، فَأَمْرُ الْمَنْذَرِ بِحَاجَتِهِ مِنَ الْخَمْرِ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ مِنْهُ ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ ، دَعَا  
بِهِ الْمَنْذَرُ ، لِيَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[من الطويل]

وَخَيْرَنِي ذُو الْبَوْسِ فِي يَوْمِ بَوْسِهِ      خِصَالًا أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَقَ  
كَمَا خَيْرْتُ عَادًا مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً      سَحَائِبَ مَا فِيهَا لَدَى خَيْرَةٍ أَنْقُ<sup>6</sup>  
سَحَائِبَ رِيحٍ لَمْ تُوَكَّلْ بِلِدَةٍ      فَتَرَكْهَا إِلَّا كَمَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ<sup>7</sup>  
فَأَمَرَ بِهِ الْمَنْذَرُ ، فَفُصِّدَ ، فَلَمَّا مَاتَ غُرِّيَ بدمه الْغَرِيَانُ .

1 مثل : ويروى «مَنْ لَا يَرْحَلُ رَحْلَكَ» . ورد في مجمع الأمثال 237/2 والجمهرة للعسكري 360/1 و376/2 ، 396 ، والمستقصى 269/2 .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 307/2 والجمهرة 226/2 ، 257 ، 288 ، 360 والمستقصى 357/2 والأمثال للمفضل بن محمد الضبيّ 124 وكتاب الفاهر للمفضل بن سلمة الضبيّ 89 .

3 الأكحل : ورید في وسط الذراع .

4 الأبجل : عرق في الرجل ، أو في اليد بإزاء الأكحل .

5 الوريد : عرق في العنق .

6 الأنقى : الحسن الرائع .

7 الطلق : البعد .

[طائي يقد على المنذر في يوم يؤسه]

فلم يزل كذلك حتى مرَّ به رجل من طيء ، يقال له : حنظلةُ بن أبي عفراء ، أو ابن أبي عُفْر ، فقال له : أبيت اللعن ، والله ما أتيتك زائراً ، ولأهلي من خيرك مائراً<sup>1</sup> فلا تكن ميرتهم قتلي ، فقال : لا بدَّ من ذلك فاسأل حاجة أفضيئها لك ، فقال : توجِّلني سنة أرجع فيها إلى أهلي ، وأحكيم من أمرهم ما أريد ، ثم أصيرُ إليك ، فأنفذُ فيَّ حكمك ، فقال : ومن يكفلُ بك حتى تعود ؟ فنظر في وجهه جلسائه ، فعرف منهم شريكَ بن عمرو : أبا الحوفزان بن شريك ، فأنشد يقول :

يا شريكُ يا ابنَ عمرو	ما من الموتِ محالة
يا شريكُ يا ابنَ عمرو	يا أخا من لا أخالة
يا أخا شيبان فُكَّ اليه	يوم رهنأ قد أنالهُ
يا أخا كلِّ مُضَافٍ	وحيا مَنْ لا حيا لَهُ
إنَّ شيبانَ قبيلٌ	أكرمَ اللهُ رجالة
وأبوك الخيرُ عمرو	وشراحيلُ الحمالة
رَقِيَّكَ اليوم في المجـ	دٍ وفي حُسنِ المقالة

[شريك بن عمرو يضمن الطائي]

فوثب شريك ، وقال : أبيت اللعن ، يدي بيده ، ودمي بدمه إن لم يعد إلى أجله ، فأطلقه المنذر ، فلما كان من القابل جلس في مجلسه ، ينتظر حنظلة أن يأتيه ، فأبطأ عليه ، فأمر بشريك ، فقرَّب ، ليقته .

[الطائي يفي بعهده]

فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم ، فتأمَّلوه ، فإذا هو حنظلة قد أقبل متكفناً متحنطاً معه ناديتُهُ تندبه ، وقد قامت نادبة شريك تندبه ، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما ، وأبطل تلك السُّنة .

[رواية أخرى لقصة مصرع عبيد]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثنا علي بن الصباح ، عن هشام بن الكلبي ، قال : كان من حديث عبيد بن الأبرص وقته أن المنذر بن ماء المساء بنى الغريين ، فقبل له : ما تريد إليهما ؟ وكان بناهما على قبري رجلين من بني أسد كانا

1 مائراً : طالباً الميرة : القوت .



نديميه ، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسي ، والآخر عمرو بن مسعود ، فقال : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري ، لا يَمُرُّنَّ أحد من وفود العرب إلّا بينهما ، وكان له يومان في السنة يوم يسمّيه يوم النعيم ، ويوم يسمّيه يوم البؤس ، فإذا كان في يوم نعيمه أُتي بأول مَنْ يطلع عليه ، فحياه ، وكساه ، وناداه يومه ، وحمله ، فإذا كان يوم بؤسه أُتي بأول مَنْ يطلع عليه ، فأعطاه رأس ظربانٍ أسود ، ثم أمر به فذبح وغرّبي بدمه الغريّان ، فبينا هو جالس في يوم بؤسه إذ أشرف عليه عبيدٌ ، فقال لرجل كان معه : من هذا الشقي ؟ فقال له : هذا عبيدُ بن الأبرص الأسديّ الشاعر ، فأتني به فقال له الرجل الذي كان معه : اتركه ، أبيت اللعن ، فإنني أظنّ أنّ عنده من حُسن القريض أفضل ممّا تدرك في قتله فاسمعُ منه ، فإن سمعت حسناً استردته ، وإن لم يعجبك فما أقدرك على قتله . فإذا نزلت فادعُ به ، قال : فنزل ، وطعم وشرب ، وبينه وبين الناس حجابٌ ستر يراهم منه ولا يرونه ، فدعا بعبيد من وراء الستر ، فقال له رديفه<sup>1</sup> : هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد ! فقال : أتتكَ بحائن رجلاه<sup>2</sup> ، فأرسلها مثلاً ، فقال : ما ترى يا عبيد ؟ قال : أرى الحوايا عليها المنايا . فقال : فهل قلت شيئاً ؟ فقال : حال الجريض دون القريض<sup>3</sup> ، فقال : أنشدني :

أفقرَ من أهله مَلحوب

فقال :

[من السريع]

أفقرَ من أهله عبيدُ      فليس يُبدي ولا يعيدُ  
عنتَ له خُطّةٌ نكوذ      وحن منها له ورودُ

[من المتقارب]

فقال أنشدنا :

هيَ الخمرُ تُكنى بأُمّ الطلّي      كما الذئبُ يكنى أبا جَعْدَه<sup>4</sup>

وأبى أن ينشدهم شيئاً ممّا أرادوا ، فأمر به ، فقتل .

[خبر نديمي المنذر]

فأمّا خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل ومقتلهما فإنّهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء ، فيما ذكره خالد بن كلثوم ، فراجعاه بعض القول على سُكره ، فغضب ، فأمر بقتلهما ، وقيل : بل دفنهما حيّين ، فلمّا أصبح سأل عنهما ، فأخبر خبرهما فنديم على

1 الرديف : نديم السلطان الذي يشاربه .

2 راجع الحاشية رقم 5 ، ص 62 .

3 راجع الحاشية رقم 6 ، ص 62 .

4 الطلي : من أسماء الخمر .

فعله ، فأمر بإبل ، فنحرت على قبريهما ، وغُرِّيَ بدمائها قبراهما إعظاماً لهما وحزن عليهما ، وبنى الغريين فوق قبريهما ، وأمر فيهما بما قدّمتُ ذكره من أخبارهما ، فقالت نادبة الأسديين :

ألا بَكَرَ الناعي بخير بني أسدٍ      بعمر بن مسعودٍ وبالسيد الصمّدِ  
وقال بعض شعراء بني أسد يرثي خالد بن المُضَلَّل وعمر بن مسعود ، وفيه غناء :

### صوت

يا قَبْرُ بَيْنَ بيوتِ آل مُحَرِّقٍ      جادت عليك رواعدٌ وبروقُ  
أما البُكاءُ فقلّ عنك كثيرُهُ      ولكن بُكيتَ فبالْبُكاءِ خَلِيقُ  
الغناء لابن سريج ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى من جامع أغانيه .  
ومما يغني به أيضاً من شعر عبيد :

### صوت

طاف الخيال علينا ليلة الوادي      من أمّ عمرو ولم يُلمَمَ لميعادٍ<sup>1</sup>  
أتى اهتديت لركب طال سيرهم      في سبَسَبٍ بين ذكداكٍ وأعقادٍ<sup>2</sup>  
أذهب إليك فإنني من بني أسد      أهل القباب وأهل الجرد والنّادي<sup>3</sup>  
الغناء للغريض ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه ثقیل أول بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه لأبي زكار الأعمى ، وذكر حبش أنّه لابن سريج .  
وفي هذه القصيدة يقول : يخاطبُ حجر بن الحارث أبا امرئ القيس ، وكان حُجْرٌ يتوَعّده في شيء بلغه عنه ، ثم استصلحه فقال يخاطبه :  
أبلغ أبا كَرِبٍ عنّي وإخوتَه      قولاً سيذهب غوراً بعد إنجادٍ<sup>4</sup>

1 أمّ عمرو في الديوان : 62 . لآل أسماء لم .

2 السبَسَب : المغازة . الذكداك : ما غلظ من الأرض ، أو فيها رمل متلبّد . أعقاد : أرض شجراء .

3 الجرد : بدل الجود .

4 الغور : ما انخفض من الأرض . والإنجاد : سلوك النجود المرتفعة .

لا أعرفنك بعد الموت تندبني      وفي حياتي ما زودتني زادي<sup>1</sup>  
 إنَّ أَمَامَكَ يوماً أنتَ مدركه      لا حاضرٌ مفلتٌ منه ولا بادي  
 فانظر إلى ظلِّ ملكٍ أنتَ تاركه      هل تُرسيْن أواخيه بأوتاد<sup>2</sup>  
 الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به      والشَّرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادٍ

[عمر يبكي خالد بن الوليد بعد موته]

أخبرنا عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخزاعي ، عن المدائني ، عن أبي بكر الهذلي قال : سمع عمر بن الخطابُ نساء بني مخزوم يبكين على خالد بن الوليد ، فبكي ، وقال : ليقُلْ نساء بني مخزوم في أبي سليمان ما شئْن ، فإنَّهنَّ لا يكذبن ، وعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي ، فقال له طلحة بن عبيد الله ، إنَّك وإياه لكما قال عبيد بن الأبرص :

لا أَلْفَيْنَكَ بعدَ الموتِ تندبني      وفي حياتي ما زودتني زادي

[كلب في ضيافة كلب]

أخبرني عمي ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد : قال : حدَّثني محمد بن عبد الله العبدي ، قال : حدَّثني سيفُ الكاتب ، قال : وليتُ ولايةً ، فمررتُ بصديق لي في بعض المنازل ، فترلت به ، قال : فإلنا من الطعام والشراب ، ثم غلب علينا النبيذُ ، فإمنا ، فانتبهتُ من نومي ، فإذا أنا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يئش به ويسلم عليه لا أنكر من كلامهما شيئاً ، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره ، وقال له : هل عندك شيء تُطعمنيه ؟ قال : نعم ، قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعام ، وليس عليه شيء ، فذهبا إليه ، فكأنني أسمع ولوغهما في الإناء حتى أكلا ما كان هناك فيه ، ثم سأله نبيذاً ، فقال : نعم ، لهم نبيذ في إناء آخر ليس له غطاء ، فذهبا إليه فشربا .

[الكلاب تتغنى بشعره]

ثم قال له : هل تطرني بشيء ؟ قال : إي وعيشك ، صوت كان أبو يزيد يغنيه ، فيجيده ، ثم غناه في شعر عبيد بن الأبرص .

1 أعرفنك في الديوان : 62 لأعرفنك .

2 الأواخي : جمع الآخية وهي عروة تربط إلى وتد مدقوق ويشد فيها الشيء . والأواخي هنا : الأواصر .

## صوت

[من البسيط]

طاف الخيالُ علينا ليلةَ الوادي      لآلِ أسماءٍ لم يُلمِمَ لميعادٍ  
 أننى اهتديت لركبٍ طال سيرُهُم      في سببٍ بين دَكْدَكٍ وأَعْقَادٍ  
 قال : فلم يزل يغنيه هذا الصوت ، ويشريان ملياً ، حتى فنيَ ذلك النبذ ، ثم خرج  
 الكلبُ الداخِل ، فَخَفْتُ واللَّهِ على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل ، فأمسكتُ ، وما  
 أذكر أننى سمعت أحسن من ذلك الغناء .  
 ومما يغنى فيه من شعره قوله :

[من البسيط]

## صوت

لمن جمالٌ قبيلَ الصَّبحِ مزْمومَه      ميمّاتٌ بلاداً غيرَ معلومَه  
 فيهنَّ هندٌ وقد هام الفؤاد بها      بيضاء أنسَه بالحسن موسومَه<sup>1</sup>  
 الغناء لابن سريج رمل عن يونس والهشاميّ وحش .  
 ومنها قوله :

[من الخفيف]

## صوت

دَرَّ دَرَّ الشباب والشعرِ الأسد      حود والضامرات تحت الرِّحالِ<sup>2</sup>  
 فالخناذيد كالقداح من الشَّو      حط يحملن شِكَّةَ الأبطالِ<sup>3</sup>  
 ليس رسمٌ على الدّفين ببالٍ      فَلَوى ذرّوةً فجنبني أثالِ<sup>4</sup>  
 تلك عرسي قد غيرتني خِلالي      ألبين تريدُ أم لدلالِ<sup>5</sup>  
 الغناء لطويس خفيف رمل لا شك فيه ، وفيه ثقل أول ، ذكر علي بن يحيى أنه لطويس  
 أيضاً ، ووجدته في صنعة عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ، وفي الثالث والرابع من الأبيات  
 لدلال خفيف رمل بالنصر ، عن عبد الله بن موسى والهشاميّ .

1 وقد في الديوان 135 : التي .

2 الضامرات في الديوان 115 : والرائكات ومفردها : راتكة : التي تعد في خطو متقارب .

3 الخناذيد في الديوان 115 : والغناجيج ، والخناذيد : جمع خنذيد : الشجاع البهمة من الفرسان ، والغناجيج :  
 الواحدة عنجوج : الطويل العنق . الشوحط : شجر تتخذ منه القسي والسهام . والشكة : السّلاح .

4 أثال : اسم جبل .

5 الشطر الأول في الديوان 113 : تلك عرسي تروم قدماً زياي .

## صوت

[من الكامل]

لَمَنْ الدَّيَّارُ كَانَتْهَا لَمْ تُحَلَّلْ      بِجَنُوبِ أُسْنَمَةٍ فَقُفَّ الْعُنْصُلُ  
 دَرَسَتْ مَعَالِمُهَا فَبَاقِي رَسْمِهَا      خَلَقَ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ الْمُحْوِلِ<sup>1</sup>  
 دَارٌ لِسُعْدَى إِذْ سَعَادَتْ كَانَتْهَا      رَشَاءُ غَضِيضِ الطَّرْفِ رَخْصُ الْمِفْصَلِ<sup>2</sup>  
 عروضه من الكامل ، جنوب أسنمة : أودية معروفة . والقُفَّ : الكثيب من الرمل ليس  
 بالمشرف ولا المتمدّد . والعنصل : بصل معروف .  
 الشعرُ لربيعَةَ بنِ مَقْرُومٍ الضَّبِّيِّ ، والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشامي .

1 محول : أنت عليه أحوال أي سنون .

2 رخص المفضل : لينة المفاصل .

[ 466 ] - أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه<sup>1</sup>

[ نسبه ]

هو ربيعة بن مقروم الضبي بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد الله بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أذ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .  
شاعر إسلامي مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان ممن أصفق<sup>2</sup> عليه كسرى ،  
ثم عاش في الإسلام زماناً .

[ يهجو ضابئ بن الحارث ]

قال أبو عمرو الشيباني : كان ربيعة بن مقروم باع عَجْرَدَ بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، لِقْحَةً<sup>3</sup> إلى أجل ، فلما بايعه وجد ابن مقروم ضابئ بن الحارث عند عَجْرَدَ ، وقد نهاه عن إنظاره بالثمن ، فقال ابن مقروم يُعَرِّضُ بضابئ إنه أعان عليه وكان ضيلعه معه<sup>4</sup> :  
[ من الوافر ]

أَعَجْرُ ابن المليحة إنَّ هُمِّي إذا ما لَجَّ عُذَالِي لَعَانِ  
قوله : لعان أي عان من العناء ، عناني الشيء يَعْنِينِي ، وهو لي عانٍ .

يرى ما لا أرى ويقول قولاً	وليس على الأمور بمستعان
ويخلف عند صاحبه لَشَاةً	أحبُّ إليَّ من تلك الثمان
وحامل ضبِّ ضِغْنٍ لم يَضِرَّنِي	بعيد قلبه حلو اللسان <sup>5</sup>
ولو أنِّي أشاء نَقَمْتُ منه	بِشَغْبٍ من لسانٍ تِيحَانٍ <sup>6</sup>
ولكنِّي وصلتُ الحبل منه	مواصلة بحبل أبي بيان

1 انظر ترجمته في المفصليات : 180 والاشتقاق 123 والإصابة 2 : 220 والخزانة 3 : 566 .

2 أصفق عليه : أطبق عليه وجسه في المشقر .

3 اللقحة : الناقة ذات لبن .

4 ل : لعمر أبي المليحة .

5 الضب : الضغن .

6 الشنب : الشر في الخصام . والتيحان : من يتعرض للشداد والمكرمات .

تَرْفَعُ فِي بَنِي قَطْنٍ وَحَلَّتْ      بيوتَ المجدِّ يَبْنِيهِنَّ باني  
يعني حَلَّتْ بنو قطن بيوتَ المجد .

وَضَمْرَةٌ إِنْ ضَمْرَةٌ خَيْرٌ جَارٍ      إِلَى قَطْنٍ بِأَسْبَابِ مِتَانٍ  
هَجَانُ الْحَيِّ كَالذَّهَبِ الْمَصْفَى      صَبِيحَةٌ دِيمَسَةٌ يَجْنِيهِ جَانٍ<sup>1</sup>

قال أبو عمرو : الذهبُ في معدنه إذا جاءه المطر ليلاً لاح من غد عند طلوع الشمس  
فِيُتَبَّعُ وَيُؤْخَذُ .

[يمدح مخلصه من الأسر]

قال أبو عمرو : وَأَسِيرَ رَبِيعَةَ بَنُ مَقْرُومٍ وَاسْتَيْقَ مَالُهُ ، فَتَخَلَّصَهُ مَسْعُودُ بْنُ سَالِمٍ بَنُ أَبِي  
سَلَمَى بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ذُوَيْبِ بْنِ السَّيِّدِ ، فَقَالَ رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ فِيهِ  
قَوْلُهُ :

كَفَانِي أَبُو الْأَشْوَسِ الْمُنْكَرَاتِ      كَفَاهُ إِلَالُهُ الَّذِي يَحْذَرُ  
أَعَزُّ مِنَ السَّيِّدِ فِي مَنْصِبٍ      إِلَيْهِ الْعَزَازَةُ وَالْمَفْخَرُ<sup>2</sup>

وقال يمدحه أيضاً :

بَانَ الْخَلِيطُ فَأَمَسَى الْقَلْبُ مَعْمُوداً      وَأَخْلَفْتُكَ ابْنَةَ الْحَرِّ الْمَوَاعِيدِ<sup>3</sup>  
كَأَنَّهَا ظَبِيَّةٌ بِكَرٍّ أَطَاعَ لَهَا      مِنْ حَوْمَلٍ تَلَعَاتُ الْحَيِّ أَوْ أُودَا<sup>4</sup>  
قَامَتْ تَرِيكَ غَدَاةَ الْبَيْنِ مُنْسَدِلًا      تَجَلَّلَتْ فَوْقَ مَتْنِهَا الْعِنَاقِيدُ<sup>5</sup>  
وَبَارِداً طَيِّباً عَذِيباً مَذَاقُهُ      شَرِبْتُهُ مَرْجَافاً بِالظَّلَمِ مَشْهُودَا<sup>6</sup>  
وَجَسْرَةً أَجْدُ تَدْمَى مَنَاسِمُهَا      أَعْمَلْتُهَا بِيَّ حَتَّى تَقْطَعَ الْبِيدَا<sup>7</sup>

1 المهجان : الكريم الحسب .

2 السَّيِّدُ : يطلق على الذئب والأسد . والأسد هو المراد .

3 في المفضليات (رقم 43) 213 : بانت سعاد ، والخليط : المخالط من زوج وجار وصديق ونحو ذلك .  
معموداً : مضنى مريضاً .

4 أطاع لها : اتسعت ودانت لها . تلعات الحي : روايه العالية . حومل وأود : مكانان .

5 متناها : جانبها . والعناقيد ، عناقيد الشعر .

6 في المفضلية رقم 43 ص 213 : مقبله . الظلم : ماء الأسنان وبريقها .

7 أجْد في ل : حرج . والجسرة : الضخمة . الأجد : الناقة المثينة الأضلاع . والخرج : الطويلة على وجه الأرض .  
وأعملتها : سرت عليها .

كَلَّفْتُهَا ، فرأتَ حتماً تكلّفها  
 في مهممٍ قَدْفٍ يُخشى الهلاكُ به  
 لما تشكّت إليّ الأيسنَ قلتُ لها :  
 ما لم ألاقِ امرءاً جَزْلاً مواهبه  
 وقد سمعتُ بقومٍ يُحمّدون فلم  
 ولا عفافاً ولا صبراً لنائبة  
 السيّد : قبيل الممدوح من آل ضبة .

لا حلمك الحلمُ موجودٌ عليه ، ولا  
 وقد سبقتَ لغاياتِ الجوادِ وقد  
 هذا ثنائي بما أوليتَ من حسنٍ  
 لا زلتَ برّاً قريراً العينِ محسوداً<sup>7</sup>

[يتقاضى دينه بشعره]

قال أبو عمرو : كان لضابيء بن الحارث البرجمي ، على عَجْرَد بن عبد عمرو دينٌ بايعه  
 به نَعَمًا ، واستخار الله في ذلك ، وبايعه ربيعة بن مقروم ، ولم يستخر الله تعالى ، ثم خافه  
 ضابيء فاستجار بريعة بن مقروم في مطالبته إياه ، فضمن له جواره ، فوقى عَجْرَدَ لضابيء ،  
 ولم يفِ لربيعة ، فقال ربيعة :

أَعَجْرُدُ إِنِّي مِنْ أُمَانِيٍّ باطلٍ  
 وإنّ اختلافي نصفَ حولٍ مجرّمٍ  
 وقولٍ غداً شيخٌ لذاك سوءٌ  
 إليكم بنسي هندی عليّ عظيمٌ  
 فلا أعرفني بعد حولٍ مجرّمٍ  
 وقولٍ خلا يُشكُونُني فالومُ<sup>8</sup>

1 ظهيرة : في المفصلة 43 ص 214 : وديقة وهي أشد الحر . الصيخود : الشديدة .

2 القذف : مترامي الأطراف . أصداؤه : جمع صدى ، وهو طائر يخرج من رأس القنبل لا يفتأ يصيح «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره .

3 الأيسن : التعب .

4 في المفصلة 214/43 : وما أبتىء .

5 موجود عليه : أي لم يطش حلمك فيوجد عليك ، أي يغضب . عطاء منكود : نزر قليل .

6 لغايات في المفصلة 214/43 : بغايات .

7 برّاً في ل وفي المفصلة 214/43 عوض .

8 يشكونني : من أشكاه : أزال سبب شكواه .



ويلتمسوا وُدِّي وعظفني بعد ما      تناشدَ قولي وائلٌ وتميمٌ  
وإن لم يكن إلاّ اختلافي إليكم      فإني امرؤٌ عِرْضي عليّ كريمٌ  
فلا تُفسدوا ما كان بيني وبينكم      بني قَطْنٍ إنَّ المليمٌ مُليمٌ<sup>1</sup>  
فاجتمعت عشيرةٌ عَجَرِدٍ عليه ، وأخذوه بإعطاث ربيعة ماله ، فأعطاه إياه .

[حماد الراوية يثري على حسابه]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني حمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد الراوية ، قال : دخلتُ على الوليد بن يزيد ، وهو مُصْطَبِح ، وبين يديه معبد ، ومالك ، وابن عائشة وأبو كامل ، وحكم الوادي ، وعمر الوادي يُغَنُّونه ، وعلى رأسه وصيفةٌ تَسْقِيه ، لم أرَ مثلها تماماً وكالاً وجمالاً . فقال لي : يا حمّاد ، أمرتُ هؤلاء أن يغنّوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجعلتها لمن وافق صفتها نَحْلَةً<sup>2</sup> . فما أتى أحدٌ منهم بشيء ، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها ، وهي لك ؛ فأنشدته قولَ ربيعة بن مقروم الضَّبِّيّ :

دارٌ لسُعدى إذ سعاد كأنّها      رشاً غضيض الطرفِ رخصُ المِفْصَلِ  
شَمَاءٌ واضحةٌ العوارضِ طفلةٌ      كالبدْرِ من خللِ السحابِ المنجلي<sup>3</sup>  
وكأنّما ربحُ القرنفلِ نشرها      أو حَنَوَةٌ خِلْطَتْ خُزَامِي حَوْمَلِ<sup>4</sup>  
وكأنّ فاها بعد ما طَرَقَ الكرى      كأسٌ تُصَفِّقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ  
لو أنّها عرضت لأشْمَطَ راهبٍ      في رأسِ مُشْرِفةِ الدُّرَا متبتّلِ<sup>5</sup>  
جَارٍ ساعاتِ النِّيامِ لرَبِّه      حتى تَخَدَّدَ لحمه مُستعملِ<sup>6</sup>  
لصبا لبهجتها وحسنِ حَدِيثِها      ولهم من ناموسه بتَنَزَّلِ<sup>7</sup>  
فقال الوليدُ : أصبتَ وصفها ، فاخترها أو ألفَ دينار ، فاخترتُ الألفَ الدينار ، فأمرها ، فدخلتُ إلى حرمه ، وأخذتُ المالَ .

1 المليم : من أتى عملاً يستحقّ عليه اللوم .

2 نَحْلَةٌ : عطاء .

3 العوارض : جمع عارضة : الثنية من الأسنان ، أو صفحة الخد . طفلة : ناعمة رخصة .

4 الحنوة : الريحانة . الخُزَامِي : نبات عطري الرائحة . حومل : اسم مكان .

5 الأشمط : المختلط سواد شعره بيباض . في رأسِ مُشْرِفةِ الدُّرَا : في رأسِ قمة عالية . متبتّل : متعبّد .

6 جَارٌ : مبالغة من جَارٌ : رفع صوته . تَخَدَّدَ لحمه : تشقق من كثرة قيام الليل . مستعمل : مستعمل أعضاءه في أعمال التعبّد .

7 الناموس : بيت الراهب .

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده ، وحسنه ، فمن مختارها ونادرها قوله :

### صوت

بل إن تَرَيَّ شَمَطًا تَفَرَّعَ لِمَتِّي      وَحَنَا قَنَاتِي وَارْتَقَى فِي مِسْحَلِي<sup>1</sup>  
وَدَلَفْتُ مِنْ كَبِيرِ كَأَنِّي خَاتِلٌ      قَنَصًا وَمَنْ يَدِيبُ لَصِيدٍ يَخْتَلِ  
فَلَقَدْ أَرَى حَسَنَ الْفَنَاءِ قَوِيمَهَا      كَالنَّصْلِ أَخْلَصَهُ جَلَاءِ الصَّيْقَلِ  
أَزْمَانَ إِذْ أَنَا وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلْسَى      تُصَيِّبِي الْغَوَانِي مَبْعَتِي وَتَنْقُلِي<sup>2</sup>  
غنى بذلك معبد ثقيلاً أَوَّلَ :

ولقد شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طِرَادِهَا      بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ<sup>3</sup>  
مَتَقَاذِفِ شَنْجِ النَّسَا عِبِلِ الشَّوَى      سَبَاقِ أُنْدِيَةِ الْجِيَادِ عَمَيْثِلِ<sup>4</sup>  
لَوْلَا أَكْفَكِفُهُ لَكَانَ إِذَا جَرَى      مِنْهُ الْعَزِيمُ يَدُقُّ فَأْسَ الْمِسْحَلِ<sup>5</sup>  
وَإِذَا جَرَى مِنْهُ الْحَمِيمُ رَأَيْتَهُ      يَهْوِي بِفَارِسِهِ هُوِيَّ الْأَجْدَلِ<sup>6</sup>  
وَإِذَا تَعَلَّلُ بِالسَّيَاطِ جِيَادُهَا      أَعْطَاكَ نَائِيهِ وَلَمْ يَتَعَلَّلِ  
وَدَعَوْا : نَزَالٍ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ      وَعِلَامَ أَرْكُبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ ؟  
وَلَقَدْ جَمَعْتُ الْمَالَ مِنْ جَمْعِ امْرِئٍ      وَرَفَعْتُ نَفْسِي عَنْ لَيْمِ الْمَآكِلِ  
وَدَخَلْتُ أَبْنِيَةَ الْمُلُوكِ عَلَيْهِمْ      وَلَشَرُّ قَوْلِ الْمَرْءِ مَا لَمْ يُفْعَلِ  
وَالِدٌ ذِي حَنْقٍ عَلِيٌّ كَأَنَّمَا      تَغْلِي عِدَاوَةُ صَدْرِهِ كَالْمِرْجَلِ  
أَرْجِيئُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ      وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَظِرِ مِنْ غَلِ<sup>7</sup>

1 تَفَرَّعَ لِمَتِّي : انتشر ، وتفتش فيهما . حنا قناتي : قوس ظهري . المسحل : جانب اللحية .

2 المبةة من كل شيء : أوله . تنقل في ل : وتبتلي .

3 أَوْظَفَةُ : جمع وظيف . مستندق الذراع والساق من الفرس ونحوه ، هَيْكَل : ضخمة .

4 مَتَقَاذِف : سريع . شَنْج : منقبض . النَّسَا : عصب الورك يمتد منه إلى الكعب . عِبِلِ الشَّوَى : مندمج

الأطراف . عَمَيْثِل : ضخمة قوي . أَبْدَةُ الْجِيَاد : أي سباق الجياد الشاردة .

5 فِي مَجْمُوعِ شَعْرِ رَبِيعَةٍ بَنِ مَقْرُومٍ بَنِ ضَبَّةٍ ص 373 لَكَاد . مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد عدد 11 ،

حزيران 1968 . الْعَزِيم : الجري . الْمِسْحَل : اللجام ، فَأْسُ الْمِسْحَل : حديدته التي في حنك الفرس .

6 الْحَمِيم : العرق . الْأَجْدَل : الصقر .

7 أَرْجِيئُهُ : دفعته .

وَأَخِي مُحَافِظَةٌ عَصَى عُدَّالَهُ  
هَشٌّ يَرَّاحُ إِلَى النَّدَى نَبْهَتُهُ  
فَأَتَيْتُ حَانُوتاً بِهِ فَصَبَحْتُهُ  
صَهْبَاءَ إِيَّاسِيَّةً أَغْلَى بِهَا  
وَمُعْرَسٍ عُرْضَ الرِّدَاءِ عَرَسَتُهُ  
وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَيْنَهَا  
فَإِذَا وَذَاكَ كَأَنَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ  
وَلَقَدْ أَتَتْ مَائَةٌ عَلَيَّ أَعْدُهَا  
فَإِذَا الشَّبَابُ كَمِيزْدَلٍ أَنْضَيْتُهُ  
هَلَا سَأَلْتُ وَخُبِرْتُ قَوْمَ عِنْدَهُمْ  
هَلْ نُكْرِمُ الْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا  
وَنَحُلَّ بِالثَّغْرِ الْمُخُوفِ عَدُوَّهُ  
وَنُعِينُ غَارِمَنَا وَنَمْنَعُ جَارَنَا  
وَإِذَا امْرَأُ مَنَا حَبَا فَكَأَنَّهُ  
وَمَتَى تَقُمْ عِنْدَ اجْتِمَاعِ عَشِيرَةٍ  
وَيَرَى الْعَدُوَّ لَنَا دُرُوءاً صَعْبَةً

وَأَطَاعَ لَذَّتَهُ مَعَهُ مُخَوِّلٌ  
وَالصَّبْحُ سَاطِعٌ لَوْنُهُ لَمْ يَنْجَلِ<sup>1</sup>  
مَنْ عَاتَقَ بِمَزَاجِهَا لَمْ تُقْتَلِ<sup>2</sup>  
يَسْرُ كَرِيمُ الْخَيْمِ غَيْرُ مُبْخَلٍ<sup>3</sup>  
مَنْ بَعْدَ آخِرِ مَثَلِهِ فِي الْمَنْزِلِ<sup>4</sup>  
وَأَصَابَنِي مِنْهُ الزَّمَانُ بِكُلِّ كَلٍ  
إِلَّا تَذَكَّرَهُ لَمَنْ لَمْ يَجْهَلِ  
حَوْلًا فَحَوْلًا لَا بَلَاهَا مُتَبَلٍ  
وَالدَّهْرُ يُيْلِي كُلَّ جِدَّةٍ مَبْدَلٍ<sup>5</sup>  
وَشَفَاءُ غَيْكِ خَابِرًا أَنْ تَسْأَلِي  
وَنَسُودُ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ تَنْحَلٍ<sup>6</sup>  
وَنَرُدُّ حَالَ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ<sup>7</sup>  
وَنَزِينُ مَوْلَى ذِكْرِنَا فِي الْحَفْلِ<sup>8</sup>  
مِمَّا يُخَافُ عَلَى مَنَاكِبِ يَذْبُلِ<sup>9</sup>  
خُطْبَاؤُهَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ يُفْصَلُ<sup>10</sup>  
عِنْدَ النُّجُومِ مَنِيْعَةٌ الْمُتَأَوَّلِ<sup>11</sup>

1 يراح إلى الندى : يرتاح إليه .

2 العاتق : الخمر المعتقة .

3 إِيَّاسِيَّة : لعلها منسوبة إلى الخَمَار . وفي الخزنة 566/3 صهباء صافية القذى أغلى بها . يسر : سهل سمح ، أو يلعب الميسر .

4 المعرس : مكان التعريس : الإقامة ليلاً .

5 المبدل : الثوب يلبس في المهنة .

6 غير تنحل : غير ادعاء وكذب وفي ل : غير تبخل .

7 العارض المتهلل : السحاب المعترض في الأفق .

8 المولى : من معانيه الصديق .

9 يذبل : اسم جبل .

10 يفصل في ل : تفصل .

11 الدروء : جمع درء ، وهو التواء في الجبل . المتأول : من تأول الأمر : توسمه وتحراه .

وَإِذَا الْحَمَالَةُ أَثْقَلَتْ حُمَالَهَا      فَعَلَى سَوَائِمِنَا ثَقِيلُ الْحَمِيلِ<sup>1</sup>  
وَنُحِقُّ فِي أُمُورِنَا لَحْلِفِنَا      حَقًّا يَبُوءُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْأَلِ<sup>2</sup>

وهذه جملة جمعت فيها أغاني من أشعار اليهود ، إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة ،  
فمن ذلك :

### صوت

أُنِّى تَذَكَّرُ زَيْنَبَ الْقَلْبُ      وَطِلَابُ وَصَلٍ عَزِيزَةَ صَعْبُ  
مَا رَوْضَةُ جَادِ الرَّبِيعِ لَهَا      مَوْلِيَةٌ مَا حَوْلَهَا جَدْبُ  
بَالِدٌ مِنْهَا إِذْ تَقُولُ لَنَا      سِيرًا قَلِيلًا يَلْحَقُ الرِّكْبُ

الشعر لأوس بن ذئب القرظي ، والغناء لابن سريج ثقیل أول بالسبابة في مجرى البنصر  
عن إسحاق ، وزعم عمرو أن فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى للملك ، وأن فيه صنعة لابن  
محرز ، ولم يجنسها .

1 الحمالة : ما يحمل في الديات ونحوها . السائمة : الماشية .

2 في الخزنة 565/3 : أموالنا لحربنا . . حق تنوء به .

## [467] - أخبار أوس ونسب اليهود

## النازلين يثرب وأخبارهم

أوس بن ذئب اليهوديُّ رجل من بني قُرَيْظَةَ ، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم : الكاهنان ، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران صَلَّى الله على محمد وآله وعليهما ، وكانوا نزولاً بنواحي يثرب بعد وفاة موسى بن عمران عليه السلام ، وقبل تفرق الأزد عند انفجار سيل العرم ونزول الأوس والخزرج يثرب .  
[العمالة في المدينة]

أخبرني بذلك عليُّ بنُ سليمان الأُخفشُ ، عن جعفر بن محمد العاصي عن أبي المنهال عُمَيْنَةَ بن المنهال المهلبِيّ ، عن أبي سليمان : جعفر بن سعد ، عن العماريِّ ، قال : كان ساكنو المدينة في أوّل الدهر قبل بني إسرائيل قوماً من الأمم الماضية ، يقال لهم : العماليق ، وكانوا قد تفرّقوا في البلاد ، وكانوا أهل عزّ وبغي شديد ، فكان ساكني المدينة منهم بنو هفّ وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق ، وكان ملكَ الحجاز منهم رجلٌ يقال له : الأرقم ، ينزل ما بين تيماء إلى فدك ، وكانوا قد ملئوا المدينة ، ولهم بها نخل كثير وزروع ، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبارة من أهل القرى يغزونهم ، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشاً من بني إسرائيل ، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهرُوا عليهم ، ولا يَسْتَبِقُوا منهم أحداً ، فقدم الجيشُ الحجازَ ، فأظهرهم الله عزّ وجلّ على العماليق ، فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأرقم ؛ فإنه كان وضيقاً جميلاً ، فضنبوا به على القتل ، وقالوا : نذهب به إلى موسى بن عمران ، فيرى فيه رأيه ، فرجعوا إلى الشام ، فوجدوا موسى ، عليه السلام ، قد توفي ، فقالت لهم بنو إسرائيل : ما صنعتم ؟ فقالوا : أظهرنا الله جلّ وعزّ عليهم ، فقتلناهم ، ولم يبقَ منهم أحدٌ غيرُ غلام كان شاباً جميلاً ، فنفسنا به عن القتل ، وقلنا : نأتي به موسى عليه السلام ، فيرى فيه رأيه ، فقالوا لهم : هذه معصية : قد أمرتم ألاّ تَسْتَبِقُوا منهم أحداً ، والله لا تدخلون علينا الشام أبداً .

[أوّل سكنى اليهود المدينة]

فلما مُنعوا ذلك قالوا : ما كان خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز ، نرجع إليهم ، فنقيم بها ، فرجعوا على حاميتهم ، حتى قدموا المدينة ، فنزلوها ، وكان ذلك الجيش أوّل سكنى اليهود المدينة ، فانتشروا في نواحي المدينة كلّها إلى العالية ، فاتخذوا

بها الآطام<sup>1</sup> والأموال والمزارع ، ولبثوا بالمدينة زماناً طويلاً .

[بنو قريظة والنضير يلحقون بإخوانهم]

ثم ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعاً بالشام ، فوطئوهم ، وقتلوه ، ونكحوا نساءهم ، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هارين منهم إلى مَنْ بالحجاز من بني إسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام ، فلما فصلوا عنها بأهلهم بعث ملك الروم في طلبهم ؛ ليردهم ، فأعجزوه ، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز ، فلما بلغ طلب الروم الشمد انقطعت أعناقهم عطشاً ، فماتوا ، وسمي الموضع ثمد الروم ، فهو اسمه إلى اليوم ، فلما قديم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابة ، فوجدوها وبيّة<sup>2</sup> فكهوها ، وبعثوا رائداً أمره أن ياتمس لهم منزلاً سواها ، فخرج حتى أتى العالية ، وهي بطحان ومهزور : واديان من حرّة على تلاع أرض عذبة ، بها مياه عذبة تنبت حرّ الشجر ، فرجع إليهم ، فقال : قد وجدت لكم بلداً طيباً نزهاً على حرّة يصبّ فيها واديان على تلاع عذبة ومدرة<sup>3</sup> طيبة في متأخر الحرّة ، ومدافع الشرج ، قال : فتحول القوم إليها من منزلهم ذلك ، فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان ، وكانت لهم إبل نواعم ، فاتخذوها أموالاً ، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور ، فكانت لهم تلاعهم وما سقي من بعات وسمرات ، فكان ممن يسكن المدينة ، حين نزها الأوس والخزرج ، من قبائل بني إسرائيل بنو عكرّة ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر ، وبنو زغورا ، وبنو قينقاع ، وبنو زيد ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو الفصيص ، فكان يسكن يثرب جماعة من أبناء اليهود ، فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود ، وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة ، ولهم كان الأطم الذي يقال له : الخال .

[بطون من العرب بالمدينة]

وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم : بنو الحرمان : حي من اليمن ، وبنو مرثد حي من بلي ، وبنو أنيف من بلي أيضاً ، وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بهثة ، وبنو الشظية : حي من غسان ، وكان يقال لبني قريظة وبنو النضير خاصة من اليهود : الكاهنان ، نسيبوا بذلك إلى جدّهم الذي يقال له الكاهن ، كما يقال : العُمران والحسنان والقمران<sup>4</sup> ، قال كعب بن سعد القرظي :

[من البسيط]

1 الآطام : جمع أطم أو أطم : الحصون ، أو كل بناء مرتفع .

2 وبة : تخفيف وبيّة بمعنى كثر فيها الوباء .

3 مدرة : تربة .

4 العمران : أبو بكر وعمر ، والحسنان : الحسن والحسين . والقمران : الشمس والقمر .

بالكاهنين قررتهم في دياركم<sup>1</sup> جمًا ثواكم ومن أجلاكم جدبا<sup>1</sup>  
وقال العباس بن مرداس السلمي يرد على خوات بن جبير لما هجاهم : [من الطويل]  
هجوت صريح الكاهنين وفيكم<sup>2</sup> لهم نعم كانت مدى الدهر ترتبا<sup>2</sup>  
[هجرة القبائل بعد سيل العرم]

فلما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب ، وهم الأزد ، قام رائدهم فقال : من كان ذا  
جمل مفن<sup>3</sup> ووطب<sup>3</sup> مدن<sup>3</sup> وقرية وشن ، فلينقلب عن بقرات النعم ، فهذا اليوم يوم هم<sup>3</sup> ويلحق  
بالثني من شن ، قال وهو بالسراة ، فكان الذين نزلوه أزد شنوءة ، ثم قال لهم : ومن كان ذا  
فاقة وفقر ، وصبر على أزمت الدهر فليلق ببطن مزر ، فكان الذين سكنوه خزاعة ، ثم قال  
لهم : من كان منكم يريد الخمر والخمير ، والأمر والتأمر ، والدياج والحريز ، فليلق  
ببصرى والحفير ، وهي من أرض الشام ، فكان الذين سكنوه غسان ثم قال لهم : ومن كان  
منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلق بقصر عمان الجديد ، فكان الذين  
نزلوه أزد عمان ، ثم قال : ومن كان يريد الراسخات في الوحل ، المطاعم في الخحل ، فليلق  
بيثرب ذات النخل .

[الأوس والخزرج يعانون شظف العيش بالمدينة]

فكان الذين نزلوها الأوس والخزرج ، فلما توجهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا في صرار<sup>4</sup>  
ثم تفرقوا ، وكان منهم من لجأ إلى عفاء<sup>5</sup> من أرض لا ساكن فيه ، فنزلوا به ، ومنهم من لجأ  
إلى قرية من قراها ، فكانوا مع أهلها ، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة  
في جهد وضيق في المعاش ، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة ؛ لأن المدينة ليست بلاد نعم ،  
وليسوا بأصحاب نخل . ولا زرع ، وليس للرجل منهم إلا الأعذاق<sup>6</sup> اليسيرة ، والمزرعة  
يستخرجها من أرض موات ، والأموال لليهود ، فلبث الأوس والخزرج بذلك حيناً .  
[أبو جيلة يفتك باليهود]

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى أبي جيلة الغساني وهو يومئذ ملك غسان ، فسأله عن

1 جمًا ثواكم : كثيرة إقامتكم .

2 ترتبا : أمراً ثابتاً .

3 المفن : ذو الفن ، فلعله يعني تفنن الجمل في ضروب السير . الوطب : الإناء يُسقى فيه اللبن .

4 صرار : موضع على قرب من المدينة .

5 عفاء : يباب .

6 الأعذاق : جمع عذق وهو النخلة بحملها .

قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم ؛ وضيق معاشهم ، فقال له أبو جبيلة : والله ما نزل قوم منّا بلداً قطّ إلاّ غلبوا أهله عليه ، فما بالكم ؟ ثم أمره بالمضيّ إلى قومه ، وقال له : أعلمهم أنّي سائر إليهم ، فرجع مالك بن العجلان ، فأخبرهم بأمر أبي جبيلة ، ثم قال لليهود : إنّ الملك يريد زيارتكم فأعدّوا نزلاً فأعدّوه ، وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام في جمع كثيف ، حتى قدّم المدينة ، فنزل بذي خرّض ، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج ، فذكر لهم الذي قدّم له ، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم وأشرفهم ، وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصّنوا في آطامهم ، فمَنَعُوا منه حتى يطول حصاره إليّاهم ، فأمر بنيان حائر<sup>1</sup> واسع ، فبني ، ثم أرسل إلى اليهود : أنّ أبا جبيلة الملك قد أحبّ أن تأتوه ، فلم يبق وجه من وجوه القوم إلاّ أتاه ، وجعل الرجل يأتي معه بخاصّته وحشمه رجاء أن يحبّوهم ، فلمّا اجتمعوا ببابه أمر رجالاً من جنده أن يدخلوا الحائر الذي بُني ثم يقتلوا كل من يدخل عليهم من اليهود ثم أمر حجابهم أن يأذنوا لهم في الحائر<sup>2</sup> ويدخلوهم ، رجلاً رجلاً ، فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك ، ويقتلهم الجند الذين في الحائر ، حتى أتوا على آخرهم .

[سارة القريظة ترثي قوما]

فقالَت سارة القريظة ترثي من قتلَ منهم أبو جبيلة ، تقول : [من الوافر]

بنفسي أمة لم تُغن شيئاً	بذي خرّض تعفيها الرياحُ
كهولٌ من قريظة أتلقتّها	سيوفُ الخزرجيّة والرّماحُ
رُزئنا والرّزية ذات ثقلٍ	يمرُّ لأهلها الماء القراحُ
ولو أربوا بأمرهم لجالت	هنالك دونهم جأوا رداحُ <sup>3</sup>

[الرمق يمدح أبا جبيلة]

وقال الرّمق ، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جبيلة الغسانيّ :

[من مجزوء الكامل]

لم يُقَضْ دُئُكَ في الحسا نِ وقد غَيتَ وقد غَينا<sup>4</sup>

1 الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف يجتمع فيه الماء ، فيتحرّج ، ولا يخرج .

2 الذي . . . . . الحائر زيادة من ل .

3 أربوا : كانوا من ذوي الأرب بمعنى الفطنة والحدق . جأوا : أي جأوا . رداح : كثيرة العدد .

4 غنيت ، غنين : أقمت وأقمن .



الراشقات المرشقا	تِ الجازياتِ بما جُرِينا <sup>1</sup>
أُمثال غزلانِ الصرا	ثم يأتزرن ويرتدِينا <sup>2</sup>
الرَّيْطُ والدَّيْباجُ	والزَّرْدُ المضاعف والبرِينا <sup>3</sup>
وأبو جُبَيْلة خَيْرُ مَنْ	يمشي وأوفاهم يَمِينا
وَأَبْرُهُ بِرًّا وَأَعْلَى	مُهْ بعلم الصالحينا
أَبَقْتُ لَنَا الْإَيَّامُ وَالْحَرُ	بُ الْمَهْمَةُ تعترينا
كَبْشًا لَنَا ذِكْرًا يَفْلُ	حسامه الذَكَرَ السَّيْنِنا <sup>4</sup>
ومعاقلًا شَمًّا وَأَسِي	أَفًّا يَقْمَن وينحنينا
ومَحَلَّة زوراء تُر	جِفُّ بِالرَّجَالِ الْمُصْلِتِنا <sup>5</sup>

فلَمَّا أُنشدوا أبا جُبَيْلة ما قال الرَّمَقُ ، أُرسل إليه ، فجيء به ، وكان رجلاً ضئيلاً غير وضيء ، فلَمَّا رآه قال : «عسل طيِّب ووعاء سوء»<sup>6</sup> ، فذهبت مثلاً ، وقال للأوس والخزرج : إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد مَنْ قتل من أشراف أهلها فلا خير فيكم ، ثم رحل إلى الشام .

[بقية خبر أبي جبيلة]

وقال الصامت بن أصرم النوفلي يذكر قتل أبي جُبَيْلة اليهود : [من الكامل]

سائل قَرِيظَةَ مَنْ يُقَسِّمُ سَبِيهَا	يوم العُرْيَضِ ومن أفاء المغنما ؟
جاءَ تَهُمُ المَلْحَاءِ يَخْفِقُ ظِلُّهَا	وكتيبةُ خشناء تدعو أسلماً <sup>7</sup>
عمي الذي جلب الهمام لقومه	حتى أحلَّ على اليهودِ الصَّيْلَما <sup>8</sup>

[مالك بن العجلان يقتفي أثر أبي جبيلة]

يعني بقوله : «مَنْ يَقَسِّمُ سَبِيهَا» نسوةً سباهنَّ أبو جُبَيْلة من بني قريظة ، وكان رآهن

1 الراشقات : الراميات بسهام العيون . المرشقات : من أرشق الطيبي : مدّ عنقه .

2 الصرائم : جمع صريمة : القطعة من الرمل .

3 الریط : الثياب اللينة الرقيقة . والبرين ، جمع برة : الحلقة من سوار أو خلخال أو حلق ونحو ذلك .

4 الكبش : سيد القوام المدافع عنهم . الذكر السنين : السيف المسنون .

5 زوراء : بعيدة . المصلتين : المجردين سيوفهم .

6 مثل : وردت صيغة المثل في مجمع الأمثال 133/2 كلام كالعسل وفعل كالأسل .

7 الملهاء : الكتيبة العظيمة . الخشناء : كثيرة السِّلَاح .

8 الصيلم : الداهية الشديدة ، أو اسم من أسماء السِّيف .

فأعجبته ، وأعطى مالك بن العجلان منهن امرأة .

قال أبو المنهال أحد بني المعلّى : إنهم أقاموا زمناً بعد ما صنع ، ويهود تعترض عليهم ، وتناوئهم ، فقال مالك بن العجلان لقومه : والله ما أئخنا يهود غلبة كما نريد ، فهل لكم أن أصنع لكم طعاماً ، ثم أرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود ، فإذا جاءوني فاقتلوهم جميعاً ، فقالوا : نفعل ، فلما جاءهم رسول مالك قالوا : والله لا نأتيهم أبداً ، وقد قتل أبو جُبَيْلَة منّا من قتل ، فقال لهم مالك : إن ذلك كان على غير هوى منّا ، وإنّا أردنا أن نمحوه ، وتعلموا حالكم عندنا ، فأجابوه ، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقتل ، حتى قتل منهم بضعة وثمانين رجلاً ، ثم إن رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك ، فتسمّع فلم يسمع صوتاً فقال : أرى أسرع وريد وأبعد صدر ، فرجع وحذر أصحابه الذين بقوا ، فلم يأت منهم أحد ، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان : [من المتقارب]

فَسَفَّهَتْ قَيْلَةً أَحْلَامَهَا      ففيمَن بقيتَ وفيمَن تسود<sup>1</sup> ؟

فقال مالك : [من المتقارب]

فإني امرؤ من بني سالم بـ      من عوفي وأنت امرؤ من يهود

قال : وصوّرت اليهود مالكا في بيعهم وكنائسهم ، فكانوا يلعنونه كلما دخلوها ، فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله : [من المتقارب]

تَحَامِي الْيَهُودَ بَتْلَعَانَهَا      تَحَامِي الْحَمِيرَ بِأَبْوَاهَا<sup>2</sup>  
فماذا عليّ بأن يلعنوا      وتأتي المنايا بأذلالها<sup>3</sup>

[اليهود يذّلون]

قال : فلما قتل مالك من يهود من قتل ذلوا ؛ وقل امتناعهم ؛ وخافوا خوفاً شديداً ؛ وجعلوا كلما هاجهم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم إلى بعض ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول : إنّما نحن جيرانكم ومواليكم ، فكان كل قوم من يهود قد لجئوا إلى بطن من الأوس والخزرج ، يتعززون بهم .

1 قيلة : أم الأوس والخزرج .

2 تحامي ، من طلب الحماية باللّعن .

3 أذلال : جمع ذلّ : بمعنى الطريق المههد .

[يهودية تعتنق الإسلام]

وذكر أبو عمرو الشيباني أنَّ أوسَ بنَ ذئبٍ القرظيَّ كانت له امرأةٌ من بني قريظة أسلمت وفارقتَه ، ثم نازعتها نفسها إليه ، فأتته ، وجعلت ترغبه في الإسلام ، فقال فيها : [من الطويل]  
دَعْنِي إِلَى الْإِسْلَامِ يَوْمَ لَقِيْتُهَا      فقلتُ لها : لا بل تعالِي تهوِّدي  
فنحنُ على توراة موسى ودينه      ونعم لعمرى الدينُ دينُ محمدٍ  
كلانا يرى أنَّ الرِّسالةَ دينُهُ      ومن يُهدِّ أَبوابَ المرَّاشدِ يرشُدِ  
ومن الأغاني في أشعار اليهود :

[من الوافر]

## صوت

أعاذلتني ألا لا تعذليني	فكم من أمرٍ عاذلةٍ عصيتُ
دعيني وارشدي إن كنتُ أغوى	ولا تغوي زعمتِ كما غويتُ
أعاذلُ قد أطلتِ اللومَ حتَّى	لو أني مُتته لقد انتهيتُ
وحتى لو يكونُ فتى أناسٍ	بكى من غذلٍ عاذلةٍ بكيتُ
وصفراء المعاصيم قد دعنتي	إلى وصلٍ فقلتُ لها : أبيتُ
وزقٌ قد جررتُ إلى الندامي	وزقٌ قد شربتُ وقد سقيتُ

الشعر للسموعل بن عاديا ، فيما رواه السكريُّ عن الطوسيِّ ، ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام ، والغناء لابن محرز خفيف ثقیل بالسَّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأوّل والثاني والرابع والخامس من الأبيات ؛ وزعم ابن المكيّ أنّه لمبعد ، وزعم عمرة بن بانه أنّه لمالك ، ولدخمان أيضاً في الأوّل والثاني والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكيّ أنّ هذا الرمل لابن سريج ، وفي الأوّل والثاني والسادس رمل بالوسطى ، لأبي سعيد مولى فائِد ثاني ثقیل عن يحيى المكيّ ، وزعم الهشاميّ أنّ الرمل لعبد العزيز الدفاف .

[468] - أخبار السموءل ونسبه<sup>1</sup>

[نسبه]

هو السموءل بن عَرِيض بن عاديا ، بن حباء ، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام  
والسكري عن الطوسي وابن حبيب ، وذكر أن الناس يُدرجون عَرِيضاً في النسب ، وينسبونه  
إلى عاديا جدّه ، وقال عمر بن شَبّة : هو السموءل بن عاديا ، ولم يذكر عريضاً .

وحكى عبد الله بن أبي سعد عن دارم بن عقّال ، وهو من ولد السموءل ، أن عاديا بن  
رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ، وهذا عندي محال ؛ لأنّ  
الأعشى أدرك شريح بن السموءل وأدرك الإسلام ، وعمرو مزيقيا قديم ، لا يجوز أن يكون  
بينه وبين السموءل ثلاثة آباء ولا عشرة إلا أكثر ، والله أعلم .

[من مفاخر السموءل]

وقد قيل : إن أمّه كانت من غسان ، وكلّهم قالوا : إنّه كان صاحب الحصن المعروف  
بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء ، وقيل : بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان  
هذا الحصن لجدّه عاديا ، واحترق فيه بئراً رَوِيّة عذبة ، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها ، قال  
السموئل :

فِي الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ بَيْتِي بِهِ      وَبَيْتُ النُّضِيرِ سِوَى الْأَبْلَقِ

وقال السموئل يذكر بناء جدّه الحصن :

[من الوافر]

بَنَى لِي عَادِيَا حِصْنًا حَصِينًا      وَمَاءُ كُلَّمَا شَعْتُ اسْتَقَيْتُ

وكانت العربُ تنزل به ، فيضيفها ، وتمتارُ من حصنه ، وتقيم هناك سوقاً .

وبه يُضرب المثل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قُتِل ، ولم يخن أمانته في أذراع أُودِعَهَا .

[امرؤ القيس يفد عليه]

وكان السبب في ذلك ، فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبي ، أن امرأ القيس ابنَ  
حُجْرٍ لما سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموئل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه

1 انظر أخباره في : محاضرات الراغب 1 : 285 والمحاسن والأضداد : 47 والبيهقي 108 والشرطي 3 : 172  
ونهاية الأرب 3 : 240 والعقد الفريد للملك السعيد : 86 والتذكرة الحمدونية 3 : 12-13 ، وشعر  
السموئل في هذه المصادر وفي حماسة البحرني : 141 وغرر الخصائص : 32-33 .

ببني كنانة على أنَّهم بنو أسد وكراهة أصحابه لفعله ، وتفرَّقهم عنه ، حتى بقي وحده ، واحتاج إلى الحرب ، فطلبه المنذر بن ماء السماء ، ووجَّه في طلبه جيوشاً من إباد وبهراء وتنوخ وجيشاً من الأساورة أمده بهم أنو شروان ، وخذلته جَمِير ، وتفرَّقوا عنه : فلجأ إلى السموءل ومعه أذراع كانت لأبيه خمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة والخريق ، وأمّ الذبول ، وكانت الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملكاً عن ملك ، ومعه بنته هند ، وابن عمّه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث ، وسلاح ومال كان بقي معه ، ورجل من بني فزارة يقال له : الربيعُ بن ضُبُع شاعر ، فقال له الفزاري : قل في السموءل شعراً تمدحه به ، فإنّ الشعر يعجبه ، وأنشده الربيع شعراً مدحه به وهو قوله : [من الكامل]

ولقد أتيتُ بني المُصاصِ مُفَاخِراً      وإلى السموءل زرتُه بالأبلى  
فأتيتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحْمِلُ حَاجَةً      إن جئتُه في غارمٍ أو مُرْهَقِ  
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامُ كُلَّ فَضِيلَةٍ      وحوى المكارمَ سابقاً لم يُسْبِقِ

قال : فقال امرؤ القيس فيه قصيدته :

طَرَقْتُكَ هِنْدٌ بَعْدَ طَوِيلٍ تَجَنَّبِ      وَهَنًا وَلَمْ تَكُ قَبْلَ ذَلِكَ تَطْرُقُ

قال : وقال الفزاري : إنّ السموءل يَمْنَعُ منك حتى يرى ذاتَ عينك ، وهو في حصن حصين ومال كثير ، فقديم به على السموءل ، وعرفه إياه ، وأنشده الشعر ، فعرف لهما حقهما ، وضرب على هند قُبَّةً من أدم ، وأنزل القوم في مجلس له بَراح ، فكانت عنده ما شاء الله . [امرؤ القيس يستودعه ودائعه ويرجل]

ثم إنّ امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِير الغَسَّانِي أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب معه رجلاً يدلّه على الطريق ، وأودع بنيه وماله وأذراعه السموءل ، ورحل إلى الشام ، وخلف ابن عمّه يزيد بن الحارث مع ابنته هند ، قال : ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلى ؛ ويقال : بل الحارث بن أبي شَمِير الغَسَّانِي ؛ ويقال ، بل كان المنذر وجّه بالحارث بن ظالم في خيل ، وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموءل .

[يضحي بابنه وفاء بعهد]

فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يَفْعَ وخرج إلى قَنَصٍ له ، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموءل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا ابني ، قال : أفنسلّم ما قبلك أم أقتله ؟ قال : شأنك به ، فلستُ أخفِرُ ذمتي ، ولا أسلم مال جاري ، فضرب الحارثُ وسطَ الغلام ، فقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ؛ فقال السموءل في ذلك : [من الوافر]

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِندِيِّ إِيَّيْ      إِذَا مَا ذُمَّ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ  
وَأَوْصَى عَادِيًّا يَوْمًا بِالْأَلَا      تُهْدَمُ يَا سَمُوعُ مَا بَنَيْتُ  
بَنَى لِي عَادِيًّا حِصْنًا حَصِينًا      وَمَاءُ كُلَّمَا شَتَّتْ اسْتَقَيْتُ

[الأعشى يستجير بابنه فيجيره]

وقال الأعشى يمدح السموعل ويستجير بابنه شريح بن السموعل من رجل كلبي كان الأعشى هجاء ، ثم ظفر به ، فأسره ، وهو لا يعرفه ، فنزل بشريح بن السموعل ، وأحسن ضيافته ، ومَرَّ بِالْأَسْرَى ، فناده الأعشى :

[من البسيط]

شَرِيحُ لَا تُسَلِّمْنِي الْيَوْمَ إِذْ عَلِقْتُ      حَبَالُكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْقَيْدِ أَظْفَارِي  
قَدْ سَرْتُ مَا يَنْ بَلْقَاءَ إِلَى عَدْنٍ      وَطَالَ فِي الْعُجْمِ تَكَرَّارِي وَتَسْيَارِي  
فَكَانَ أَكْرَمَهُمْ عَهْدًا وَأَوْثَقَهُمْ      عَقْدًا أَبُوكَ بِعُرْفٍ غَيْرِ إِنْكَارِ  
كَالْغَيْثِ مَا اسْتَمَطَّرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ      وَفِي الشَّدَائِدِ كَالْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي  
كُنْ كَالسَّمُوعِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ      فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ<sup>1</sup>  
إِذْ سَامَهُ خَطَّتِيْ خَسَفٍ فَقَالَ لَهُ :      قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارٍ  
فَقَالَ : غَدَرٌ وَتُكْلٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا      فَاخْتَرْتُ ، وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمَخْتَارِ  
فَشَكٌّ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ :      اقْتُلْ أَسِيرَكَ إِيَّيْ مَانِعٌ جَارِي  
وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ      رَبُّ كَرِيمٍ وَبِضْ ذَاتُ أَطْهَارِ  
لَا سِرُّهُمْ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ هَدْرًا      وَحَافِظَاتٌ إِذَا اسْتُودِعْنَ أَسْرَارِي  
فَاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْلًا يُسَبُّ بِهَا      وَلَمْ يَكُنْ وَعْدُهُ فِيهَا بَخْتَارٍ<sup>2</sup>

فجاء شريحُ إلى الكلبي فقال له : هب لي هذا الأسيرَ المضروب فقال : هو لك ، فأطلقه ، وقال له : أقم عندي ، حتى أكرمك ، وأحبوك ، فقال له الأعشى : إنَّ تمامَ إحسانك إليَّ أن تعطيني ناقةً ناجية<sup>3</sup> ، وتخليني الساعة ، فأعطاه ناقةً ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريح ، ابعث إليَّ الأسيرَ الذي وهبتُ لك حتى أحبوه ، وأعطيه ، فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه .

1 يقصد بالهمام الحارث بن ظالم .

2 ختار : غدار .

3 ناجية : سريعة .

[ 469 ] - سعية بن غريض<sup>1</sup>

سَعِيَّةُ بن غَرِيضَ بن عَادِيَا أَخُو السَّمُوءِلَ شَاعِرٌ ، فَمِنْ شَعْرِهِ الَّذِي يُغْنَى فِيهِ  
قَوْلُهُ :

## صوت

يَا دَارَ سُعْدَى بِمَفْضَى تَلَعَةِ النَّعَمِ      حُيِّتِ دَاراً عَلَى الْإِقْوَاءِ وَالْقِدَمِ  
عُجْنَا فَمَا كَلَّمْتَنَا الدَّارُ إِذْ سُئِلَتْ      وَمَا بِهَا عَنْ جَوَابٍ خِلْتُ مِنْ صَمَمِ  
وَمَا بِحِزْزِكَ إِلَّا الْوَحْشُ سَاكِنَةٌ      وَهَامِدٌ مِنْ رِمَادِ الْقَدَرِ وَالْحُمَمِ<sup>2</sup>

الشعر لسعية بن غريض ، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن  
إسحاق ، وفيه خفيف ثقيل عن الهشامي ، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشامي ، ويقال : إنه لمالك ،  
وفيه لابن جؤذرة رمل عن الهشامي : وسعية بن غريض القائل ، وفيه غناء : [من السريع]

## صوت

لُبَابُ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ نَائِلٍ      لِعَاشِقٍ ذِي حَاجَةٍ سَائِلٍ  
عَلَّلْتَهُ مِنْكَ بِمَا لَمْ يَنْلُ      يَا رَبِّمَا عَلَّلْتَ بِالْبَاطِلِ

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لابن الهربذ  
خفيف رمل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لمتيم رمل آخر من جامعها ، وفيه لحن ليونس غير  
مجنس ، وأول هذه القصيدة :

لُبَابُ يَا أُخْتَ بَنِي مَالِكٍ      لَا تَشْتَرِي الْعَاجِلَ بِالْأَجَلِ  
لُبَابُ دَاوِينِي وَلَا تَقْتُلِي      قَدْ فَضَّلَ الشَّافِي عَلَى الْقَاتِلِ  
إِنْ تَسْأَلِي بِي فَاسْأَلِي خَابِراً      وَالْعِلْمُ قَدْ يُلْفَى لَدَى السَّائِلِ  
يُنْبِيكَ مَنْ كَانَ بَنًا عَالِماً      عَنَّا وَمَا الْعَالِمُ كَالْجَاهِلِ

1 وردت ترجمته في الجزء 3 : 90 .

2 الجزع : منعطف الوادي ، أو وسطه . والحمم : الفحم والرماد ، وكل ما تخلف مما أحرقت النار .

أَنَا إِذَا حَارَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ  
وَاغْتَلِجَ الْقَوْمُ بِأَلْبَابِهِمْ فِي الْمَنْطِقِ الْفَاصِلِ وَالنَّائِلِ  
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلْظُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ<sup>1</sup>  
نَخَافُ أَنْ تَسْفَهُ أَحْلَامُنَا فَتُخْمَلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

[معاوية يتمثل بشعره]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي : قال : حدثني العمري ، عن العتبي ، قال : كان معاوية يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر :

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ  
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلْظُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ  
نَخَافُ أَنْ تَسْفَهُ أَحْلَامُنَا فَتُخْمَلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

[عبد الملك بن مروان يسمع شعره قبل القضاء]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء : قال : حدثنا الزبير بن بكار : قال : أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال : أخبرني خالي يوسف بن الماجشون ، قال : كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده : [من السريع]

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ  
وَاغْتَلِجَ الْقَوْمُ بِأَلْبَابِهِمْ نَقْضِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلِ  
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلْظُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ  
نَخَافُ أَنْ تَسْفَهُ أَحْلَامُنَا فَتُخْمَلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين .

[أصحابه يميلون مع الرعي]

أخبرني وكيع والحسن بن علي قالا : حدثنا أبو قلابة : قال : حدثنا الأصمعي ، عن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن رجال من الأنصار : أَنَّ سَعِيَةَ بْنَ غَرِيضٍ أَخَا السَّمُوعِ بْنِ عَادِيَا كَانَ يَنَادِمُ قَوْمًا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْجِ ، وَيَأْتُونَهُ ، فَيَقِيمُونَ عِنْدَهُ ، وَيَزُورُونَهُ فِي أَوْقَاتٍ قَدْ أَلِفَ زِيَارَتَهُمْ فِيهَا ، فَأَغَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَلُوكِ الْيَمَنِ ، فَانْتَسَفَ<sup>2</sup> مِنْ مَالِهِ حَتَّى افْتَقَرَ ، وَلَمْ يَبْقَ

1 لظ الشيء وألظ به : تمسك به ، ولزمه .

2 انتسف ماله : اقتلع من أصله .



له مالٌ ، فانقطع عنه إخوانه ، وجَفَّوه ، فلمَّا أُخْصِبَ ، وعادت حاله ، وتراجعت راجعوه ، فقال في ذلك :

أرى الخُلَّانَ لما قلَّ مالي      وأجحفَتِ النوائِبُ ودَّعوني  
فلمَّا أنْ غَيَّبْتُ وعاد مالي      أراهم لا أبا لك راجعوني  
وكان القومُ خُلَّانًا لمالي      وإخواناً لما خُوِّلْتُ دوني  
فلمَّا مرَّ مالي باعدوني      ولما عاد مالي عاودوني  
ومن أشعار اليهود يُغَنَّى به :

### صوت

[من المنسرح]

هل تعرفِ الدارَ خفًّا ساكنُها      بالـجُجْرِ فالْمُسْتَوَى إلى ثَمَدٍ  
دار لبهناةٍ خَدَلَجَّةٍ      تضحك عن مثل جامد البردِ<sup>1</sup>  
نعم ضجيعُ الفتى إذا برد الليلُ      وغارت كواكبُ الأسدِ  
يا مَنْ لقلبٍ متيمٍ سَدِمَ      عانٍ رهينٍ أُحِيطَ بالقفدِ<sup>2</sup>  
أزجره وهو غيرُ مُزدجرٍ      عنها وطرفي مقارنُ السُّهدِ  
تمشي الهوينا إذا مشت فُضلاً      مشي التزيفِ المبهورِ في صَعَدِ<sup>3</sup>  
تظلُّ من زورٍ يَبْتَ جارِتها      واضعةً كفَّها على الكيدِ

الشعر لأبي الزناد اليهودي العديمي ، والغناء لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول ، عن الهشامي ويحيى المكي ، وفيها لمبعد خفيف ثقيل أول عن الهشامي ، وقال : أظنه من منحول يحيى بن المكي ، وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح ، ولا بن محرز في «يا من لقلب» . وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو أن فيها لحناً لمبعد لم يذكر طريقته ، وذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديماً غير مجنس ، وهذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم ، وذكر ذلك عمر بن شبَّه : ومن الغناء في أشعار اليهود من قُرِيْظة والنَّضِير :

[من البسيط]

1 البهناة : الطيبة النفس والريح ، والضحكوك الخفيف الروح . الخدلجة : الممتلئة الساقين والعضدين .

2 سدم : عاشق سدم : شديد العشق .

3 فضل : مختالة في مشيتها ، تفضل من ذيل رداها . التزيف : المنشي من السكر ونحوه . المبهور : من انقطع نفسه من الإعياء .

## صوت

دورٌ عَفَتْ بِقُرَى الخابورِ غَيْرَهَا      بعدَ الأنيسِ سِوَايَ الرِّيحِ والمطرِ  
 إنْ تُمسِرِ دارُكَ مَمَّنْ كانَ ساكنَهَا      وحشا فذلِكَ صَرَفُ الدَّهْرِ والغَيرِ  
 وقد تُحَلُّ بها بَيضُ ترائُفِها      كأنَّها بينَ كُتبانِ النِّقا البقر<sup>1</sup>

الشعر للربيع بن أبي الحقيق ، روى ذلك السكري ، عن الطوسي ، وعن محمد بن حبيب ، والغناء لابن محرز خفيف ثقیل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وهو صوت مشهور ابتداءه نشيد .

1 الترائب : عظام الصدر مما يلي الترقوتين ، أو موضع القلادة ، مفردها تريبة .

## [ 470 ] - أخبار الربيع بن أبي الحقيق

[الربيع رئيس لبني قريظة]

كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة ، وهم وبنو النضير جميعاً من ولد هارون بن عمران ، يقال لهما : الكاهنان ، وكان الربيعُ أحدَ الرؤساء في يوم حرب بُعَاثَ ، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه ، فكانت رئاسة بني قريظة للربيع ، ورئاسة الخزرج لعمر بن النُعمان البياضي ، وكان رئيسَ بني النضير يومئذٍ سلامُ بن مشكَم .

[يلتقي بالنابغة الذبياني]

أخبرني عمِّي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلبِّي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن الأنصاريُّ ، قال : حدَّثني الحسن بن موسى ؛ مولى بني مازن بن النجَّار عن أبي عبيدة قال : أقبل النابغة الذبيانيَّ يريد سوقَ بني قَيْنُقَاعَ ، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أُطْمِه ، فلما أشرفا على السوق سمعا الضَّجَّةَ ، وكانت سوقاً عظيمة ، فحاصت<sup>1</sup> بالنابغة ناقته ، فأنشأ يقول :

كادت تُهال من الأصوات راحلتي<sup>2</sup>

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق : أجز يا ربيع ، فقال :

والنَّفَرُ منها إذا ما أوجستُ خلُق

فقال النابغة : ما رأيتُ كالיום شعراً ، ثم قال :

لولا أنهنَّهها بالسَّوْطِ لاجتذبت<sup>3</sup>

أجز يا ربيع ، فقال :

منِّي الزمام وإنِّي راكبٌ لَبِق

فقال النابغة :

قد ملَّتِ الحَبَسَ في الآطامِ واستعفت

أجز يا ربيع ، فقال :

1 حاصت ناقته : نفرت ، وحادت .

2 تهال : يعترها الهول .

3 أنهنَّهها : أزجرها

إلى مناهلها لو أنَّها طُلُق

فقال النابغة : أنت يا ربيع أشعر الناس .

[أبان بن عثمان يتمثل بأبياته]

حدَّثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهري ، ومحمد بن العباس اليزيدي ، قالا : حدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّه قال : حدَّثني الحزامي قال : حدَّثني سعيد بن محمد الزُّبيري ، قال : حدَّثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال : قلَّ ما جَلَسْتُ إلى أبان بن عثمان إلَّا سمعته يتمثل بأبيات ابن أبي الحقيق :

سَمِئْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنَ الْفِرَا  
وَمِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ بَعْدَ النَّهْيِ  
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الْحِلْدَ  
وَلَكِنْ قَوْمِي أَطَاعُوا الْغَوَا  
فَأَوْدَى السَّفِيهُ بِرَأْيِ الْحِلْدِ  
شِرٌّ مِنْ جُرْمِ قَوْمِي وَمِنْ مَغْرَمٍ  
وَعَيْبِ الرِّشَادِ ، وَلَمْ يُفْهَمْ  
يَمَ لَمْ يَتَعَدَّوْا وَلَمْ نُظَلَمِ  
هَ حَتَّى تَعَكَّصَ أَهْلُ الدَّمِ<sup>1</sup>  
يَمِ وَاتَّشَرَ الْأَمْرُ لَمْ يُيْرَمِ

[يعاتب قوماً من الأنصار]

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي ، قال : حدَّثنا مُعَاذ ، عن أبي عبيدة قال ، قال الربيع بن أبي الحقيق يعاتب قوماً من الأنصار في شيء بينهم وبينه :

[من الطويل]

رَأَيْتُ بَنِي الْعَنْقَاءِ زَالُوا وَمُلْكُهُمْ  
فَإِنْ يُقْتُلُوا نَسَدُمْ لَذَاكَ وَإِنْ بَقُوا  
وَأَنَا فَوْقَ الرَّأْسِ شَوْبُوبُ مُزْنَةٍ  
وَأَبَاؤُا بِأَنْفٍ فِي الْعَشِيرَةِ مُرْغَمٍ  
فَلَا بَدَّ يَوْمًا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ  
لَهَا بَرْدٌ مَا يَغْشَى مِنَ الْأَرْضِ يَخْطِمُ<sup>2</sup>

### صوت

[من الرمل]

وَلَنَا بَشَرٌ رَوَاهُ جَمَّةٌ  
تُدَلِّجُ الْجَوْنَ عَلَى أَكْنَافِهَا  
مَنْ يَرُدُّهَا بِإِنَاءٍ يَغْتَرَفُ<sup>3</sup>  
بَدِيلًا ذَاتِ أُمْرَاسٍ صُدْفُ<sup>4</sup>

1 تعكص أهل الدم : ضنوا .

2 الشؤبوب : الدفعة من المطر .

3 الرواء : الماء العذب ، أو الكثير الذي يرتوي منه .

4 تدلج : تسير ليلاً . الجون : الإبل السوداء . أكنافها : جوانبها ونواحيها . أُمْرَاس : حبال . صدف : جمع صدوف ، وهي المرأة تعرض لك وجهها ثم تصدف عنك .

كُلَّ حَاجَاتِي قَدْ قَضَيْتَهَا      غَيْرُ حَاجَاتِي مِنْ بَطْنِ الْجُرُفِ<sup>1</sup>

الجراف : موضع لهم ، بالجيم معجمة .

الشعر لكعب بن الأشرف اليهودي ، والغناء لمالك ثقييل أول عن يحيى المكي ، قال : وفيه لابن عائشة خفيف ثقييل ، ولمبعد ثاني ثقييل قال يحيى في كتابه : وقد خلط الرواة في ألحانهم ، ونسبوا لحن كل واحد منهم إلى صاحبه ، وذكر الهشامي أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالنصر ، وفيه لجعدب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس .

1 بطن الجراف : موضع قرب المدينة .

## [ 471 ] - أخبار كعب ونسبه ومقتله

[ اسمه ونسبه ]

كعبُ بنُ الأشرف مُخْتَلَفٌ في نسبه ، فزعم ابن حبيب أنه من طيّء ، وأمه من بني النضير ، وأن أباه توفي وهو صغير ، فحملته أمه إلى أخواله ، فنشأ فيهم ، وساد ، وكبر أمره ، وقيل : بل هو من بني النضير .

وكان شاعراً فارساً ، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، تذكر في مواضعها إن شاء الله تعالى - وهو شاعر من شعراء اليهود فحل فصيح ، وكان عدواً للنبي ﷺ يهجوهم ، ويهجو أصحابه ، ويخذل عنه العرب ، فبعث النبي ﷺ نفرأ من أصحابه ، فقتلوه في داره .

[ ذكر خبره في ذلك ]

كان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ، ويُحَرِّضُ عليه كُفَّارَ قريش في شعره ، وكان النبي ﷺ قديم المدينة ، وهي أخلاط ، منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة النبي ﷺ ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ، ومنهم اليهود ، وهم أهل الحلقة<sup>1</sup> والحصون ، وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج ، فأراد النبي ﷺ ، إذ قدم ، استصلاحهم كلهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك ، ويكون مسلماً وأخوه مشرك ، وكان المشركون واليهود حين قديم النبي ﷺ يؤذونه وأصحابه أشد الأذى ، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصبر على ذلك والعفو عنهم ، وأنزل في شأنهم : ﴿ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾<sup>2</sup> الآية . وأنزل فيهم : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ ﴾<sup>3</sup> إلى قوله : ﴿ وَاصْفَحُوا ﴾ فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ وأصحابه أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث إليه رهطاً ، فيقتلوه ، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبيد بن جبير ، والحرث بن أخي سعد ، في خمسة رهط ، فأتوه عشية ، وهو في مجلس قومه بالعوالي ، فلما رآهم كعب أنكر شأنهم ، وكان يُذْعَرُ منهم ، فقال لهم : ما جاء بكم ؟

1 الحلقة : يراد بها حلقة القوم ، أو حلقة البئر .

2 سورة آل عمران ، الآية : 186 .

3 سورة البقرة ، الآية : 109 .

فقالوا : جئنا لنبيعك أدرأعاً نستنفق أثمانها ، فقال : والله لئن فعلتم ذلك لقد جهدتُم<sup>1</sup> مُذْ نزل بكم هذا الرجل ، ثم واعدتهم أن يأتوه عشاء حين تهدأ أعينُ الناس ، فجاؤوا ، فناداه رجل منهم ، فقام ليخرج ، فقالت امرأته : ما طرقوك ساعتهم هذه بشيءٍ مما تحب ، فقال : بلى إنهم قد حدَّثوني حديثهم ، وخرج إليهم ، فاعتنقه أبو عبس ، وضربه محمد بنُ مسلمة بالسيف في خاصرته ، وانحنوا عليه ، حتى قتلوه ، فرُعيت اليهود ومن كان معهم من المشركين ، وغدوا على النبي ﷺ ، فقالوا : قد طُرِق صاحبنا الليلة ، وهو سيّد من ساداتنا ، فقتل ، فذكر لهم ﷺ ما كان يُؤدّي به في أشعاره ، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً ، فكتبت الصحيفة بذلك في دار الحارث ، وكانت بعد النبي ﷺ عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

### صوت

[من البسيط]

هل بالديار التي بالقاع من أحدٍ      باقٍ فيسمعَ صَوْتَ المذْلَجِ الساري  
تلك المنازلُ من صفراءٍ ليس بها      نارٌ تضيء ولا أصواتٌ سُمَارٍ  
ويروى : «ليس بها حيٌّ يُجيب» .

الشعر لبهس الجرمي ، والغناء لأحمد بن المكيّ ثقیل أول بالوسطى عن الهشامي ، وقال عمرو بن بانة : فيه ثاني ثقیل بالنصر ، يقال : إنه لابن محرز ، وقال الهشامي : فيه لطياب بن إبراهيم خفيف ثقیل ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الضوء .

[من الكامل]

ارفع ضعيفك لا يحزّ بك ضعفه<sup>2</sup>

1 جهدتُم : افتقرتم ، وساءت حالكم .

2 لا يحز بك ضعفه : لا يرجع بك ضعفه عن نصرته .

## [472] - أخبار بيهس ونسبه

[نسبه]

بَيْهَسُ بْنُ صُهَيْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَائِلِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عُيَيْدِ بْنِ عُلْقَمَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَالِبِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ بَيْهَسِ بْنِ طَرُودِ بْنِ قَدَامَةَ بْنِ جَرَمِ بْنِ الدِّيَانِ بْنِ حُلُوانِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ .

ويكنى أبا المقدام : شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يبدو<sup>1</sup> بنواحي الشام مع قبائل جرْم وكلب وعُدرة ، ويحضر إذا حضروا ، فيكون بأجناد الشام ، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة ، وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن ، وبعض أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر .

[من هي صفراء]

وقد اختلف الرواة في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا ، فذكر القحذمي أنها كانت زوجته وولدت له ابناً ، ثم طلقها ، فتروجت رجلاً من بني أسد ، وماتت عنده ، فرثاها . وذكر أبو عمرو الشيباني أنها كانت بنت عمه ذنية<sup>2</sup> ، وأنه كان يهواها فلم يزوجه ، وخطبها السدي ، وكان مؤسراً ، فزوجها .

قال أبو عمرو : وكان بيهس بن صُهَيْبِ الجرمي يهوى امرأة من قومه ، يقال لها ، صفراء بنت عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل ، وهي بنت عمه ذنية ، وكان يتحدث إليها ، ويجلس في بيتها ، ويكتم وجدّه بها ، ولا يُظهره لأحد ، ولا يخطبها لأبيها ؛ لأنه كان صعلوكاً لا مال له ، فكان ينتظر أن يُثري ، وكان من أحسن الشباب وجهاً وشارةً وحديثاً وشِعراً ، فكان نساء الحي يتعرّضن له ، ويجلسن إليه ويتحدثن معه ، فمرت به صفراء ، فرأته جالساً مع فتاة منهن ، فهجرته زماناً لا تُجيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ، وعرض له سفر ، فخرج إليه ، ثم عاد ، وقد زوجها أبوها رجلاً من بني أسد ، فأخرجها ، وانتقل عن دارهم بها ، فقال بيهس بن صُهَيْب :

[من الطويل]

1 يبدو : يسكن البادية .

2 ذنية : قريب لاصق .



سقى دمنه صفراء كانت تحلها  
وصاب عليها كل أسحم هاطل  
أحب ترى أرضي إلي وإن نأت  
على أنها غضبي علي وحبذا  
وقد هاج لي حيناً فراقك غدوة  
نظرت وقد زال الحمول ووازنوا  
فقلت لأصحابي : أبالقرب منهم  
بنوء الثريا طلها وذهاها<sup>1</sup>  
ولا زال مخضراً مريعاً جنبها<sup>2</sup>  
محلل منها نبتها وترأها  
رضاها إذا ما أريضت وعتابها  
وسعيك في فيفاء تعوي ذئابها<sup>3</sup>  
بركوة والوادي وخفت ركابها  
جری الطير أم نادی بین غرابها ؟

[يرثي صفراء]

قال أبو عمرو : ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجها ، فقال بيهس يرثيها : [من البسيط]

هل بالديار التي بالقاع من أحد  
تلك المنازل من صفراء ليس بها  
عفت معارفها هوج مغبرة  
حتى تنكرت منها كل معرفة  
طال الوقوف بها والعين تسبقني  
إن أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف  
أرعى بعيني نجوم الليل مرتقباً  
فقد يكون لي الأهل الكرام وقد  
من المواجد أعراقاً إذا نسيت  
باق فيسمع صوت المدلج الساري  
نار تضيء ولا أصوات سمار  
تسفي عليها تراب الأبطح الهاري<sup>4</sup>  
إلا الرماد نخيلاً بين أحجار  
فوق الرداء بوادي دمعها الجاري<sup>5</sup>  
ألهو لديهم ولا صفراء في الدار<sup>6</sup>  
يا طول ذلك من هم وإنهار<sup>7</sup>  
ألهو بصفراء ذات المنظر الواري<sup>8</sup>  
لا تحرم المال عن ضيف وعن جار<sup>9</sup>

1 بنوء في ل : نجا . ونوء الثريا : مطرها .

2 صاب المطر ونحوه : انصب . اسحم : أسود .

3 الفيفاء : الفقراء . وفي ل : خشناء .

4 هوج في ل : هوجاء . والهاري : تخفيف الهاري .

5 بوادي دمعها : ظواهره .

6 اللطف : اليسير من الطعام .

7 مرتقباً في ل : مرتفقاً .

8 الواري : السمين .

9 المواجد : جمع ماجده .

لم تَلَقْ بؤساً ولم يَضُرَّ لها عَوَزٌ      ولم تُزَخِّفْ مع الصَّالِي إلى النَّارِ<sup>1</sup>  
 كذلك الدَّهْرُ إِنَّ الدَّهْرَ ذو غَيْرٍ      على الأَنَامِ وذو نقْضٍ وإمْرَارٍ<sup>2</sup>  
 قد كاد يعتادني من ذكرِها جَزَعٌ      لولا الحِيَاءُ ولولا رهبة العارِ  
 سقى الإلهُ قبوراً في بني أُسدٍ      حول الرِّبِيعَةِ غَيْثاً صوبَ مدرارٍ<sup>3</sup>  
 مَنْ الذي بعد كم أرضى به بدلاً      أو مَنْ أُحْدِثَ حاجاتي وأسراري ؟

[ يقف وصحبه على قبرها وينشد ]

قال أبو عمرو : واجتاز بيهسٌ في بلاد بني أُسد ، فمرَّ بقبر صفراء ، وهو في موضع يقال له الأَخْصُ ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أُسد ، فأوسعوا لهم ، وكان بينهم صِهْرٌ وجِلْفٌ ، فنزل بيهس على القبر ، فقال له أصحابه : ألا ترحل ، فقال : أما والله ، حتى أظلَّ نَهاري كُلَّهُ عنده ، وأقضيَ وطراً فنزلوا معه عند قبرها ، فأنشأ يقول ، وهو ييكي : [ من الطويل ]

أَلَمَّا على قَبْرِ لصفراء فاقراً      السَّلام وقولاً حِيناً أيُّها القبرُ  
 وما كان شيئاً غير أن لستُ صابراً      دعاءكَ قَبِراً دونَه حِجَجٌ عَشْرُ  
 برابِيةٍ فيها كِرامٌ أُحِيةٌ      على أَنَّها إلّا مضاجعُهم قَفْرُ  
 عشيَّةٌ قال الرِّكبُ من غَرَضٍ بنا      تروِّحُ أبا المقْدَامِ قد جَنَحَ العَصْرُ<sup>4</sup>  
 فقلتُ لهم : يومٌ قليلٌ وليلةٌ      لصفراء قد طال التَّجَنُّبُ والهَجْرُ  
 وبِتُّ وِباتِ النَّاسِ حَوْلِي هُجْداً      كَأَنَّ عَلِيَّ اللَّيْلِ مِنْ طوله شهرُ  
 إذا قلتُ هذا حينَ أَهْجَعَ ساعةً      تطاول بي ليلٌ كواكبُهُ زَهْرُ  
 أقولُ إذا ما العُجْبُ مَلَّ مكانه      أَشوكُ يُجافي الجَنْبُ أم تحته جَمْرُ ؟  
 فلو أَنَّ صَخْراً من عَمَايةَ راسياً      يقاسي الذي ألقى لَقْدَ مَلَّةِ الصَّخْرِ<sup>5</sup>

قال : وأمّا القحذميّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي ، عن عيسى بن إسماعيل تينة عنه ، أنّه كان تزوّجها ، ثم طلقها بعد أن ولدت منه ابناً ؛ فتزوَّجها رجل من بني أُسد ، فماتت عنده ، وذكر من شعره فيها ومراثيه لها قريباً ممّا تقدّم ذكره .

1 لم تُزَخِّفْ : من زخفت المرأة العجينة إذا أكثرت ماءه وفي ل : تَرْجَفُ .

2 النقض والإمّار : ضدان : الأول فك الحبل ، والثاني فتلّه .

3 الربيعية : مكان قبر صفراء ، صوب مدرار . مطر سحابة هطّالة .

4 الغرض : الضجر والملال .

5 عمَاية : اسم جبل

وذكر أن بيهس بن صهيب كان من فرسان العرب ، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة . وكان ييدو بنواحي الشام مع قبائل جرم و كلب ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام .  
[يتهم في قتل]

قال : أبو عمرو : ولما هدأت الفتنة بعد مرج راهط ، وسكن الناس مرّ غلام من قيس بطوائف من جرم وعذرة و كلب ، وكانوا متجاورين على ماء لهم ؛ فيقال : إن بعض أحداثهم نخس «بيهس» به ناقته فألقته ، فاندقت عنقه ، فمات ؛ فاستعدى قومه عليهم عبد الملك ، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فحبسهم ، وهرب بيهس بن صهيب الجرمي ، وكان قد اتهم أنه هو الذي نخس به ، فنزل على محمد بن مروان فعاد به ، واستجاره ، فأجاره إلا من حدّ توجهه عليه شهادة ، فرضي بذلك ، وقال هو متوارٍ عند محمد :

لقد كانت حوادثُ مغضلاتُ	وأيّامُ أغصّت بالشّرابِ
وما ذنبُ المعاشِرِ في غلامٍ	تقطّر بين أحواض الجِبابِ <sup>1</sup>
على قوداءِ أفرطها جلالُ	وغضّ فهي باقيةُ الهبابِ <sup>2</sup>
ترامت باليدين فأرهقته	كما زلّ النّطيح من القبابِ <sup>3</sup>
فإنّي والعقاب وما أرجي	لكالساعي إلى وضح السّرابِ
فلما أن دنا فرج برّي	يكشّف عن مخفّة يتبابِ
من البلدان ليس بها غريبُ	تخبّ بأرضها زلّ الذّئابِ <sup>4</sup>
فظنّني بالخليفة أنّ فيه	أماناً للبريء وللمصابِ
وأنّ محمداً سيعود يوماً	ويرجع عن مراجعة العتابِ <sup>5</sup>
فيجير صبيّتي ويحوط جاري	ويؤمن بعدها أبداً صحابي
هو الفرعُ الذي بُنيت عليه	بيوتُ الأطيبين ذوي الحِجابِ

1 تقطر : وقع على قطره من علو . الجباب : اسم مكان .

2 القوداء : الطويلة العنق والظهر . أفرطها جلال : ضخمة .

3 القباب في ل : الحقاب .

4 زل : جمع أزل : السريع العدو الخفيف الوركين .

5 ويرجع في ل : ويعجل .

قال : فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه ، حتى أمّن بيهسَ بن صهيب وعشيرته ، واحتمل ديةَ المقتول لقيس وأرضاهم .

### صوت

[من الكامل]

نزل المشيبُ فما له تحويلُ      ومضى الشبابُ فما إليه سبيلُ  
ولقد أُراني والشَّبابُ يقودُني      ورداؤه حسنٌ عليَّ جميلُ  
الشعر للكميت بن معروف الأسديّ ، والغناء لمعبد خفيف ، ولحنه من القدر الأوسط ،  
من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

## [473] - أخبار الكميت بن معروف ونسبه

[نسبه]

هو الكُمَيْتُ بنُ معروف بن الكُمَيْت بن ثعلبة بن رباب بن الأَشْثَر بن جحوان بن فقّس بن طَريف بن عَمْرُو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أُسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

شاعر من شعراء الإسلام بدويّ ، أمّه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة .

[في أسرته شعراء وشواعر]

والكميت أحد المُعْرِقِينَ في الشعر ، أبوه معروف شاعر ، وأمّه سعدة شاعرة ، وأخوه خيثمة أعشى بني أُسد شاعر ، وابنه معروف بن الكميت شاعر .

فأمّا أبوه فهو القائل لعبد الله بن المُساور بن هند :

[من الطويل]

إِنَّ مُنَاخِي أُمَسِ يَا ابْنَ مُسَاوِرٍ	إِلَيْكَ لَمِنْ شَرِّبِ النَّقَاحِ الْمَصْرَدِ <sup>1</sup>
تَبَاعَدْتَ فَوْقَ الْحَقِّ مِنْ آلِ فُقْعَسٍ	وَلَمْ تَرْجُ فِيهِمْ رِدَّةَ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ <sup>2</sup>
وَقُلْتَ غِنَى لَا فَقْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ	وَكُلُّ فَتَى لِلنَّائِبَاتِ بِمَرْصَدِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ مَحَلَّ بَيُوتِكُمْ	مَعَ الْحَيِّ بَيْنَ الْغُورِ وَالْمُتَنَجِّدِ
فَلَوْلَا رِجَالُ مَنْ جَذِيمة قَصْرَةٌ	عَدَدْتُ بِلَائِي ثُمَّ قُلْتُ لَهُ أَعْدُدِ <sup>3</sup>

[أمه توثبه وترثيه]

وأمّه سعدة القائلة له ، وقد تزوّج بنتَ أبي مَهْوش على مراغمة لها ، وكرهة لذلك ،

فغضبت سعدة وقالت فيه :

[من الطويل]

عَلَيْكَ بِأَنْقَاضِ الْعِرَاقِ فَقَدْ عَلَتْ	عَلَيْكَ بِتَخْدِينِ النِّسَاءِ الْكَرَائِمِ <sup>4</sup>
لِعَمْرِي لَقَدْ رَاشَ ابْنُ سَعْدَةَ نَفْسَهُ	بَرِيشَ الذُّنَابِي لَا بَرِيشَ الْقَوَادِمِ <sup>5</sup>

1 النّقَاحُ : الماء العذب البارد . المَصْرَدُ : من صرد العطاء : قلله ، وصرد الإناء : وضع فيه ماء لا يكفي للشرب .

2 آل فقّس : قبيلة الشاعر .

3 قصرة : داني النسب .

4 بتخدين النساء : باتخاذهنّ أخدامنا .

5 القوادم : ريشات عشر أو أربع في مقدمة جناح الطائر .

بَنَى لَكَ مَعْرُوفٌ بِنَاءً هَدَمْتَهُ      وَلِلشَّرَفِ الْعَادِيٍّ بَانٍ وَهَادِمٌ<sup>1</sup>  
وهي القائلة ترثي ابنها الكُمَيْتَ :      [من الطويل]

لَأُمِّ الْبِلَادِ الْوَيْلُ مَاذَا تَضَمَّنْتَ      بِأَكْنَافِ طُورِي مِنْ عَفَافٍ وَنَائِلِ  
وَمِنْ وَقَعَاتِ بِالرَّجَالِ كَأَنَّهَا      إِذَا عَنَّتِ الْأَحْدَاثُ وَقَعَ الْمَنَاصِلُ<sup>2</sup>  
يُعْزِي الْمُعْزِي عَنْ كُمَيْتٍ فَتَنْتَهِي      مَقَالَتُهُ وَالصَّدْرُ جَمُّ الْبَلَابِلِ

[أخوه يرثيه]

وَأَعَشَى بَنِي أَسَدٍ أَخُو الْكُمَيْتِ ، وَاسْمُهُ خَيْثَمَةُ ، الَّذِي يَقُولُ يَرِثِي الْكُمَيْتَ غَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ  
بَيْتِهِ :      [من البسيط]

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الدَّهْرَ مَنْجَدٌ<sup>3</sup>      كُلُّ أَمْرٍ عَنْ أَخِيهِ سَوْفَ يَنْشَعِبُ<sup>4</sup>  
فَلَا يُغَرِّبُكَ مِنْ دَهْرٍ تَقْلُبُهُ      إِنَّ اللَّيَالِي بِالْفَتَيَانِ تَنْقَلِبُ  
نَامَ الْخَلِيُّ وَبَتُّ اللَّيْلِ مُرْتَفَقًا<sup>5</sup>      كَمَا تَزَاوِرُ يَخْشَى دَفَّهُ النَّكَبُ<sup>6</sup>  
إِذَا رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي أَحَدْتُهَا      عَمَّنْ تَضَمَّنَ مِنْ أَصْحَابِي الْقُلُوبُ<sup>7</sup>  
مِنْ إِخْوَةٍ وَبَنِي عَمِّ رَزِئْتُهُمْ      وَالدَّهْرُ فِيهِ عَلَى مَسْتَعْتَبٍ عَتَبُ  
عَاوَدْتُ وَجَدًا عَلَى وَجْدٍ أَكَابِدُهُ      حَتَّى تَكَادُ بَنَاتُ الصَّدْرِ تَلْتَهَبُ<sup>8</sup>  
هَلْ بَعْدَ صَخْرٍ وَهَلْ بَعْدَ الْكُمَيْتِ أَخٌ      أَمْ هَلْ يَعُودُ لَنَا دَهْرٌ فَنُصْطَحِبُ<sup>9</sup>  
لَقَدْ عَلِمْتُ وَلَوْ مُلِّيتُ بَعْدَهُمْ      أَنِّي سَأَنْهَلُ بِالشَّرْبِ الَّذِي شَرَبُوا<sup>10</sup>

[ابنه معروف يتغزل]

ومعروف بن الكُمَيْتِ القائل :      [من البسيط]  
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي جَلْدًا فَهَيَّجَنِي      بِالشَّيْبِ مَنَزِلَةً مِنْ أُمِّ عَمَّارٍ

1 معروف : أبو الكُمَيْتِ . العادي : العتيق .

2 عَنَّتْ فِي ل : عَيَّتْ .

3 منجد : مطاوع جدبه : ذمه ، وعابه .

4 مرتفقاً : متكئاً على مرفقي . تراور : مال وانحرف . دفه : جنبه . النكب : المصاب في منكبه .

5 القلب : جمع قليب بمعنى البئر .

6 أكابده في ل : أكيد به . بنات الصدر : كناية عن الضلوع .

7 ولو ملئت : ولو أمهلت .

كانت منازل لا ورهَاء جافيةٍ      على الحدوج ولا عَطْلاً بمقفار<sup>1</sup>  
وما تجاورنا إذ نحنُ نسكنها      ولا تفرُّقنا إلا بمقدارٍ

### صوت

[من الطويل]

أرقتُ لبرق دُونَه شذوانٍ      يمانٍ وأهوى البرقَ كلَّ يمانِي<sup>2</sup>  
فليت القلاصَ الأدمَ قد وخذت بنا      بوايَ يمانٍ ذي رُباً ومَحاني<sup>3</sup>

الشعر ليعلى الأحول الأزديّ ، وجدت ذلك بخطّ أبي العباس محمد بن يزيد المبرد في شعر الأزد ، وقال عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه : هي ليعلى الأحول ، كما روى غيره ، قال : ويقال : إنها لعمرو بن أبي عمارة الأزديّ من بني خنيس ، ويقال : إنها لجوّاس بن حيان من أزد عمان .

وأول هذه القصيدة ، في رواية أبي عمرو ، أبيات فيها غناء أيضاً وهي : [من الطويل]

### صوت

أُوْحكما يا واشييّ أمَّ مَعْمَرٍ      بمن وإلى مَنْ جئتما تَشِيانِ ؟  
بمن لو أراه عانياً لفديتهُ      ومن لو رأي عانياً لفداني

لَعَرِيب في هذين البيتين ثَقِيل أوّل ، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته ، وقال ابنُ المكيّ : لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كلّها .

1 الورهاء : المرأة الكثيرة الشحم . الحدوج : جمع جدج وهو مركب من مراكب النساء كالهودج .

2 شذوان : مثني شذا : شجر تتخذ من المساويك .

3 القلاص الأدم : النوق السمراء .

## [ 474 ] - أخبار يعلى ونسبه

[ نسبه ]

يعلى الأحولُ بنُ مسلم بن أبي قيس ، أحدُ بني يَشْكُر بن عمرو بن رالان ، ورالانُ هو يشكر ، ويشكر لقب لُقْب به ، بن عمران بن عمرو بن عدي بن حارثة بن لوزان بن كهف الظلام ، هكذا وجدته بخط المبرّد ، بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .  
[شاعر فائق خليل]

شاعر إسلامي لصّ من شعراء الدولة الأموية ، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكة عند نافع بن علقمة الكناني في خلافة عبد الملك بن مروان .

قال أبو عمرو : وكان يعلى الأحولُ الأزديّ لصّاً فاتكاً خارباً ، وكان خليعاً ، يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم ، فيغيّر بهم على أحياء العرب ، ويقطع الطريق على السّابلة ، فشكّي إلى نافع بن علقمة بن الحارث بن مخرث الكناني ثم الفقيمي ، وهو خال مروان بن الحكم ، وكان والي مكة ، فأخذ به عشيرته الأزديين ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمع إليه شيوخ الحيّ فعرفوه أنّه خليع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنّه لو أخذ به سائر الأزد ما وضع يده في أيديهم ، فلم يقبل ذلك منهم ، وألزمهم إحضاره ، وضّم إليهم شرطاً يطلبونه إذا طرق الحيّ حتى يجيئوه به .

[ يسلمه قومه إلى الحاكم ]

فلما اشتدّ عليهم في أمره طلبوه ، حتى وجدوه ، فأتوا به ، فقيّده وأودعه الحبس .

[ قصيدته في سجنه ]

[ من الطويل ]

فقال في محبسه :

أرقتُ لبرقٍ دونَه شدّوانِ      يمانٍ وأهوى البرقَ كلّ يمانِ  
فبتُّ لدى البيتِ الحرامِ أشيمُهُ      ومطوّاي من شوقٍ له أرقان<sup>1</sup>  
المطوّ : الصاحب .

إذا قلتُ : شيماه يقولانِ وأهوى      يصادف منّا بعض ما تريانِ  
جرى منه أطرافُ الشرى فمشيّع      فأيانُ فالحيّانِ من دمران<sup>2</sup>

1 أشيم من شام البرق ونحوه : تطلع إليه ليرى أين يقع مطره .

2 مشيّع وأبيان ، ودمران : أماكن .



فمَوانٍ من ودايهما شَطْنانٍ<sup>1</sup> فمَوانٍ فالأَقْباسُ أقباصُ أُمَلَجٍ  
 صديقاً من اخوانٍ بها وغوانٍ هنالك لو طَوَّفْتما لوجدتما  
 وبالحيّ ذي الرُّودَيْنِ عزفُ قِيانٍ<sup>2</sup> وعزفُ الحمامِ الورقِ في ظلّ أَيْكَةٍ  
 لدى نافعٍ قُضِّينَ منذ زمانٍ ألا ليت حاجاتي اللواتي حَبَسَنني  
 ولكنَّ شوقاً في سواه دَعاني وما بيَ بغضٌ للبلادِ ولا قَلَى  
 بوادٍ يمانٍ يُنبت السِّدرَ صدره فليت القِلاصُ الأدم قد وخذت بنا  
 وأسفله بالمرخ والشَّبهانِ<sup>3</sup> بوادٍ يمانٍ يُنبت السِّدرَ صدره  
 عزيفان من طرفائه هَدبانٍ<sup>4</sup> يدافعنا من جانبيه كليهما  
 جناها لنا من بطن حلية جاني وليت لنا بالجوز واللوز غيلة  
 الغيلة : شجر الأراك إذا كانت رطبة ، ويروى في موضع : من بطن حلية : من حبّ  
 جيحة .

وليت لنا بالدَّيْكِ مُكَّاءَ روضةٍ على فَنٍّ من بطن حلية داني<sup>5</sup>  
 وليت لنا من ماء حزنة شربةٍ مبردةً باتت على طهمانٍ<sup>6</sup>  
 ويروى : من ماء حمياء .

### صوت

[من الكامل]

إنّ السلامَ وحسنَ كلِّ تحيّةٍ تغدو على ابن مجزٍ وتروحُ  
 هلا فدى ابنَ مجزٍ متفحّشٌ شَنِجُ اليدين على العطاء شَحِيحٌ<sup>7</sup>  
 الشعر لجَوَّاسِ العُذْرِيّ ، والغناء لسائب خاثر خفيف ثَقِيل بالوسطى عن يحيى المكيّ  
 والهشاميّ من رواية حمّاد عن أبيه ، في أخبار سائب خاثر وأغانيه .

- 1 مران وأملج : مكانان . أقباص : جمع قَبِص : مجتمع الرمل الكثير . ماوان : ثنية ماء . شطنان : بعيدان .
- 2 الرودين : ثنية رود : الريح اللينة .
- 3 المرخ والشبهان : مكانان .
- 4 عزيفان : ثنية عزيف : صوت الرياح حين تسفي الرمال ، الطرفاء : أنواع من الشجر ، منها الأثل .
- 5 المكاء : طائر .
- 6 طهمان : مكان .
- 7 شنج اليدين : مقبوضهما ، كناية عن البخل .

## [ 475 ] - نسب جواس وخبره في هذا الشعر

[ نسبه ]

هو جَوَّاسُ بن قُطَيْبَةَ العُدْرِيُّ ، أَحَدُ بن الأَحَبِّ رَهْطِ بُثَيْنَةَ ، وَجَوَّاسُ وأخوه عبد الله الذي كان يهاجي جَمِيلًا ابنا عَمِّهَا ذُنَيْةً ، وهما ابنا قُطَيْبَةَ بن ثعلبة بن الهون بن عمرو بن الأَحَبِّ بن حُنَّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة بن عبيد بن كثير بن عجرة .

[ ينافر جميل بن معمر فترجع كفته ]

وكان جَوَّاسُ شريفًا في قومه شاعراً ، فذكر أبو عمرو الشيباني : أَنَّ جَمِيلَ بن عبد الله بن مَعْمَرٍ لما هاجى جَوَّاسًا تنافرا إلى يهود تَيْمَاءَ ، فقالوا لجميل : يا جميل ، قُلْ في نفسك ما شئت ، فأنت والله الشاعرُ الجميل الوجه الشريف ، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أهلك ما شئت ، ولا تذكر أنت يا جميل أباك في فخر ؛ فإنه كان يسوق معنا الغنم بتَيْمَاءَ ، عليه شملة لا تُوارِي استه ، ونفروا<sup>1</sup> عليه جَوَّاسًا ، قال : ونَشِبَ الشرُّ بين جَمِيلٍ وجَوَّاسٍ ، وكانت تحته أمُّ الجُسَيْرِ أختُ بُثَيْنَةَ التي يذكرها جميل في شعره ، إذ يقول : [ من الخفيف ]

يا خَلِيلِي إِنَّ أُمَّ جُسَيْرٍ      حين يدنو الضَّجِيعُ من عَلَلَةٍ  
روضة ذات حَنَوَةٍ وخُزَامَى      جادَ فيها الرِّيعُ من سَبَلَةٍ<sup>2</sup>

[ قوم جميل يثأرون منه ]

فغضب لجميل نفراً من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاءوا إلى جَوَّاسٍ ليلاً وهو في بيته ، ففضربوه وعَرَّوْا امرأته أُمَّ الجُسَيْرِ في تلك الليلة ، فقال جميل : [ من الطويل ]

ما عَرَّ جَوَّاسَ اسْتُها إذ يسُبُّهم      بصقري بني سُفْيَانَ قَيْسَ وعاصم<sup>3</sup>  
هما جرّدا أُمَّ الجُسَيْرِ وأوقعا      أُمراً وأدهى من وقِيعَةٍ سَالِمٍ  
يعني سالم بن دارة .

1 نفروا : نصروا ، وفضلوا .

2 الحنوة : بنات سهل أو الرمحان ، أو نوع من الآذريوان . الخزامى : نبت طيب الرائحة . السبل : المطر .

3 عرّ : ساء وضرّ .

فقال جواس : [من الطويل]

ما ضُربَ الجَّوَّاسُ إِلَّا فُجَاءَةً      على غفلةٍ من عَيْنِهِ وهو نائمٌ  
فإِلَّا تُعْجَلُنِي المنيَّةُ يَصْطَبِحُ      بكأسِكَ حِصْنًا كم حُصَيْنٍ وعاصِمُ  
ويعطي بنو سفيان ما شئتُ عَنوةً      كما كنت تُعْطِينِي وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

[جميل يحدو ركاب مروان بن الحكم]

وقال أبو عمرو الشيباني : حجَّ مروانُ بن الحكم ، فسار بين يديه جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَرٍ ، وجوَّاسُ بن قطبة ، وجوَّاسُ بن القَعْطَلِ الكلبي ، فقال لجميل : انزل فسُقْ بنا ، فنزل جميل فقال : [من الرجز]

يا بُنَّ حَيٍّ وَدَعِينَا أَوْصِلِي      وهوْنِي الأَمْرَ فزُورِي واعْجَلِي  
ثُمْتُ أَيَّأ ما أُرِدْتُ فافْعَلِي      إني لآتِي ما أُتِيتُ مُوتَلِي<sup>1</sup>

فقال له مروان : عَدَّ عن هذا ، فقال : [من الرجز]

أنا جميلٌ والحِجَارُ وَطَنِي      فيه هَوَى نَفْسِي وفيه شَجَنِي  
هذا إذا كان السِّيَاقُ دَدَنِي<sup>2</sup>

[جواس بن قطبة يحدو ركاب مروان]

فقال لجوَّاس بن قطبة : انزل أنت يا جواس فسُقْ بنا ، فنزل فقال : وقد كان بلغه عن مروان أنه توَعَّده إن هاجى جميلاً :

[من الطويل]

لستُ بعبْدٍ للمطايا أسوقها      ولكنني أرمي بهنَّ الفَيَافِيَا  
أَتَانِي عَنْ مَرْوَانَ بالغَيْبِ أَنَّهُ      مُبِيحٌ دَمِي أَوْ قَاطِعٌ من لسانِي<sup>3</sup>  
وفي الأرضِ مَنَاجاةٌ وفُسْحَةٌ مذهبٍ      إذا نحن رَقَقْنَا لهنَّ المَثَانِيَا<sup>4</sup>

فقال له مروان : أما إنَّ ذلك لا يَنْفَعُكَ إذا وجب عليك حقٌّ ، فاركب لا ركبت .

[جواس بين القعطل يحدو ركاب مروان]

ثم قال لجوَّاس بن القَعْطَلِ ، ويقال بل القصَّة كلها مع جوَّاس بن قطبة : انزل فارجز

1 موتلي : من أَلَا الشيء أَلَا : استطاعه .

2 الددن : اللهو .

3 مبيح في ل : مقيد .

4 رققنا في ل : رفعا . المثاني ما يكرر ويثنى من الآيات القرآنية وغيرها ، وهنا أناشيد الحداء .

بنا ، فنزل فقال هذه الأبيات :

يقول أميري : هل تسوقُ ركابنا  
تكرمتُ عن سَوْقِ المَطِيِّ ولم يكن  
جعلتُ أبي رهناً وعِرضي سادراً  
إلى شرِّ بيت من قُضاة منصياً  
فقلتُ : اتَّخذ حادٍ لمن سوائيا  
سياقُ المطايا همَّتي ورجائيا  
إلى أهل بيتٍ لم يكونوا كِفائيا<sup>1</sup>  
وفي شرِّ قوم منهم قد بدا ليا  
فقال له : اركب لا ركبت .

[عود إلى الصوت وخبر بن مجرز]

والأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جِوَّاس بنُ قُطَيْبَة العذريُّ علقمةَ بن مجرِّز قال أبو عمرو الشيباني : وكان عُمَر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه بعث علقمةَ بن مجرِّز الكِنَانيَّ ثم المدلجيَّ في جيش إلى الحبشة ، وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلا بإذن الملك ، وإلا قوتلوا عليه ، فنزل الجيش على ماء قد أُلقت لهم فيه الحبشة سُمّاً ، فوردوه مغترين ، فشرَبوا منه ، فماتوا عن آخرهم ، وكانوا قد أكلوا هناك تمرّاً ، فنبت ذلك النوى الذي ألقوه نخلًا في بلاد الحبشة ، وكان يقال له نخل ابن مجرز ، فأراد عمر أن يجهِّز إليهم جيشاً عظيماً فشهِد عنده أن رسول الله ﷺ قال : اتركوا الحبشة ما تركوكم ، وقال : وددت لو أن بيني وبينهم بحراً من نار ، فقال جِوَّاس العذريُّ يرثي علقمةَ بن مجرِّز :

[من الكامل]

إنَّ السَّلامَ وحُسْنَ كلِّ تحيةٍ  
فإذا تجرَّد حافرك وأصبحت  
وتخيروا لك من جِادِ ثيابهم  
فهناك لا تُغني مودةُ ناصحٍ  
هلا فدى ابن مجرِّز متفحشٌ  
متمرِّغٌ ورِعٌ وليس بماجِدٍ  
تغدو على ابن مجرِّز وتروحُ  
في الفجرِ نائحةٌ عليك تنوحُ  
كفناً عليك من البياض يلوحُ  
حذراً عليك إذا يُسدُّ ضريحُ  
شَجُّ اليمين على العطاء شحيحُ  
متملِّحٌ وحديثُه مقبوحُ<sup>2</sup>

[من الطويل]

وفيمن هلك مع ابن مجرِّز يقول جِوَّاس :

ألْهَفي لِفتيانٍ كانَّ وجوههم  
دنائيرُ وافٍ مهْلِكِ ابنِ مُجرِّز

1 الرَّهْن : هو رهن مال ونحوه ، أي سائس .

2 المتمرِّغ : طالب المِرْع : الخصب . ورِع : جبان . متملِّح : يتكلَّف الملاحاة .

## صوت

[من المتقارب]

أَحَبَّتْنَا بِأَبِي أَنْتُمْ      وَسَقَيْأَ لَكُمْ حَيْثَمَا كُنْتُمْ  
 أَطْلَيْتُمْ عَذَابِي بِمِيعَادِكُمْ      وَقَلْتُمْ نَزُورُ فَمَا زَرْتُمْ  
 فَأَمْسَكَ قَلْبِي عَلَى لَوْعَتِي      وَنَمَتْ دُمُوعِي بِمَا أَكُتُمْ  
 فَفِيمَ أَسَأْتُمْ وَأَخْلَفْتُمْ      وَقَدَّمَا وَفَيْتُمْ وَأَحْسَنْتُمْ

الشعر لإبراهيم بن المدبر ، والغناء لعريب خفيف ثقیل .

## [ 476 ] - أخبار إبراهيم بن المدبر

[نشأته]

أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر شاعرٌ كاتبٌ متقدّم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدّمهم وذوي الجاه والمتصرّفين في كبل الأعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكّل يُقدّمه ويؤثّره ، ويفضّله ، وكانت بينه وبين عريبٍ حالٌ مشهورة ، كان يهواها ، وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة ، قد ذكرتُ بعضها في أخبار عريب ، وأذكر باقيها هاهنا .

[بين يدي المتوكّل]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدّثني إبراهيم بن المدبر قال : مرض المتوكّل مرضة خيف عليه منها ثم عوفي ، وأذن للناس في الوصول إليه ، فدخلوا على طبقاتهم كافة ودخلت معهم ، فلمّا رأيَ استدانني ، حتى قمتُ وراء الفتح ، ونظر إليّ مُستنطقاً فأنشده :

يَوْمَ أَتَانَا بِالسُّرُورِ	فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ
أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ	وَوَفَيْتُ فِيهِ بِالْأَذْوَورِ
لَمَّا اعْتَلَلْتُ تَصَدَّعْتُ	شُعْبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصَّدُورِ
مِنْ بَيْنِ مَلْتَهَبِ الْفَوَا	دِ وَبَيْنِ مَكْتَسَبِ الضَّمِيرِ
يَا عُدَّتِي لِلدُّنْيِ وَالْدُّنْيِ	لَا وَلِلْخَطْبِ الْخَطِيرِ
كَانَتْ جُفُونِي ثَرَّةً أَلْ	لَامَاً بِالْأَمْعِ الْغَزِيرِ
لَمْ لَمْ أَمْتُ جَزْعاً لَعَم	رُكْ إِنَّنِّي عَيْنُ الصُّبُورِ
يَوْمِي هُنَاكَ كَالسَّيِّ	نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ
يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكَّلُ أَلْ	عَالِي عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
الْيَوْمَ عَادَ الدِّينَ غَدَ	ضُ الْعُودِ ذَا وَرَقٍ نَضِيرِ
وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْخِلَا	فَ وَهِيَ أَرْسَى مِنْ ثَبِيرِ <sup>1</sup>

قد حَالَفْتُكَ وَعَاقَدْتُكَ      لَكَ عَلَى مَطَاوِلَةِ الدُّهُورِ  
 يَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ      يَا ضِيَاءَ الْمُسْتَنِيرِ  
 يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي      ظَهَرَتْ لَهُ بِهِدْيُ وَنُورِ  
 اللَّهُ أَنْتَ فَمَا نَشَأُ      هَذَا مِنْكَ مِنْ كَرَمٍ وَخَيْرِ  
 حَتَّى نَقُولَ وَمَنْ يَقْرُ      بِكَ مِنْ وَلِيٍّ أَوْ نَصِيرِ  
 الْبَدْرُ يَنْطَلِقُ بَيْنَنَا      أَمْ جَعَفَرٌ فَوْقَ السَّرِيرِ !  
 فَإِذَا تَوَاتَرَتِ الْعِظَا      ثُمَّ كُنْتَ مَنْقَطَعَ النَّظِيرِ  
 وَإِذَا تَعَذَّرَتِ الْعَطَا      يَا كُنْتَ فَيَاضَ الْبُحُورِ  
 تُمِضِي الصَّوَابَ بِلَا وَزِيرِ      سِرٍّ أَوْ ظَهِيرٍ أَوْ مُشِيرِ<sup>1</sup>

فقال المتوكل للفتح : إنَّ إبراهيمَ لينطق عن نية خالصة ، وودَّ محض ، وما قضينا حقّه ، فتقدّم بأن يُحمَلَ إليه الساعةَ خمسون ألفَ درهمٍ ، وتقدّم إلى عبيد الله بن يحيى بأن يؤلِّيه عملاً سرّياً ينتفع به .

[المتوكل ينتقض عليه ويودعه السجن]

حدثني عمِّي قال : حدثني محمد بن داود بن الجراح قال : كان أحمد بن المدبر وليَّ لعبيد الله بن يحيى بن خاقان عملاً ، فلم يَحْمَدْ أثره فيه ، وعمل على أن يَنْكَبَهُ . وبلغ أحمد ذلك فهرب ، وكان عبيد الله منحرفاً عن إبراهيم ، شديد النفاسة<sup>2</sup> عليه برأي المتوكل فيه ، فأغراه به ، وعرفه خبر أخيه ، وادّعى عليه مالاً جليلاً ، وذكر أنّه عند إبراهيم أخيه ، وأوغر صدره عليه حتى أذن له في حبسه ، فقال وهو محبوس : [من الوافر]

تسلي ليس طولُ الحبس عاراً      وفيه لنا من الله اختيارُ  
 فلولاً الحبس ما بُلي اصطبارُ      ولولا الليلُ ما عُرِفَ النهارُ  
 وما الأيامُ إلّا مُعَقِّياتُ      ولا السلطانُ إلّا مستعارُ<sup>3</sup>  
 وعن قدرٍ حُبِسْتُ فلا نقيضُ      وفيما قدَّرَ الله الخيارُ  
 سيفُرجُ ما ترينَ إلى قليلٍ      مقدره وإن طال الإسارُ

1 ظهير : معين .

2 النفاسة : نفست عليه الشيء إذا ضمنت به ، ولم تحب أن يصل إليه .

3 معقبات : يعقب بعضها بعضاً بالخير والشرّ أو بالنور والظلام .

ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حسنة مختارة ، منها قوله في قصيدة أولها : [من الكامل]  
أدموعها أم لؤلؤ متناثر  
يندى به ورد جني ناضر  
يقول فيها :

لا تؤيسنك من كريم نبوة  
هذا الزمان تسومني أيامه  
إن طال ليلى في الأسار فطالما  
والحبس يحجبني وفي أكتافه  
عجباً له كيف التقت أبوابه  
هلا تقطع أو تصدع أو وهى  
فالسيف ينبو وهو غضب باتر<sup>1</sup>  
خسفاً وهانذا عليه صابر  
أفنت دهرأ ليلى متقاصر  
مني على الضراء ليث خادر<sup>2</sup>  
والجود فيه والريع الباكر ؟  
فعدرته ؛ لكنه بي فاجر

ومنها قوله في قصيدة أولها :

ألا طرقت سلمى لدى وقعة الساري  
هو الحبس ما فيه علي غضاضة  
يقول فيها :

ألست ترين الخمر يظهر حسنها  
وما أنا إلا كالجواد يصونه  
أو الدرّة الزهراء في قعر لجة  
وهل هو إلا منزل مثل منزلي  
فلا تنكري طول المدى وأذى العدى  
لعل وراء الغيب أمراً يسرنا  
وإني لأرجو أن أصول بجعفر  
وبهجتها بالحبس في الطين والقار<sup>4</sup>  
مقومه للسبق في طي مضمار  
فلا تجتلي إلا بهول وأخطار  
وبيت ودار مثل بيتي أو داري ؟  
فإن نهايات الأمور لإقصار  
يقدره في علمه الخالق الباري  
فأهضم أعدائي وأذكرك بالثار

[يشي على من خلاصه من سجنه]

فأخبرني عمي عن محمد بن داود : أن حبسه طال ، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة

1 ينبو : يبعد في ضربه .

2 أكتافه : نواحيه جمع كنف . الضراء : الشدة والضيق . خادر : ملازم لأجمته .

3 الطرق : الضرب على الباب ليلاً . وقعة الساري : نومه آخر الليل . نازح : بعيد .

4 القار : ما يدهن به سداد الدنان .



مع عَضَل<sup>1</sup> عبيد الله وقصده إياه ، حتى تَخَلَّصَه محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر ، وجَوَّدَ المسألة في أمره<sup>2</sup> ، ولم يلتفت إلى عبيد الله ، وبذل أن يحتملَ في ماله كلَّ ما يطالبُ به ، فأعفاه المتوكل من ذلك ، ووهبه له ، وكان إبراهيم استغاثَ به ومدَّحَهُ ، فقال : [من الطويل]

دعوتك من كَرْبٍ فليبتَ دعوتي	ولم تعترضني إذ دعوتُ المعاذرُ
إليك وقد حُلَّتْ أُورِدْتُ هِمَّتِي	وقد أعجزتني عن هُمومي المَصادرُ <sup>3</sup>
نمى بك عبدُ الله في العزِّ والعلا	وحاز لك المجدَ المؤتَّلَ طاهرُ
فأنتم بنو الدنيا وأملأكُ جوَّها	وساسْتُها والأعظمون الأكابرُ <sup>4</sup>
مآثرُ كانتَ للحُسَيْنِ ومُصْعَبِ	وطلحة لا تحوي مَداها المفَاخيرُ
إذا بذلوا قِيلَ الغيوثِ البواكرُ	وإن غَضِبوا قِيلَ الليوثِ الهواصرُ <sup>5</sup>
تطيعكمُ يَوْمَ اللقاءِ البواترُ	وتزهو بكمُ يومَ المقامِ المنابرُ
وما لَكُمْ غيرَ الأسرةِ مجلسُ	ولا لَكُمْ غيرَ السيوفِ مَخاصرُ <sup>6</sup>
ولي حاجة إن شئتَ أحرزتَ مجدها	وسرَّكَ منها أولٌ ثم آخرُ
كلامُ أميرِ المؤمنين وعطفه	فما لي بعد الله غيرَكَ ناصرُ
وإن ساعدَ المقدورُ فالنَّجْعُ واقع	والأ فأنِّي مخلصُ الودِّ شاكرُ

[عريب تكاتبه وتشفع له]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال : كُتِبَ عَرِيبٌ مِنْ سُرٍّ مَنْ رَأَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ كِتَاباً تَشَوُّقُهُ فِيهِ ، وَتَخْبِرُهُ بِاسْتِحْشَاشِهَا لَهُ ، وَاهْتِمَامِهَا بِأَمْرِه ، وَأَنَّهَا قَدْ سَأَلَتِ الْخَلِيفَةَ فِي أَمْرِهِ ، فَوَعَدَهَا بِمَا تُحِبُّ ، فَأَجَابَهَا عَنْ كِتَابِهَا ، وَكُتِبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ : [من الطويل]

لعمرك ما صوتٌ بديعٌ لمعبَدٍ	بأحسنَ عندي من كتابِ عَرِيبٍ
تأملتُ في أثنائه خَطُّ كاتبٍ	ورقَّةَ مشتاقٍ وَلَفْظَ خَطِيبٍ

1 عضل : منع .

2 جَوَّدَ المسألة في أمره : أحسن الشفاعة فيه .

3 حللت : منعت الماء .

4 جوَّها في ل : شرقها .

5 الهواصر : الكواسر المخطمة .

6 المخصرة : ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب .

وراجعتني من وصلها ما استرقني      وزهدني في وصل كل حبيب  
فصرت لها عبداً مُقراً بملكها      ومستمسكاً من وُدّها بنصيب

[يُحِبُّهَا وَهِيَ مَشْغُولَةٌ بِمُظَفَّرٍ]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : كان علي بن يحيى المنجم وإبراهيم بن المدبر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسرٍّ من رأى على حال أنس ، وكانت تغنيهم جارية يقال لها نبت جارية البكرية المغنية من جواري القيان ، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبر بنظره ومزحه وتجميشه<sup>1</sup> ، وهي مقبلة على فتى كان أمرد من أولاد الموالي يقال له مُظَفَّر ، كانت تهواه ، وكان أحسن الناس وجهاً ، ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن افرقوا ، فكتب إليه علي بن يحيى يقول :

لقد فتنت نبت فتى الظرف والندى      بمقلة ريم فاتر الطرف أحور  
وشدو يروق السامعين ويملاً ال      قلوب سروراً موزق متخير  
فأصبح في فخ الهوى متقنصاً      عزيز على إخوانه ابن المدبر  
ولم تدبر ما يلقي بها ولو أنها      درت روح من نره المتسر  
وذاك بها صب وبت خلية      ومشغولة عنه بوجه مظفر  
ولو أنصفت نبت لما عدلت به      سواه وحازت حسن رأى ومخير

[من الطويل]      فكتب إليه إبراهيم بن المدبر :

طربت إلى قطربل وبلشكر      وراجعت غياً ليس عني بمقصير<sup>2</sup>  
وذكرني شعر أتاني موزق      حبائب قلبي في أوائل أعصري  
فنهنت نفسي عن تذكر ما مضى      وقلت : أفيقي لات حين تذكر<sup>3</sup>  
أبا حسن ما كنت تعرف بالخنا      ولا يعلو في المكان المؤخر  
وما زلت محمود الشائل مرتضى الخ      سلاقي معروفاً بعرف ومنكر  
أترمي بنبت من جفاها تخيراً      وباعدها عنه برأي موقر ؟  
ودافعها عن سرها وهي تشتكي      إليه تبارج الهوى المتسر

1 التجميش : المغازلة بالقرص واللعب .

2 قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر . بلشكر : من قرى بغداد .

3 نهنت : كفت وزجرت .

ولو كان تباعاً دواعي نفسه  
على أنه لو حصص الحق باعها  
بلؤلؤة زهراء يشرق ضوءها  
إلى الله أشكو أن هذا وهذه  
وأنت فقد طالبتها فوجدتها  
وحاولت منها سلوة عن مظفر  
نصحتك عن ود ولم أك جاهداً

فكتب إليه علي بن يحيى المنجم :

[من الطويل]

لعمري لقد أحسنت يا ابن المدبر  
ظرفت ومن يجمع من العلم مثل ما  
وما زلت في الإحسان عين المشهر  
جمعت أبا إسحاق يظرف ويشهر

ولإبراهيم في نبت هذه أشعار كثيرة منها قوله :

[من البسيط]

نبت إذا سكنت كان السكوت لها  
وإنما أقصدت قلبي بمقلتها  
زناً وإن نطق فالدُر ينتشر  
ما كان سهم ولا قوس ولا وتر<sup>1</sup>

وقوله :

[من البسيط]

يا نبت يا نبت قد هام الفؤاد بكم  
ألا صليني فإني قد شغفت بكم  
وأنت والله أحلى الخلق إنسانا  
إن شئت سرّاً وإن أحببت إعلانا

[خاتماً عرب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : كان في إصبع إبراهيم بن المدبر خاتمان وهبتهما له  
عريب ، وكانا مشهورين لها ، فاجتمع مع أبي العنّس بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين  
من شعبان على شرب ، فلما سكر اتفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العنّس ، ويقيم عنده  
من غدٍ إن لم ير الهلال ، وأخذ الخاتمين منه رهناً . ورئي الهلال في تلك الليلة ، وأصبح  
الناس صياماً ، فكتب إبراهيم إلى أبي العنّس يطالبه بالخاتمين ، فدافعه ، وعيث به ،  
فكتب إليه من غدٍ :

[من الخفيف]

كيف أصبحت يا جعلت فداكا  
إنني أشتكى إليك جفاكا

قد تَمَادَى بك الجفاء وما كَدَ      سَتَ حَقِيقاً ولا حَرِيّاً بذاكا  
 كُنْ شَبِيهاً بَمَنْ مَضَى جعل الد      هُ لَكَ العُمَرُ دائِماً ورَعَاكا  
 إِنَّ شَهَرَ الصِيَامِ شَهْرُ فِكاكِ      أَنْتَ فِيهِ وَنَحْنُ نَرْجُو الْفِكاكا  
 فَارِدِدِ الْخَاتَمِينَ رَدّاً جَمِيراً      قَدْ تَنَعَّمْتَ فِيهِمَا مَا كَفَاكا<sup>1</sup>  
 يَا أبا عَبْدِ اللَّهِ دَعْوَةَ دَاعٍ      يَرْتَجِي نُجَحَ أَمْرُهُ إِذْ دَعَاكا  
 يعني أبا عبد الله بن حمدون والد أبي العنّس المخاطب بهذا الشعر :  
 خاتَمَيَّ اللَّذَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَبْدِ      لَسَ قَدْ شَارِفاً لَدَيْهِ الْهَلَاكا  
 وَهُوَ حُرٌّ وَقَدْ حَكَكَ كَمَا أَنْ      لَكَ فِي الْمَكْرُمَاتِ تَحْكِي أَبَاكا  
 فَبَعَثَ بِالْخَاتَمِينَ إِلَيْهِ .

[عريب تزوره ، وتستزير أبا العنّس]

وأخبرني جعفر قال : زارت عَرِيبُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ وَهُوَ فِي دَارِهِ عَلَى الشَّاطِئِ فِي  
 الْمَطِيرَةِ<sup>2</sup> واقترحت عليه حضور أبي العنّس فكتب إليه إِبْرَاهِيمُ :

قُلْ لَابِنِ حَمْدُونَ ذَاكَ الْأَرِيبِ      وَذَاكَ الظَّرِيفِ وَذَاكَ الْحَسِيبِ  
 كَتَابِي إِلَيْكَ بِشَكْوَى عَرِيبِ      لَوْجِدِ شَدِيدٍ وَشَوْقٍ عَجِيبِ  
 وَشَوْقِي إِلَيْكَ كَشَوْقِ الْغَرِيبِ      إِلَى أَرْضِهِ بَعْدَ طَوْلِ الْمَغِيبِ  
 وَيَوْمِي إِنْ أَنْتَ تَمَمْتَهُ      بِقُرْبِكَ ذُو كُلِّ حُسْنٍ وَطِيبِ  
 حَبَانِي الزَّمَانُ كَمَا أَشْتَهِي      بِقُرْبِ الْحَبِيبِ وَبُعْدِ الرَّقِيبِ  
 فَمَا زِلْتُ أَشْرَبُ مِنْ كَفِّهِ      وَأُسْقِيهِ سَقَى اللَّطِيفِ الْأَدِيبِ  
 وَيَشْكُو إِلَيَّ وَأَشْكُو إِلَيْهِ      بِقَوْلٍ عَفِيفٍ وَقَوْلٍ مَرِيبِ  
 إِلَى أَنْ بَدَأَ لِي وَجْهُ الصَّبَاحِ      كَوَجْهِكَ ذَاكَ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ  
 فَلَا تُخْلِنَا يَا نَظَامَ السُّرُ      رَ مِنْكَ فَأَنْتَ شَفَاءُ الْكَتِيبِ  
 وَغَنِّ لَنَا هَزْجاً مُمَسِكاً      تَخِيفُ لَهُ حَرَكَاتُ اللَّيْبِ  
 فَإِنَّكَ قَدْ حُزْتَ حَسَنَ الْغَنَاءِ      وَقَدْ فُزْتَ مِنْهُ بِأَوْفَى نَصِيبِ

1 تنعمت : تمتعت . وفي ل : تَوَلَّعت .

2 المطيرة : قرية من منزهات بغداد وسامراء .

وكن بأبي أنت رجع الجوابِ فداؤك أنفُسنا من مُجيبِ

[يعجبه اللحن فيكملة]

أخبرني جعفر قال : غنى أبو العنيس بن حمدون يوماً عند إبراهيم : [من مجزوء الكامل]

### صوت

إنني سألتك بالذي أدنى إليك من الوريدِ  
إلا وصلتَ حبالنا وكفينا شرَّ الوعيدِ

فزاد فيه إبراهيم قوله : [من مجزوء الكامل]

الهجرُ لا مستحسنٌ بعد الموائقي والعهودِ  
وأراك مغرأةً به أفما غرِضت من الصدودِ<sup>1</sup>  
إنني أجددُ لذتي ما دمت في يومٍ جديدِ  
شربي معتقة الكرو م ونزهتي ورْدُ الخُدودِ

فغنى هذه الأبيات أبو العنيس متصلة باللحن الأول في البيتين وصار الجميع صوتاً واحداً إلى الآن ، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبر والأولان ليسا له .

### نسبة هذا الصوت

الغناء في البيتين الأولين خفيف ثقيل مزوم<sup>2</sup> لأبي العنيس ، وفيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق وفيهما لعريب ثاني ثقيل بالوسطى .

[يكمل لحناً آخر]

قال جعفر : وغنته يوماً كُرَاعَةً بِسُرٍّ مَنْ رَأَى وَنَحْنُ حُضُورُ عَنْدَهُ : [من السريع]

يا معشر الناس أما مُسلمٌ يشفعُ عند المذنبِ العاتبِ ؟  
ذاك الذي يهرُبُ من وصلنا تعلّقوا بالله بالهاربِ

فزاد فيهما قوله : [من السريع]

ملَكُتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي

1 مغرة : مولعة من أغرى بالشيء أُلْع به . غرِضت : ضجرت ومللت .

2 مزوم من الزم وهو شد الأوتار .

وقال إني في الهوى كاذبٌ فانتقمَ الله من الكاذبِ

[عود إلى حبس المتوكل له]

حدّثني عمي ، قال : حدّثني محمد بن داود قال : كتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون<sup>1</sup> في أيام نكبته يسأله إذكار المتوكل والفتح بأمره : [من الرمل]

كم ترى يلقى على ذا بدني      قد بلي من طول همّ وضني<sup>2</sup> !  
أنا في أسرٍ وأسبابٍ ردّي      وحديدٍ فادحٍ يكلمني  
يا ابن حمدون فتى الجود الذي      أنا منه في جنّي وردٍ جنّي  
ما الذي ترقّبه أم ما ترى      في أخ مضطهدٍ مرتَهَن !  
وأبو عمران موسى حنقٌ      حاقِدٌ يطْلُبني بالإخْر<sup>3</sup>  
وعبيدُ الله أيضاً مثله      ونجاحٌ بي مُجِدُّ ما يني  
ليس يشفيه سوى سفكٍ دمي      أو يراني مُدرَجاً في كَفَني  
والأميرُ الفتَحُ إن أذكرته      حرَمَتي قامَ بأمرِي وعُني  
فألُ صدقٍ حين أدعو باسمه      وسرورٍ حين يَعرُو حَزَني  
قل له : يا حُسَنَ ما أوليتني      ما لِمَا أوليتني من ثَمَن  
زاد إحسانَكَ عندي عِظْماً      أنَّهُ بادٍ لِمَن يَعْرِفُني  
لستُ أدري كيفَ أجزيكَ به      غيرَ أني مُثَقَلٌ بِالْمَن  
ما رأى القومُ كذَبي عندهم      عَظُمَ ذَنبي أنْني لم أُخْن  
ذاكَ فعلي وِثْرائي عن أبي      واقتدائي بأخي في السُّن  
سَنَةٌ صالحةٌ معروفةٌ      هي مِنّا في قديمِ الزَمَن  
ظَفيرُ الأعداءِ بي عن حيلةٍ      ولعلَّ الله أن يُظْفِرَني  
ليتَ أنِّي وهُمٌ في مجلسٍ      يَظْهَرُ الحقُّ به للْفَظَن  
فترى لي ولهُم ملحمَةٌ      يَهْلِكُ الخائنُ فيها والدَّني

1 حمدون : أحد ندماء المتوكل .

2 ضني : تعب .

3 أبو عمران موسى بن بغا الكبير أحد قوَّاد المتوكل .

والذي أَسْأَلُ أَنْ يُنْصِفَنِي      حَاكِمٌ يَقْضِي بِمَا يَلْزُمُنِي  
قُلْ لِحَمْدُونَ خَلِيلِي وَإِنِّه      وَلِعَيْسَى حَرَّكُوهُ يَا بَنِي<sup>1</sup>  
يعني يا بني الزانية ، فلم يزالوا في أمره حتى خلَّصوه .

[هل جرب الخمر من فمها ؟]

حدَّثني محمد بن يحيى الصولي : قال : كان إبراهيم بن المدبر يحبّ جارية للمغنية المعروفة  
بالبكرية بسرٍّ مَنْ رَأَى فَقَالَ فِيهَا : [من السريع]

غادرت قلبي في إِسَارٍ لَدَيْكَ      فَوَيْلَتَا مِنْكَ وَوَيْلِي عَلَيْكَ  
قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ      أَنِّي أُعَانِي الْمَوْتَ شَوْقًا إِلَيْكَ  
مُنِّي بِفِكَ الْأَسْرِ أَوْ فَاقْتُلِي      أَيُّهُمَا أَحَبُّتِ مِنْ حُسْنَيْكَ  
قَدْ كُنْتُ لَا أُعْذِي عَلَى ظَالِمٍ      فَصَرْتُ لَا أُعْذِي عَلَى مُقَاتِلِكَ  
الْخَمْرُ مِنْ فَيْكِ لَمَنْ ذَاقَهُ      وَالْوَرْدُ لِلنَّاطِلِ مِنْ وَجْتِكَ  
يَا حَسْرَتَا إِنْ مُتْ طَوْعَ الْهَوَى      وَلَمْ أَنْتَلْ مَا أَرْتَجِيهِ لَدَيْكَ

وأنشدها أبو عبد الله بن حمدون هذه الأبيات ، وغنّت بها ، وجعل يكرّر قوله :

الْخَمْرُ مِنْ فَيْكِ لَمَنْ ذَاقَهُ

ويقول : هذا والله قولٌ خبير مجرّب ، فاستحيت من ذلك ، وسبّت إبراهيم ، فبلغه  
ذلك ، فكتب إلى أبي عبد الله يقول :

أَلَمْ يَشْفُقْ التَّمَاعُ الْبَرْقِ فِي السَّحَرِ ؟      بَلَى وَهَيَّجَ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ ذِكْرِ  
مَا زَالَ دَمْعِي غَزِيرَ الْقَطْرِ مُنْسَجِمًا      سَحًّا بِأَرْبَعَةٍ تَجْرِي مِنَ الدُّرِّ  
وَقُلْتُ لِلْغَيْثِ لِمَا جَادَ وَإِلَهُ      وَمَا شَجَانِي مِنَ الْأَحْزَانِ وَالسَّهَرِ  
يَا عَارِضًا مَاطِرًا أَمْطِرْ عَلَى كَبْدِي      فَإِنَّهَا كَبَدٌ حَرَّى مِنَ الْفِكْرِ  
لَشَدِّ مَا نَالَ مِنِّْي الدَّهْرُ وَاعْتَلَقْتُ      يَدُ الزَّمَانِ وَأَوْهَتْ مِنْ قُوَى مِرْرِي<sup>2</sup>  
يَا وَاحِدِي مِنْ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ      وَيَا غَنَائِي وَيَا كَهْفِي وَيَا وَزْرِي  
أَحِينَ أَنْشَدْتَ شِعْرِي فِي مُعَذِّبَتِي      أَمَا رَأَيْتَ لَهَا مِنْ شِدَّةِ الْحَصْرِ ؟

1 يقصد عيسى بن إبراهيم النصارى كاتب سعيد بن صالح ، وكان يسعى على ابن المدبر .

2 مرري : قواي ، جمع مرة .

وما شفعتَ بها شعري وقلت به  
لبئس مستنصحا في مثل ذلك يا  
واليوم يوم كريم ليس يُكرمه  
نشدتك الله فاصبُحه بصُحبته  
واجمعَ نداماك فيه واقترحَ رَملاً  
يرتاح للذَّجنِ قلبي وهو مقتسم  
يا غادراً يا أحبَّ الناسِ كلَّهم  
ويا رجائي ويا سُؤلي ويا أُملي  
ويا مُنأي ويا نورِي ويا فَرحي  
لا تقبلي قولَ حسَّادي عليّ ولا  
أدالني الله من دهرٍ يُضعُضُني  
إن يحجُّوا عنك في تقديرهم بصري  
يا قوم قلبي ضعيفٌ من تذكُّرها  
الله يعلمُ أنِّي هائمٌ ذَنِفٌ

في ريقها البارِدِ السلسالِ ذي الخَصَرِ<sup>1</sup>  
نفسي فِداؤك من مستنصح غدير  
إلا كريم من الفتيان ذو خطرٍ  
مُباكِراً فالذُّ الشُّرب في البُكرِ  
صوتاً تغنيهِ ذاتُ الدَّلِّ والخَفَرِ  
بين الهموم ارتياح الأرض للمطرِ  
إليّ والله من أنثى ومن ذَكَرِ  
ويا حياتي ويا سَمعي ويا بصري  
ويا سروري ويا شَمسي ويا قَمري  
والله ما صدقوا في القولِ والخبرِ  
فقد حُجِبَتْ عن التسليم والنظرِ<sup>2</sup>  
فكيف لم يحجُّوا ذكري ولا فِكرِي ؟  
وقلبها فارغٌ أقسى من الحجرِ  
بغادَةٍ ليتهَا حَظِّي من البَشَرِ

[مجلس من مجالسه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني عبد الله بن محمد المروزي ، قال :  
حدَّثني الفضل بن العباس بن المأمون ، قال : زارتني عَرِيبُ يوماً ومعها عِدَّةٌ من جوارِها ،  
فوافتنا ونحن على شرابنا ، فتحَدَّثت معنا ساعة ، وسألتها أن تقيمَ عندنا ، فأبَتْ ، وقالت : قد  
وعدتُ جماعةً من أهل الأدب والظُّرف أن أصيرَ إليهم ، وهم في جزيرة المبرد ، منهم  
إبراهيم بن المدبر ، وسعيد بن حميد ، ويحيى بن عيسى بن منارة ، فحلفت عليها ، فأقامت .  
ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطرًا واحدًا : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أردتُ ،  
ولولا ، ولعلي .

ووجَّهت الرقعة إليهم ، فلمَّا وصلت قرؤوها ، وعَبَّوا بجوابها ، فأخذها إبراهيم بن  
المدبر ، فكتب تحت أردت «ليت» وتحت لولا «ماذا» ؟ وتحت لعلِّي «أرجو» ووجَّه

1 الخصر : البرد .

2 أدالني : نصرني .



بالرقعة إليها ، فلما قرأتها طربت ونعرت<sup>1</sup> ، وقالت : أنا أترك هؤلاء وأقعدُ عندكم ؟ تركني الله إذاً من يديه ، وقامت فمضت وقالت لكم فيمن أتخلفه عندكم من جوارِي كفاية<sup>2</sup> .  
[عرب تتدله في حبه عند مكاتبتها]

أخبرني محمد بن خلف : قال : حدثني عبد الله بن المعتز ، قال : قرأت في مكاتبات لعرب فصلاً من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبر مكاتبة بديعة بعيادة : قد استبطأت عيادتكَ ، قدّمتُ قبلك ، وعذرتك ، فما ذكرت عذراً ضعيفاً لا ينبغي أن يفرح به . فأستديم الله نعمه عندك .

قال وكتب إليه أيضاً : أستوهب الله حياتك ، قرأت رقعتك المسكينة التي كلّفتها مسألتك عن أحوالنا ، ونحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك ، ونسأله الإجابة فلا تُعوّد نفسك ، جعلني الله فداها ، هذا الجفاء ، والثقة مني بالاحتمال وسرعة الرجوع .

وكتب إليه وقد بلغها صومه يوم عاشوراء : قَبِلَ اللهُ صَوْمَكَ وتلقاه بتبليغك ما التمس ، كيف ترى نفسك ؟ ، نفسي فداؤك ، ولم كدّرت جسمك في آب ، أخرجه الله عنك في عافية ، فإنه فظّ غليظ وأنت محرور<sup>3</sup> ، وإطعام عشرة مساكين أعظم لأجرِك ، ولو علمت لصمت لصومك مساعدة لك وكان الثواب في حسناتك دوني ، لأنّ نيتي في الصوم كاذبة .

أخبرني جعفر بن قدامة قال : اتّصلت لعرب أشغال دائمة في أيام تركوا رسي ، وخدمتها فيما هنالك . فلم يرها إبراهيم بن المدبر مدّة ، فكتب إليها :  
[من الطويل]

### صوت

إلى الله أشكو وحشتي وتفجّعي	وبعد المدى بيني وبين عريب
مضى دونها شهران لم أحلّ فيهما	بعيش ولا من قربها بنصيب
فكنت غريباً بين أهلي وجيرتي	ولست إذا أبصرتها بغريب
وإنّ حبيباً لم يَرِ النَّاسُ مثله	حقيق بأن يُفدى بكلّ حبيب

لعرب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتز ، وهو من مشهور غنائها .

1 نعت : صوت بخيشومها .

2 تخلف فلان فلاناً : جعله خليفته .

3 محرور : يجد بصدرة حرارة .

[عود إلى مكاتبات عريب]

وقال ابن المعتز في ذكره مكاتبات عريب إلى إبراهيم بن المدبر ، وقد كتب إليها يشكو علته : كيف أصبحت أنعم الله صباحك ومبيتك ؟ وأرجو أن يكون صالحاً ، وإنما أردت إزعاج قلبي فقط .

وكتبت إليه تدعو له في شهر رمضان : أفديك بسمعي وبصري وأهل الله هذا الشهر عليك باليمن والمغفرة ، وأعانك على المفترض فيه والمتنفل ، وبلغك مثله أعواماً ، وفرج عنك وعني فيه :

قال وكتبت إليه : فداؤك السمع والبصر والأُم والأب ومن عرفني وعرفته . كيف ترى نفسك وقيتها الأذى ؟ وأعمى الله شائتك ، ومقه<sup>1</sup> الله عند هذه الدعوة ، وأرجو أن تكون قد أحييت إن شاء الله ، وكيف ترى الصوم ؟ عرفك الله بركته ، وأعانك على طاعته ، وأرجو أن تكون سالماً من كل مكروه بحول الله وقوته ، وواشوقي إليك وواحشتي لك ، ردك الله إلى أحسن ما عودك ، ولا أشمت بي فيك عدواً ولا حاسداً . وقد وافاني كتابك لا عدمته إلا بالغنى عنه بك ، وذكرت حامله ، فوجهت رسولي إليه ليدخله ، فأسأله عن خبرك ، فوجدته منصرفاً ، ولو رأيته لفرشت خدي له ، وكان لذلك أهلاً .

وكتبت إليه وقد عتبت عليه في شيء بلغها عنه : وهب الله لنا بقاءك ممتعاً بالنعم ، ما زلت أمس في ذكرك ، فمرة بمدحك ، ومرة بشكرك ، ومرة بأكلك وذكرك بما فيك لوناً لوناً . اجحد ذنبك الآن وهات حُجَجَ الكتاب ونفاقهم ، فأما خبرنا أمس فأما شربنا من فضلة نبيلك على تذكارك رطلاً رطلاً ، وقد رفعنا حُسباننا إليك ، فارفع حُسبانك إلينا ، وخبرنا من زارك أمس وأهلك ، وأي شيء كانت القصة على جهتها ؟ ولا تُخطر ، فتحوجنا إلى كشفك والبحث عنك ، وعن حالك ، وقُل الحق ، فمن صدق نجا ، وما أحوجك إلى تأديب ، فإنك لا تحسن أن تؤدبه ، والحق أقول إنه يعتربك كُراز<sup>2</sup> شديد يجوز حدّ البرد . وكفاك بهذا من قولي عقوبة ، وإن عدت سمعت أكثر من هذا ، والسلام .

[شماتة]

حدّثني عمي قال : حدّثني محمد بن داود قال : كان عيسى بن إبراهيم النّصراني

1 مقه : أي أهلكه .

2 الكُراز هنا : الانزواء ، والانقباض ، والكُراز أصله من شدة البرد .

المكنى أبا الخير كاتب سعيد بن صالح يسعى على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته ، فلما زالت ، ومات سعيد نكب عيسى بن إبراهيم وحبس ونهبت داره فقال فيه إبراهيم بن المدبر :

قل لأبي الشرِّ إنَّ مررتَ به      مقالةً عُرِّيتَ من اللِّسِ  
أَلْبَسَكَ اللهُ مِنْ قِوَارِعِهِ      آخِذَةً بِالْخُنَاقِ وَالنَّفْسِ  
لَا زِلْتَ يَا ابْنَ الْبُظْرَاءِ مَرْتَهَنًا      فِي شَرِّ حَالٍ وَضِيقٍ مَحْتَبَسِ  
أَقُولُ لِمَا رَأَيْتُ مِنْزَلَهُ      مَنْتَهَبًا خَالِيًا مِنَ الْأَنْسِ<sup>1</sup>  
يَا مَنْزِلًا قَدْ عَفَا مِنَ الطَّفْسِ      وَسَاحَةً أُخْلِيَتْ مِنَ الدَّنْسِ<sup>2</sup>  
من لا قترافٍ الفحشاء بعد أبي الشرِّ ————— ومن للقيح والنجس ؟

أخبرني جعفر بن قدامة قال : ولي إبراهيم بن المدبر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغور الجزرية ، فكان أكثر مقامه بمنبج<sup>3</sup> ، فخرج في بعض أيام ولايته إلى نواحي دلوک<sup>4</sup> ورعبان<sup>5</sup> ، وخلف بمنبج جارية كان يتحفظها مغنية يقال لها غادر ، فحدثني بعض كتابه أنه كان معه بدلوک ، وهو على جبل من جبالها ، فيه دَيْرٌ يُعرف بدير سليمان من أحسن بلاد الله وأنزهها ، فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب ، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب :

أَيَا سَاقِيْنَا وَسَطَ دَيْرِ سُلَيْمَانَ      أَدِيرَا الْكُؤُوسَ فَانْهَلَانِي وَعُلَانِي<sup>6</sup>  
وَحُصًّا بِصَافِيهَا أَبَا جَعْفَرَ أَخِي      وَذَا ثِقَتِي بَيْنَ الْأَنْامِ وَخُلَصَانِي  
وَمِيلًا بِهَا نَحْوَ ابْنِ سَلَامٍ الَّذِي      أَوْدُ وَعُودًا بَعْدَ ذَاكَ لِنَعْمَانِ  
وَعُمًّا بِهَا النَّدَمَانِ وَالصَّحْبَ إِنَّنِي      تَنَكَّرْتُ عِشْيَ بَعْدَ صَحْبِي وَإِخْوَانِي  
وَلَا تَتْرَكَ نَفْسِي تَمُتُ بِسَقَامِهَا      لِذِكْرِي حَبِيبٍ قَدْ شَجَانِي وَعَنَانِي<sup>7</sup>

1 الأنس : المؤانسين : جمع أنيس .

2 الطفس : الدنس .

3 منبج : من أعمال حلب شمالي الشام .

4 دلوک : بلدة من نواحي حلب .

5 رعبان : مدينة بين حلب وسميساط .

6 دير سليمان : قرب دلوک مطلق على مرج العين .

7 لذكرى حبيب في ل : لذكرى حبيباً .

ترحلتُ عنه عن صدود وهجرة  
 وفارقتُه والله يجمع شملنا  
 وليلة عين المَرَج زار خياله  
 فأشرفت أعلى الدَّير أنظر طامحاً  
 لعلِّي أرى أبياتَ منبج رؤية  
 فقصرَ طرفي واستهلَّ بعبرة  
 ومثَّلته شوقي إليه مقابلي

[يهدي شعره إلى أخيه]

قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبر أهاده مجموعاً إلى أخيه أحمد ، فلما وصل  
 إليه قرأه وكتب عليه بخطه :

أبا إسحاق إن تكن الليالي  
 فلم أرَ صرفَ هذا الدهر يجري  
 عطفنَ عليك بالخطبِ الجسيم  
 بمكروه على غير الكريم

[وفاء عريب له]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال : اجتمعتُ مع عريب في  
 مجلس أنسٍ بسرٍّ من رأى عند أبي عيسى بن المتوكل ، وإبراهيمُ بن المدبر يومئذٍ ببغداد ، فمرَّ  
 لنا أحسنُ يوم ، وذكرته عريب فتشوقته وأحسنَتِ الشاء عليه والذكر له ، فكتبتُ إليه بذلك  
 من غد ، وشرحتُه له ، فأجابني عن كتابي وكتب في آخره :

أتعلمُ يا ميمونُ ماذا تهيجُه  
 ووصفِ عريبٍ في كريم وفائها  
 بذكركَ أحبَّائي وحفظهم العهدَا  
 عليها سلامي إن تكن دارها نأتُ  
 وإجمالها ذكري وإخلاصها الودَّأ ؟  
 فقد قرَّب الله الذي بيننا جدَّا  
 وسكنَ ربُّ العرش ساكنها الخُلدا  
 وأسعدَ فيما أرْتجيه له الجدَّا  
 ورأي أصيلٍ يصدع الحجر الصُّلدا

[يصلحون بينه وبين عريب]

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني عبد الله بن حمدون قال : اجتمعتُ أنا وإبراهيم بن المدبر

وابن منارة والقاسم وابن زُرُور في بستان بالمُطيرة وفي يوم غيم يُهريق رذاذه وَيَقْطُرُ أَحْسَنَ قَطْرٍ ، ونحن في أطيب عيش وأحسن يوم ، فلم نشعر إلا بعريبٍ قد أقبلت من بعيد ، فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا ، فخرج حافياً ، حتى تلقاها وأخذ بركابها<sup>1</sup> ، حتى نزلت وقبّل الأرض بين يديها ، وكانت قد هجرته مدّة لشيء أنكرته عليه ، فجاءت وجلست وأقبلت عليه مبتسمة ، وقالت : إِنَّمَا جِئْتُ إِلَى مَنْ هَاهُنَا لَا إِلَيْكَ . فاعتذرَ وَشِيعْنَا<sup>2</sup> قوله ، وشفعنا له . فرضيت وأقامت عندنا يومئذٍ وباتت ، واصطبحنا من غد ، وأقامت عندنا فقال إبراهيم :

### صوت

بأبي من حَقَّقَ الظنَّ به      فأتانا زائراً مُبتدياً  
كان كالغَيْثِ تراخى مُدَّةً      وأتى بعد قُتُوطِ مُروياً  
طاب يومانِ لنا في قُربِهِ      بعد شهرين لهجرٍ مضياً  
فأقرَّ اللهُ عَيْنِي وَشَفَى      سَقَمًا كان لجسمي مُبلياً

لعريب في هذا الشعر لحنان : رَمَلَ وَهَزَجَ بالوسطى .

[من شعره في عريب]

أنشدني الصولي رحمه الله لإبراهيم بن المدبر في عريب :

[من المديد]

زعموا أَنِّي أَحَبُّ عَرِيَا      صدقوا والله حُبّاً عجيباً  
حلّ من قلبي هواها مَحَلّاً      لم تَدْعُ فِيهِ لَخْلُقِ نَصِيباً  
ليقلّ من قَدَرِى النَّاسِ قَدَمًا :      هل رَأَى مِثْلَ عَرِيْبٍ عَرِيْباً ؟  
هي شمسٌ والنساءُ نُجُومٌ      فإذا لاحتْ أَفْلَنَ غُيُوباً

وأنشدني الصولي أيضاً له فيها .

[من المتقارب]

أَلَا يَا عَرِيْبُ وَفِيَتْ الرَّدَى      وجَنَّبَكَ اللهُ صَرْفَ الزَّمَنِ  
فإنَّكَ أَصْبَحْتَ زَيْنَ النِّسَاءِ      وواحدة النَّاسِ فِي كُلِّ فَنٍّ  
فَقُرْبُكَ يُدْنِي لِدَيْذِ الْحَيَاةِ      وبعْدُكَ يَنْفِي لِدَيْذِ الْوَسَنِ

1 الركاب : حديدة معلقة في السرج يستعان بها على الركوب ، والجمع رُكْبُ .

2 شِيعْنَا : قوينا .

فَنِعَمَ الْجَلِيسُ وَنِعَمَ الْأُنَيْسُ      وَنِعَمَ السَّمِيرُ وَنِعَمَ السَّكَنُ

وَأُنْشِدْنِي أَيْضاً لَهُ : [من السريع]

إِنَّ عَرِيباً خُلِقَتْ وَحَدَهَا      فِي كُلِّ مَا يَحْسُنُ مِنْ أَمْرِهَا  
وَنِعْمَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ      يَقْصُرُ الْعَالَمُ عَنْ شُكْرِهَا  
أَشْهَدُ فِي جَارِيَتَيْهَا عَلَى      أَنَّهَا مُحْسِنَاتَا ذَهْرِهَا  
فَبَدْعَةٍ تَبْدَعُ فِي شَدْوِهَا      وَتُحَفِّةٌ تَتَحَفُّ فِي زَمْرِهَا  
يَا رَبِّ أَمْتَعْنَاهَا بِمَا خَوَّلَتْ      وَامْدُدْ لَنَا يَا رَبِّ فِي عَمْرِهَا

[أبو شراعة يودعه]

أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَيَاضِ سَوَارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ الْقِيسِيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِيِّ يَتَوَلَّى الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ مُحْسِناً إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ إِحْسَاناً يَعْمَهُمْ ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ نَفْعُهُ ، وَيَخْصُنَا مِنْ ذَلِكَ بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَأَجْزَلِ نَصِيبٍ ، فَلَمَّا صُرِفَ عَنِ الْبَصْرَةِ شَيْعَهُ أَهْلُهَا ، وَتَفَجَّعُوا لِفِرَاقِهِ وَسَاءَ لَهُمْ صَرْفُهُ ، فَجَعَلَ يَرِدُّ النَّاسَ مِنْ تَشْيِيعِهِمْ عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ فِي الْأُنْسِ بِهِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا أَبِي ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا شُرَاعَةَ ، إِنَّ الْمَشِيعَ مَوْدُّعٌ لَا مُحَالَةَ ، وَقَدْ بَلَغْتَ أَقْصَى الْغَايَاتِ ، فَبِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَنْصَرَفْتَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ احْمِلْ إِلَى أَبِي شُرَاعَةَ مَا أَمَرْتُكَ لَهُ بِهِ ، فَأَحْضِرْ ثِيَاباً وَطِيباً وَمَالاً ، فَوَدَّعَهُ أَبِي ثُمَّ قَالَ :

[من الرمل]

يَا أَبَا إِسْحَاقَ سَرٌّ فِي دَعَاةٍ      وَامْضِ مَصْحُوباً فَمَا مِنْكَ خَلْفُ  
لَيْتَ شَعْرِي أَيُّ أَرْضٍ أَجْدَبْتُ      فَأَغِيثَ بَكَ مِنْ جَهْدِ الْعَجْفِ؟<sup>1</sup>  
نَزَلَ الرَّحْمُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ      وَحُرْمُنَاكَ لِلذَّنْبِ قَدْ سَلَفُ<sup>2</sup>  
إِنَّمَا أَنْتَ رَبِيعٌ بَاكِرٌ      حَيْثُمَا صَرَفَهُ اللَّهُ أَنْصَرَفُ

[قلبه عند عريب]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ طَلْحَةَ الْكَاتِبُ قَالَ : قَرَأْتُ جَوَاباً بِخَطِّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِيِّ فِي أَضْعَافِ رُقْعَةٍ كَتَبْتُهَا إِلَيْهِ عَرِيبُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ كَتَبَ تَحْتَ فِصْلِ مِنَ الْكِتَابِ تَسْأَلُهُ فِيهِ عَنْ خَبْرِهِ :

[من الطويل]

وساء لتموه بعدكم كيف حاله      وذلك أمر بيّن ليس يُشكَلُ

1 العجف : الهزال الشديد .

2 الرَّحْم : الرحمة .

فلا تسألوا عن قلبه فهو عندكم ولكن عن الجسم المخلف فاسألوا

[لا سرور في غيابها]

أخبرني علي بن العباس قال : حدثني أبي قال : كنت عند إبراهيم بن المدبر ، فزارته بدعة وتحفة وأخرجتنا إليه رقعة من عريب فقرأناها فإذا فيها : بنفسي أنت وسمعي وبصري ، وقل ذلك لك ، وأصبح يومنا هذا طيباً ، طيب الله عيشك ، قد احتجبت سماؤه ورق هواؤه ، وتكامل صفاؤه ، فكأنه أنت في رقة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك ، لا فقدت ذلك أبداً منك ، ولم يصادف حسنه وطيبه مني نشاطاً ولا طرباً لأمر صدتني عن ذلك ، أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بنشرها . وقد بعثت إليك بدعة وتحفة ليؤنسك وتسر بهما . سرّك الله وسرني بك !

فكتب إليها يقول : [من المنسرح]

كيف السرور وأنت نازحة عني وكيف يسوغ لي الطرب !  
إن غبت غاب العيش وانقطعت أسبابه وألحت الكرب

وأنفذ الجواب إليها ، فلم يلبث أن جاءت ، فبادر إليها ، وتلقاها حافياً حتى جاء بها على حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه ، يطاء الحمار على بساطه وما عليه ، حتى أخذ بركابها ، وأنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها ، ثم قال : [من الطويل]

ألا رب يوم قصر الله طولك بقرب عريب حبذا هو من قرب  
بها تحسن الدنيا وينعم عيشها وتجتمع السراء للعين والقلب

[من شعره في جاريته عريب]

حدثني علي بن سليمان قال : أنشدني أبي قال : أنشدني إبراهيم بن المدبر ، وقد كتب إلى بدعة وتحفة يستدعيهما ، فتأخرتا عنه فكتب إليهما : [من مجزوء الكامل]

قل يا رسول هذه ولهذه بأبي هما  
قد كان وصلكما لنا حسناً فقيم قطعتما ؟  
أعريب سيده النساء بهجرنا أمرتكما ؟  
كلأً وبيت الله بل هذا جفاء منكما

[صوت له غنّته عريب]

وأنشدني علي بن العباس لإبراهيم بن المدبر ، وفيه لعريب هزج ، وقال : [من الهزج]

ألا يا بأبي أنتم نأت دار بنا عنكم

فإن كنتم تبدلتم      فما من بدّل منكم  
وإن كنتم على العهد      فأحسّتم وأجملتم  
ويا ليت المنى حقّت      فنبيدها ولا نكتم  
فكنتم حيثما كنّا      وكنا حيثما كنتم

[من شعره في سجنه]

وحدّثني عليّ قال : حدّثني أبي قال : دخلتُ ليلة على إبراهيم بن المدبّر في أيام نكبته ببغداد في ليلة غيم ، فلاح برق من قطب الشمال ونحن نتحدّث ، فقطع الحديث ، وأمسك ساعة مفكراً ، ثم أقبل عليّ فقال :

[من مجزوء الخفيف]

بارقُ شرّد الكرى      لاح من نحو ما ترى  
هاج للقلب شجوه      فاعترى منه ما اعترى  
أيّها الشادنُ الذي      صاد قلبي وما درى<sup>1</sup>  
كن عليمًا بشيقوتي      فيك من بين ذا الورى

[عود إلى جاريته عريب]

وحدّثني عن أبيه قال : كنت عند إبراهيم بن المدبّر فزارته بدعة وتُحفّة وأقامتا عنده ، فأنشدنا يومئذ :

[من الخفيف]

أيّها الزائران حيّاكما الله      ه ومن أتما له بالسّلام  
ما رأينا في الدهر بدرًا وشمسًا      طرّقا ثم رجّعا بالكلام  
كيف خلّفتما غريبًا سقاها الله      ه ربّ العباد صوب الغمام  
هي كالشمس والحسانُ نجوم      ليس ضوء النّهارٍ مثل الظلام  
جمعت كلّ ما تفرّق في النّا      سر وصارت فريدة في الأنام

[شعره في سجنه]

وأنشدني عن أبيه لإبراهيم بن المدبّر وهو محبوس :

وإنّي لأستنشي الشّمال إذا جرت      حينئذٍ إلى الألفِ قلبي وأحبابي<sup>2</sup>  
وأهدي مع الريح الجنوب إليهم      سلامي وشكوى طولِ حُرني وأوصابي

[من الطويل]

1 الشّادن : ولد الظبي .

2 أستنشي : أستم .



فيا ليت شعري هل عريبٌ عليمٌ      بذلك أو نام الأجابة عما بي ؟

[يعاتب صديقه أبا الصقر]

حدّثني عمّي ، عن محمد بن داود قال : كان إبراهيم بن المدبر صديقاً أبي الصقر  
إسماعيل بن بلبل فلم يرضَ فعله لما نكب ولا نيابته عنه فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

لا تُطِلْ عذلي عناء	إن في العذلِ بلاء
لست أبكي بطن مرّ	فكدياً فكداء <sup>1</sup>
إنما أبكي خليلاً	خان في الودّ الصفاء
يا أبا الصقر سقاك الله	ه تهتانا رواء <sup>2</sup>
وأدام الله نعماً	ك وملاك البقاء <sup>3</sup>
لم تجاهلت ودادي	وتناسيت الإخاء ؟
كنت برّاً فعلى رأ	سي تعلّمت الجفاء
لا تميلنّ مع الريـ	ح إذا هبت رُخاء
ربّما هبت عقيماً	ترك الدنيا هباءً <sup>4</sup>

[حلم يتحقق]

أخبرني عليّ بن العباس قال : حدّثني أبي قال : كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته  
عريبٌ . فقال لها : رأيت البارحة في النوم أبا العنبس وقد غنى في هذا الشعر وأنت  
تراسلينه فيه :

يا خليلي أرقنا حزناً      لسنّا برقٍ تبدى مؤهنا<sup>5</sup>  
وكأنّي أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأول :  
وجلا عن وجهٍ دعيد مؤهنا      عجباً منه سنّا أبدى سنّا  
فقالت : ما أملح والله الابتداء والإجازة ! فاجعل ذلك في اليقظة ، واكتب إلى أبي العنبس

1 بطن مر : من نواحي مكة يجتمع عنده وادي النخلتين . فكدياً : بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعين . فكداء : بأعلى مكة عند الحصب .

2 تهتانا : مطراً متتابعاً . رواء : كثيراً مروياً .

3 ملاك : أمتك .

4 عقيماً : لا تخير فيها .

5 موهن ، نحو نصف الليل .

وسلّه عني وعنك الحضور ، فكتب إليه إبراهيم : [من الرمل]

يا أبا العباس يا أفتى الورى      زارنا طيفك في سكر الكرى  
وتغنى لي صوتاً حسناً      في سنا برق على الأفق سرى  
وعريبٌ عندنا حاصلةٌ      زينٌ من يمشي على وجه الثرى  
نحن أضيافُك في منزلنا      نتمنّاك فكن أنت القرى

قال : فسار إليهما أبو العنيس ، وحدّثه إبراهيم بروياه ، فحفظا الشعر ، وغنّيا فيه بقية يومهما :

### صوت

ألا حيّ قبل البين من أنت عاشقهُ      ومن أنت مشتاقٌ إليه وشائقهُ  
ومن لا تواتي داره غير فينةٍ      ومن أنت تبكي كلّ يوم تفرقة<sup>1</sup>

الشعر لقيس بن جرّوة الطائيّ الأجيّ ، قاله في غارة أغارها عمرو بن هند على إبل لطىء فحرّض زُرارة بن عدس عمرو بن هند على طييء وقال له : إنهم يتوعّدونك ، فغزاهم واتّصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببني تميم في يوم أواره<sup>2</sup> وخبر ذلك يذكر هاهنا ؛ لتعلق بعض أخباره ببعض .

والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقیل أول بالوسطى عن الهشاميّ ومن مجموع غناء إبراهيم .

1 الفينة : الحين .

2 أواره : اسم ماء أو جبل لبني تميم بناحية البحرين .

## [ 477 ] - ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب

[يوم أواره]

نسختُ ذلك من كتاب عُمَر بن محمد بن عبد الملك الزيات بخطه ، وذكر أنَّ أحمد بن الهيثم بن فراس أخبره به عن العمري عن هشام بن الكلبي عن أبيه وغيره من أشياخ طييء . قال : وحدثني محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي قالوا : كان من حديث يوم أواره أنَّ عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند يعرف باسم أمه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حُجْر آكل المُرار<sup>1</sup> الكندي وهو الذي يقال له مُضَرَّط الحجاره ، أنه كان عاقد هذا الحي من طييء على ألا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ، وأنَّ عمرو بن هند غزا اليمامة ، فرجع مُنْفِضاً<sup>2</sup> فمرَّ بطييء ، فقال له زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي : أبيت اللعن ! أصب من هذا الحي شيئاً ، قال له : ويلك ! إنَّ لهم عقداً ، قال : وإن كان ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذواداً<sup>3</sup> .

[قيس بن جروة يتهدده عمرو بن هند]

فقال في ذلك الطائي ، وهو قيس بن جروة أحد الأجييين قال : [من الطويل]

ألا حيي قبل البين من أنت عاشقهُ	ومَنْ أَنْتَ مشتاقٌ إليه وشائقهُ
ومَنْ لا تواتي داره غير فينة	ومَنْ أَنْتَ تبكي كلَّ يومٍ تُفارقهُ
وتعدو بصحراء الثوية ناقتي	كعدو النحوص قد أمخت نواهقهُ <sup>4</sup>
إلى الملك الخير ابن هند تزوره	وليس من الفوت الذي هو سابقهُ
وإن نساء هنَّ ما قال قائلٌ	غنيمه سوء بينهنَّ مهارة <sup>5</sup>
ولو نيل في عهدٍ لنا لحمُ أرنب	رَدَدْنَا وهذا العهد أنت مُعالقه <sup>6</sup>

1 المرار : شجر تأكله الإبل .

2 منفضاً : نافذ الزاد .

3 الذود : جماعة الإبل من ثلاث إلى عشر ولا يكون إلا في الإناث .

4 الثوية : موضع قرب الكوفة . النحوص : الأتان لا ولد لها ولا لبن فيها . أمخت : صار لها مخ . النواحق : عظام

شاخصة من ذي الحافر في مجرى الدمع ، أي سمينه .

5 المهرق : ثوب أبيض أو ورق يكتب عليه العهود وما أريد بقاؤه على الدهر .

6 معالقه : متعلق بدمتك .

فهبك ابنَ هند لم تُعَقِّك أمانةً      وما المرء إلا عَقْدُه ومَوَائِقُه<sup>١</sup>  
وكنا أناساً خافضين بنعمةٍ      يسيل بنا تلح المِلا وأبارِقُه<sup>٢</sup>  
فأقسمتُ لا أحتلُّ إلا بصهوةٍ      حرامٌ عليَّ رَمْلُه وشقائقُه<sup>٣</sup>  
وأقسم جَهْداً بالمنازلِ من مَنِي      وما خَبٌّ في بطحائِهِنَّ دَرادِقُه<sup>٤</sup>  
لئن لم تَغَيِّر بعضَ ما قد فعلتُم      لأنتحينَ العظم ذو أنا عارِقُه<sup>٥</sup>

فسمي عارقاً بهذا البيت . فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند ، فقال له زُرارة بن عُدَس : أبيت اللعن ، إنه يتوعَّدك . فقال عمرو بن هند لثُرَملة بن شُعَاث الطائي ، وهو ابن عمِّ عارق : أيهجوني ابن عمِّك ويتوعَّدني ! قال : والله ما هجاك ، ولكنَّه قد قال : [من الكامل]

والله لو كان ابنُ جفنةَ جارِكُم      لكسا الوجوه غضاضةً وهوانا<sup>٦</sup>  
وسلاسلا يبرقن في أعناقكم      وإذا لقطَّع تلکم الأقرانا<sup>٧</sup>  
ولكان عادُّته على جيرانه      ذهباً ورِيطاً رادِعا وجِفانا

قالوا : الرادع : المصبوغ بالزعفران ، وإنَّما أراد ترملة أن يُذهب سَخيمته ، فقال : والله لأقتلَنَّه . فبلغ ذلك عارقاً ، فأنشأ يقول :

من مبلغُ عمرو بنَ هندٍ رسالةً      إذا استحقبتها العيس تُنْضى على البعدِ<sup>٨</sup>  
أيوعدُني والرمْل بيني وبينه ؟      تبينُ رويداً ما أُمَامَة من هندٍ  
ومن أجلى دوني رِعانٌ كأنَّها      قنابل خيل من كَميت ومن وَرْدٍ<sup>٩</sup>

- 1 تلح : جمع تلعة . الملا : الصحراء . أبارق : جمع أبرق : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين .
- 2 أحتل : أنزل . صهوة : برج يتخذ في أعلى الراية . شقائق : جمع شقيقة ؛ وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب .
- 3 الخب : سير يراوح الفرس فيه بين يديه ورجليه . درادق : جمع دردق كعسكر : صغار الإبل .
- 4 لأنتحين : لأقصدن ، يريد لأصين هذا العظم .
- 5 عرق العظم : أخذ اللحم الذي عليه كَلَه .
- 6 الشطر الثاني في ل : ما إن كساكم غصة وهوانا .
- 7 الأقران : جمع قَرَن : حبل .
- 8 استحقبتها : حملتها على حقبة الرجل . الإبل العيس : البيضاء جمع أعيس . تنضى : تهزل .
- 9 رعان : جمع رعن ، وهو أنف يتقدَّم الحبل . قنابل : جمع قنبل ، جماعة من الخيل ، وفي ل : قبائل . كَميت : تصغير كمت ، وهو من الخيل ما خالط حمرة سواد غير خالص . ورد : أحمر ضارب إلى الصفرة .

غدرت بأمر أنست كنت اجتذبتنا عليه وشرُّ الشيمة الغدرُ بالعهد<sup>1</sup>  
فقد يترك الغدرَ الفتى وطعامه إذا هو أمسى حلبةً من دمِ الفصد<sup>2</sup>

فبلغ عمرو بن هند شعره هذا ، فغزا طيئاً ، فأسر أسرى من طييء من بني عدي بن  
أخزم ، وهم رهط حاتم بن عبد الله ، فيهم رجلٌ من الأجيئين يقال له قيس بن جحدر ،  
وهو جد الطرماح بن حكيم ، وهو ابن خالة حاتم ، فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند ،  
وكذلك كان يصنع ، فسأله إياهم ، فوهبهم له إلا قيس بن جحدر ، لأنه كان من  
الأجيئين من رهط عارق ، فقال حاتم :

فككت عدياً كلّها من إسارها فأنعم وشفعني بقيس بن جحدر  
أبوه أبي والأمّهات أمهاتنا فأنعم فدتك اليوم نفسي ومُعشري  
فاطلقه .

[مالك بن المنذر]

قال : وبلغنا أنّ المنذر بن ماء السماء وضع ابناً له صغيراً ، ويقال : بل كان أخاً له  
صغيراً ، يقال له : مالك عند زُرارة ، وإنّه خرج ذات يوم يتصيد ، فأخفق ، ولم يصب  
شيئاً ، فرجع ، فمرَّ بإبلٍ لرجل من بني عبد الله بن دارم ، يقال له سويد بن ربيعة بن زيد بن  
عبد الله بن دارم ، وكان عند سويد ابنة زُرارة بن عُدس ، فولدت له سبعة غِلمة ، فأمر  
مالك بن المنذر بناقصة سمينة منها فنحرها ، ثم اشتوى وسويد نائم ، فلما انتبه شدَّ على مالك  
بعضاً فضربه بها ، فأمه<sup>3</sup> . ومات الغلام ، وخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة وعلم أنّه لا  
يأمن ، فحالف بني نوفل بن عبد مناة واختط<sup>4</sup> بمكة ، فمن ولده أبو أهاب بن عزيز بن  
قيس بن سويد ، وكانت طييء تطلب عثرات زُرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي  
الملك ، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مَلَقَط الطائي يقول :

من مبلغ عمراً بأنَّ المرء لم يُخلق صُبارة<sup>5</sup>  
وحوادث الأيام لا تبقى لها إلا الحجارة

1 اجتذبتنا في ل : اجتذبتنا .

2 حلبة : مرة من الحلب وكانوا يأخذون دم العروق يفصدونه ويجففونه ثم يأكلونه .

3 أمه : شج رأسه .

4 اختط : نزل خطّة بمكة .

5 صُبارة : الحجارة الملس .

أَنْ ابْن عَجْزَةٍ أُمِّهِ      بالسَّفْحِ أَسْفَلَ مِنْ أَوَارَةٍ  
قال هشام : أَوَّلُ ولد المرأة يقال له : زُكْمَةٌ ، والآخِر : عِجْزَةٌ .  
تسفي الرياحُ خلَّاله سَحِيًّا      وَقَدْ سَكَبُوا إِزَارَةً<sup>1</sup>  
فاقتل زُرَّارَةً لا أَرى      في القوم أَفْضَلَ مِنْ زُرَّارَةٍ

[هرب زُرَّارَةٌ وعودته]

فلَمَّا بلغ هذا الشعرُ عمرو بن هند بكى ، حتى فاظت عيناه ، وبلغ الخبرُ زُرَّارَةَ ،  
فَهَرَبَ ، وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهي حُبْلَى فقال : أَذْكَرُّ  
في بطنك أم أنثى ؟ قالت : لا علم لي بذلك ، قال : ما فعل زُرَّارَةُ الغادر الفاجر ؟ فقالت : إن  
كان ما علمتُ لطِيبُ العَرَقِ سمين المَرَقِ ويأكل ما وَجَدَ ، ولا يسأل عَمَّا فَقَدَ ، لا ينام ليلةً  
يَخَافُ ، ولا يشبع ليلةً يُضَافُ . فَبَقِرَ بطنها .

فقال قوم زُرَّارَةَ لَزُرَّارَةَ : ولله ما قتلْتَ أخاه ، فَأَتِ الملك ، فاصدقه الخير ، فَأَتَاهُ زُرَّارَةَ ،  
فأخبره الخبر فقال : جئني بسويد ، فقال : قد لحق بمكَّةَ ، قال : فعليَّ بينه السبعة ، فَأَتَيْ بنيه  
وبأَمَّتْهم بنت زُرَّارَةَ وهم غِلْمَةٌ بعضهم فوق بعض ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أحدهم فضربوا  
عنقه ، وتعلَّقَ بزُرَّارَةَ الآخرون فتناولوهم ، فقال زُرَّارَةَ : يا بعضي دع بعضاً<sup>2</sup> ، فذهبت مثلاً .  
وَقَتَلُوا .

[عمرو ينكل بني نميم]

وَأَلَى عمرو بن هند بأَلِيَّةٍ لِيَحْرِقَنَّ مِنْ بني حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدهم وبعث على  
مقدمته الطائيَّ عمرو بن ثعلبة بن عَتَّابِ بن مِلْقَطِ ، فوجدوا القوم قد نَذَرُوا ، فَأَخَذُوا منهم  
ثمانية وتسعين رجلاً بأسفل أَوَارَةٍ من ناحية البحرين ، فحبسهم ، ولحقه عمرو بن هند ،  
حتى انتهى إلى أَوَارَةٍ ، فَضْرِبَتْ فيه قَبْطُهُ ، فأمر لهم بأخذود فحفر لهم ، ثم أضرمه ناراً ، فلَمَّا  
احتدمت وتلَطَّطَ ، قذف بهم فيها ، فاحترقوا .

[إنَّ الشقي وافد البراجم]

وأقبل راكب من البراجم ، وهم بطن من بني حنظلة ، عند المساء ، ولا يدري بشيء ممَّا  
كان يُوضع له<sup>3</sup> بغيره فأناخ ، فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك ؟ قال : حبُّ الطعام ، قد

1 سَحِيًّا في ل : كشحيه . وسحياً : قشراً .

2 مثل يضرب في تعاطف ذوي الأرحام ، ورد في مجمع الأمثال 410/2 والجمهرة للعسكري 420/2 ، 423  
والمستقصى 405/2 وفصل المقال 209 والأمثال للقاسم بن سلام 139 .

3 الإيضاع : حمل الدواب على العدو السريع .

أَقْوَيْتُ<sup>1</sup> ثَلَاثًا لَمْ أَذُقْ طَعَامًا ، فَلَمَّا سَطَعَ الدَّخَانُ ظَنَنْتُهُ دَخَانَ طَعَامٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ :  
مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ الْبَرَاكِمِ ، قَالَ عَمْرُو : إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَاكِمِ<sup>2</sup> فَذَهَبَ مِثْلًا ، وَرُمِيَ بِهِ  
فِي النَّارِ ، فَهَجَّتِ الْعَرَبُ تَمِيمًا بِذَلِكَ ، فَقَالَ ابْنُ الصَّعْقِ الْعَامِرِيُّ : [مَنْ الْوَافِر]

أَلَا أَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ      بَايَةَ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

[مثل من شجاعة المرأة]

وَأَقَامَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ لَا يَرَى أَحَدًا ، فَقِيلَ لَهُ : أَيَّتَ اللَّعْنِ ! لَوْ تَحَلَّلْتَ بِامْرَأَةٍ مِنْهُمْ ، فَقَدْ  
أَحْرَقَتْ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ رَجُلًا . فَدَعَا بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا  
الْحَمْرَاءُ بِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرِ بْنِ قَطَنَ بْنِ نَهْشَلِ بْنِ دَارِمٍ ، فَقَالَ : إِنِّي لِأُظْنُكَ أُعْجَمِيَّةً ، فَقَالَتْ :  
مَا أَنَا بِأُعْجَمِيَّةٍ وَلَا وَلَدْتُنِي الْعَجَمُ . [مَنْ الرِّجْز]

إِنِّي لِبِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ      سَادَ مَعْدًا كَابِرًا عَنْ كَابِرِ  
إِنِّي لِأَخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ      إِذَا الْبِلَادُ لُفَعَتْ بِجَمْرَةٍ

قَالَ عَمْرُو : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ أَنْ تَلْدِي مِثْلَكَ لَصَرَفْتُكَ عَنِ النَّارِ ، قَالَتْ : أَمَا وَالَّذِي  
أَسْأَلُهُ أَنْ يَضَعَ وَسَادَكَ ، وَيَخْفِضَ عِمَادَكَ ، وَيَسْلِبَكَ مُلْكَكَ ، مَا قَتَلْتُ إِلَّا نِسَاءَ أَعَالِيهَا تُدِيَّ  
وَأَسْفَلَهَا دُمِّي قَالَ : أَقْذِفُوهَا فِي النَّارِ ، فَالْتَفَتَتْ ، فَقَالَتْ : أَلَا فَتَى يَكُونُ مَكَانَ عَجُوزٍ ! فَلَمَّا  
أَبْطَؤُوا عَلَيْهَا قَالَتْ : صَارَ الْفَتَيَانُ حُمَمًا<sup>3</sup> ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا فَأَحْرِقَتْ ، وَكَانَ زَوْجُهَا يَقَالُ لَهُ  
هَوْدَةَ بْنُ جَرُولَ بْنِ نَهْشَلِ بْنِ دَارِمٍ .

[لَقِيطُ يَعْيَرُ بَنِي مَالِك]

فَقَالَ لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ يَعْيَرُ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بِأَخْذٍ مِنْ أَخْذِ مَنْهُمْ الْمَلِكُ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُمْ  
وَنَزُولِهِمْ مَعَهُ :

لَمَنْ دِمْنَةٌ أَقْفَرْتُ بِالْجَنَابِ      إِلَى السَّفْحِ بَيْنَ الْمَلَا فَالْهَضَابِ<sup>4</sup>  
بَكَيْتَ لِعَرْفَانِ آيَاتِهَا      وَهَاجَ لَكَ الشُّوقَ نَعْبُ الْغَرَابِ

1 أقويت : نفذ زادي .

2 مثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة . ويُروى راكب البراجم . ورد في مجمع الأمثال 29/1 والدرر الفاخرة  
259/1 ، 260 والجمهرة 10/1 ، 121 ، 122 والمستقصى 405/1 وفصل المقال 452 .

3 مثل . ورد في مجمع الأمثال 394/1 والمستقصى 137/2 .

4 الجنب ، والسفح والملا والهضاب : مواضع .

فأبلغ لديك بني مالك      مغلغلة وسراة الرباب<sup>1</sup>  
 فإن امرءاً أنتم حوله      تحفون قبتَه بالقياب  
 يهين سراتكم عامداً      ويقتلكم مثل قتل الكلاب  
 فلو كنتم إبلاً أملت      لقد نرعت للمياه العذاب<sup>2</sup>  
 ولكنكم غنم تصطفى      ويترك سائرُها للذئاب  
 لعمر أبيك أبي الخير ما      أردت بقتلهم من صواب  
 ولا نعمة إن خير الملو      لك أفضلهم نعمة في الرقاب

[شعر الطرماح في أواره]

وفيهما يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا : [من البسيط]

واسأل زُرارة والمأمور ما فعلت      قتلى أواره من رعلان واللدد<sup>3</sup>  
 ودارمأ قد قذفنا منهم مائة      في جاجم النار إذ يلقون بالخد<sup>4</sup>  
 ينزون بالمشتوي منها ويوقدها      عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

[زرارة يريد الثار من ابن ملقط]

قال : فحدثني الكلبي عن المفضل الضبي قال : لما حضر زُرارة الموت جمع بنيه وأهل بيته ثم قال : إنه لم يبق لي عند أحد من العرب وتر ، إلا قد أدركته ؛ غير تحضيض الطائي ابن ملقط الملك علينا ، حتى صنع ما صنع ، فأتيكم يضمن لي طلب ذلك من طيء ؟ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : أنا لك بذلك يا عم . ومات زُرارة ، فغزا عمرو بن عمرو جديلة من طيء ، فقاتوهم ، وأصاب ناساً من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن تامة وقال في ذلك شعراً .

[لقيط بن زُرارة يخطب بنت ذي الجدين]

وكان زُرارة بن عدس بن زيد رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط ، ورأى منه خيلاء ونشاطاً ، وجعل يضرب غلمانَه وهو يومئذ شاب . فقال له زُرارة : لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتني بمائة من هجان المنذر بن ماء السماء ، أو نكحت بنت ذي

1 مغلغلة : أي رسالة محمولة من بلد إلى بلد .

2 أملت : وردت ماء ملحاً .

3 رعلان : حصن . واللدد : موضع .

4 جاجم : شديد الاشتعال . الخدد : جمع خدة أي حفرة .



الجدّين بن قيس بن خالد . قال لقيط : لله عليّ ألا يمس رأسي غَسْلٌ ، ولا آكلَ لحمًا ، ولا أشربَ خمرًا ، حتى أجمعهما جميعاً أو أموت . فخرج لقيط ومعه ابن خال له : يقال له : القُراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شيبان ، فسَلّما على ناديمهم ثم قال لقيط : أفیکم قيس بن خالد ذو الجدّين ؟ وكان سيدَ ربيعة يومئذٍ ، قالوا : نعم ، قال : فأَتيَكم هُو ؟ قال قيس : أنا قيسٌ ، فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً ابنتك ، وكانت على قيس يمين ألا يخطبُ إليه أحدٌ ابنته علانية إلاّ أصابه بشرٌ وسمِعَ به ، فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : أنا لقيط بنُ زُرارة بنِ عُدَس بن زید ، قال قيس : عجباً منك يا ذا القُصّة ! هلا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : ولم يا عمّ ؟ فوالله إنك لرُغبة<sup>1</sup> وما بي من نِضاة ، أي ما بي عار ، ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتك لا أفضحك ، فأعجب قيساً كلامه ، وقال : كفاء كريم ؛ إنّي زوّجتُك ومهرتُك مائة ناقة ليس فيها مظائر<sup>2</sup> ولا ناب<sup>3</sup> ولا كزوم<sup>4</sup> ؛ ولا تبيت عندنا غزياً ولا محروماً . ثم أرسل إلى أمّ الجارية : أنّني قد زوّجت لقيطَ بن زُرارة ابنتي القُدور ، فاصنعها واضربي لها ذلك البَلق<sup>5</sup> ، فإن لقيطُ بن زُرارة لا يبيت فينا غزياً . وجلس لقيط يتحدّث معهم ، فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أما الغزو فأردّها للقاح وأهزلّها للجمال ، وأما المقام فأسمنها للجمال ، وأحبّها للنساء . فأعجب ذلك قيساً ، وأمر لقيطاً ، فذهب إلى البَلق فجلس فيه ، وبعثت إليه أمّ الجارية بمجمرة وبخور ، وقالت للجارية : اذهبي بها إليه ، فوالله لئن ردّها ما فيه خير ، ولئن وضعها تحته ما فيه خير ، فلمّا جاءت الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته ثم ردّها عليها ، فلمّا رجعت الجارية إليها ، خبّرتها بما صنع ، فقالت : إنّه لخليقٌ للخير ، فلمّا أمسى لقيط أهديت الجارية إليه . فمآزحها بكلام اشمأزت منه ، فنام وطرح عليه طرفَ خميصة<sup>6</sup> ، وباتت إلى جنبه ، فلمّا استثقل انسَلّت فرجعت إلى أمّها ، فانتبه لقيط ، فلم يرها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل بعيرك<sup>7</sup> وإياك أن يُسمع رُعاؤها .

1 رغبة : يرغب فيك الناس .

2 مظائر : ليست مشرومة الأنف حين تغمى للظلمة .

3 الناب : الناقة المسنة .

4 الكزوم : الناقة ذهبت أسنانها هراً .

5 البلق : الفسطاط .

6 الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

7 البعير يطلق على الناقة أيضاً .

[لقيط يحظى بجوائز المندر وكسرى]

فتوجها إلى المندر بن ماء السماء ، وأصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت ، ولم يدر ما الذي ذهب به . ومضى لقيط ، حتى أتى المندر فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه ، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر ، ثم انصرف لقيط من عند كسرى ، فأتى أباه ، فأخبره خبره .

[لقيط يعود إلى زوجته ثم تميم منه]

وأقام يسيراً ، ثم خرج هو وقراد حتى جاءا محلة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجوا في طلبهم حتى وقعا في الرمل ، فقال لقيط :

انظر قراد وهاتا نظرة جزعا      عرض الشقائق هل بينت أظعانا  
فيهن أترجّة نضخ العبير بها      تكسى ترائبها شذرا ومرجانا<sup>1</sup>

فخرجنا حتى أتيا قيس بن خالد . فجهزها أبوها ، فلما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ، وليكن أكثر طيبك الماء ، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولدت فستلدين لنا غيظاً طويلاً ، واعلمي أن زوجك فارس مضر ، وأنه يوشك أن يقتل أو يموت ، فلا تخمishi عليه وجهاً ولا تحلقي شعراً ، قالت له : أما والله لقد ربيتني صغيرة ، وأقصيتني كبيرة ، وزودتني عند الفراق شراً زاد . وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمر بحي من العرب إلا قالت : يا لقيط ، أهؤلاء قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بني عبد الله بن دارم ، فرأت القباب ، والخيل العراب<sup>2</sup> ، قالت : يا لقيط أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم ، فأقام أياماً يطعم وينحر ، ثم بنى بها ، فأقامت عنده حتى قتل يوم جبلة<sup>3</sup> ، فبعث إليها أبوها أخاً لها فحملت ، فلما ركب بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بني دارم ، أوصيكم بالغرائب خيراً<sup>4</sup> ، فوالله ما رأيت مثل لقيط ، لم تخمish عليه امرأة وجهاً ولم تحلق عليه شعراً ، فلولا أنني غريبة لخمشت وحلقت ، فحبيب الله بين نساءكم ، وعادى بين رعاكم ، فاثنوا عليها خيراً .

1 الأترجة : ثمر شجر من فصيلة الليمون . نضخ : أثر طيب يبقى في الثوب وغيره . شذراً : قطعاً من الذهب .

2 العراب : خلاف البراذين واحدها عربي .

3 يوم جبلة : يوم بين بني عبس وذبيان ابني بغيض .

4 ل : شراً .

[زوجة لقيط في عصمة غيره]

ثم مضت حتى قدمت على أبيها ، فزوجها من قومه ، فجعل زوجها يسميها تذكر لقيطاً ، وتحزن عليه ، فقال لها : أي شيء رأيت من لقيط أحسن في عينك ؟ قالت : خرج يوم دجن وقد تطيب وشرب ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني وبه نضح دماء ، فضمني ضمة ، وشممني شمة ، فليتني ميتة نمة ، فلم أرَ منظرًا كان أحسن من لقيط ، فمكث عنها حتى إذا كان يوم دجن شرب ، وتطيب ، ثم ركب ، فطرد البقر ، ثم أتاها وبه نضح دم والطيب وريح الشراب ، فضمها إليه وقبلها ، ثم قال لها : كيف ترين ؟ أنا أم لقيط فقالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان<sup>1</sup> فذهبت مثلاً ، وصداء : ركية ليس في الأرض ركية أطيب منها ، وقد ذكرها التميمي في شعره :

إنني وتهيامي بزنب كالذي      يُخالس من أحواض صداء مشربا  
يرى دون برد الماء هولاً وذادةً      إذا اشتدَّ صاحوا قبل أن يتحببا<sup>2</sup>  
يقول : قبل أن يروى يقال : تحببتُ من الشراب أي رويتُ ، وبضعت منه أيضاً أي رويت منه ، والتحبُّبُ : الرِّي .

### صوت

[من الطويل]

وكاتبية في الخد بالمسك جعفرًا      بنفسي مخط المسك من حيث أثرًا<sup>3</sup>  
لئن كتبت في الخد سطرًا بكفها      لقد أودعت قلبي من الحب أسطرًا  
فيا من لملوك الملك يمينه      مطيع لها فيما أسر وأظهرها  
ويا من هواها في السريرة جعفرًا      سقى الله من سقيا ثنايك جعفرًا

الشعر لمحبة شاعرة المتوكل ، والغناء لعريب خفيف رمل مطلق .

1 السعدان : أطيب المراعي للإبل . وهنا مثل ويروى كصدي : ورد في مجمع الأمثال 277/2 وفصل المقال 199 ، 201 والجمهرة للعسكري 91/2 ، 241 ، 255 والمستقصى 339/2 وورد مرعى ولا كالسعدان في مجمع الأمثال 225/2 ، 242 ، 275 والمستقصى 344/2 وفصل المقال 199 والقاسم بن سلام 135 ومواطن أخرى .

2 اشتد في ل : شد .

3 المخط : القلم يخط به المسك .

## [ 478 ] - أخبار محبوبة

[محبوبة أجمل من فضل]

كانت محبوبة مؤلدة من مولدات البصرة ، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضلُ الشاعرة اليمامية أن تتقدمها ، وكانت محبوبة أجملَ من فضل وأعف ، ومَلَكها المتوكل وهي بكر ، أهداها له عبدُ الله بنُ طاهر ، وبقيت بعده مدة ، فما طمع فيها أحد ، وكانت أيضاً تغني غناءً ليس بالفاخر البارِع .

[حاضرة البديهة]

أخبرني بذلك جحظة عن أحمد بن حمدون . وأخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني علي بن يحيى المنجم : كان علي بنُ الجهم يُقرب من أنس المتوكل جداً ، ولا يكتمه شيئاً من سرّه مع حرمة وأحاديث خلواته ، فقال له يوماً : إنني دخلت على قبيحة ، فوجدتها قد كتبت اسمي على خدّها بغالية<sup>1</sup> ؛ فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدّ ، فقل في هذا شيئاً . قال : وكانت محبوبة حاضرة للكلام من وراء الستّر ، وكان عبد الله بن طاهر أهداها في جملة أربعمئة وصيفة إلى المتوكل ، قال : فدعا علي بن الجهم بدواة ، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكّر ، قالت محبوبة على البديهة من غير فكرٍ ولا رويّة :

وكاتبته بالمسك في الخدّ جعفرًا	بنفسي مخطّ المسك من حيث أثرا
لئن كتبت في الخدّ سطرًا بكفّها	لقد أودعت قلبي من الحبّ أسطرا
فيا مَنْ لملوك لِمَلِك يمينه	مطيع له فيما أسرّ وأظهرها
ويا مَنْ منها في السريرة جعفرُ	سقى الله من سقيا ثناياك جعفرًا

قال : وبقي علي بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف . وأمر المتوكل بالآيات ، فبعث بها إلى عريب وأمر أن تغني فيها ، قال علي بن يحيى ، قال علي بن الجهم بعد ذلك : تحيّرتُ والله ، وتقلّبتُ خواطري ، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله .

[شعرها في تفاحة]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني ابن خرداذبه قال حدثني علي بنُ الجهم : قال :

1 الغالية : أخلاط من طيب .

كنتُ يوماً عند المتوكل وهو يشربُ ونحن بين يديه ، فدفع إلى محبوبة تُفاحة مغلّفة فقبّلتها ، وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرب ، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة ، فدفعتها إلى المتوكل فقرأها ، وضحك ضحكاً شديداً ، ثم رمى بها إلينا ، فقرأناها وإذا فيها :

يا طيبَ تُفاحة خلوتُ بها	تُشعل نارَ الهوى على كِبدي
أبكي إليها وأشتكي دَنفي	وما الأقي من شدّة الكمدِ
لو أن تُفاحةً بكت لبكت	من رحمتي هذه التي بيدي
إن كنتِ لا ترحمين ما لقيتُ	نفسي من الجهدِ فارحني جسدي

قال : فوالله ما بقي أحد إلا استظرفها ، واستملحها ، وأمر المتوكل فغني في هذا الشعر صوتُ شربٍ عليه بقيّة يومه .

[وفاؤها للمتوكل بعد موته]

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم : أن جوارِيَ المتوكل تفرّقن بعد قتله ، فصار إلى وصيف عدّة منهنّ ، وأخذ محبوبة فيمن أخذ ، فاصطبَح يوماً وأمر بإحضار جوارِيَ المتوكل ، فأحضرن ، عليهنّ الثياب الملونة ، والمذهبة والحليّ ، وقد تزينّ وتعطرُن إلا محبوبة فإنّها جاءت مرّهاء<sup>1</sup> متسلّبة<sup>2</sup> ، عليها ثيابُ بياضٍ غير فاخرة ، حزناً على المتوكل . فغنيّ الجوّاري جميعاً ، وشربن وطربَ وصيفٌ وشرب ، ثم قال لها : يا محبوبة غنيّ فأخذت العود ، وغنّت وهي تبكي ، وتقول :

[من مجزوء الخفيف]

أيُّ عيشٍ يطيبُ لي	لا أرى فيه جعفراً
ملكاً قد رآته عَيِّ	سني قتيلاً معفراً <sup>3</sup>
كلُّ مَنْ كان ذا هُيا	مٍ وحزنٍ فقد برا <sup>4</sup>
غير محبوبَةٍ التي	لو ترى الموت يُشتري
لاشترته بملكها	كلُّ هذا لتُقبِرا

1 مرهاء : غير مكتملة .

2 متسلّبة : لابسَة ثياب الحداد .

3 معفراً : ممروغاً في التراب أو مضروباً به الأرض .

4 برا : تخفيف من برا ، أي شفي من المرض .

إِنْ مَوْتَ الكَيْبِ أَصْدَ لَحْ مِنْ أَنْ يَعْمَرَ

فاشتد ذلك على وصيف ، وهمم بقتلها . وكان بغا حاضرا ، فاستوهبها منه ، فوهبها له ، فأعتقها ، وأمر بإخراجها ، وأن تكون بحيث تختار من البلاد ، فخرجت من سر من رأى إلى بغداد ، وأخملت ذكرها طول عمرها .

خصام وصلح في المنام ؛ ثم في اليقظة [

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدثني ملاوي الهيمى قال : قال لي علي بن الجهم : كانت محبوبة أهديت إلى المتوكل ، أهداها إليه عبد الله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية ، وكانت بارعة الحسن والظرف والأدب مغنية محسنة ، فحظيت عند المتوكل ، حتى إنه كان يجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب ، فيدخل رأسه إليها ، ويحدثها ، ويراه في كل ساعة . فغاضبها يوماً ، وهجرها ومنع جواريه جميعاً من كلامها ثم نازعته نفسه إليها ، وأراد ذلك ، ثم منعه العزة ، وامتنعت من ابتدائه إذلالاً عليه بمحلها منه . قال علي بن الجهم : فبكرت إليه يوماً فقال لي : إني رأيت البارحة محبوبة في نومي كأنني قد صالحتها ، فقلت : أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ، وأناملك على خير ، وأيقظك على سرور ، وأرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة ، فبينما هو يحدثني وأجيبه إذا بوصيفة قد جاءت ، فأسرت إليه شيئاً ، فقال لي : أتدري ما أسرت هذه إلي ؟ قلت : لا ، قال : حدثني أنها اجتازت بمحبة الساعة وهي في حجرها تغني ، أفلا تعجب من هذا ؟ إني مغاضبها ، وهي متهاونة بذلك ، لا تبدؤني بصلح ، ثم لا ترضى حتى تغني في حجرتها ، قم بنا يا علي حتى نسمع ما تغني . ثم قام ، وتبعته ، حتى انتهى إلى حجرتها فإذا هي تغني وتقول :

أدور في القصر لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يكلمني  
حتى كأنني ركبُ معصية ليست لها توبة تُخلصني  
فهل لنا شافعٌ إلى ملكٍ قد زارني في الكرى فصالحني  
حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا عاد إلى هجره فصارمني

فطرب المتوكل ، وأحسنت بمكانه . فأمرت خدَمها ، فخرجوا إليه ، وتنحنينا وخرجت إليه ، فحدثته أنها رأتَه في منامها ، وقد صالحها ، فانتبهت ، وقالت هذه الأبيات ، وغنت فيها . فحدثها هو أيضاً بروياه ، واصطلحا ، وبعث إلى كل واحد منّا بجائزة وخيلة .

ولما قُتل تسلى عنه جميع جواريه غيرها ، فإنها لم تزل حزينة متسلية هاجرة لكل لذة حتى ماتت . ولها فيه مراثٍ كثيرة .

## صوت

[من البسيط]

يا ذا الذي بعذابي ظلّ مفتخراً      هل أنت إلاّ مليكٌ جارٍ إذ قدّرا  
لولا الهوى لتجازينا على قدَرٍ      وإن أُفِقَ منه يوماً ما فسوف تَرى  
الشعر يقال إنّه للوائق ، قاله في خادم له غضب عليه ، ويقال : إنّ أبا حفص الشّطرنجي  
قاله له .

والغناء لعبيدة الطنبوريّة رمّل مطلق ، وفيه لحن للوائق آخر ، قد ذكر في غنائه .

## [ 479 ] - أخبار عبيدة الطنبورية

[نشأتها]

كانت عُبَيْدَةُ من المحسِنات المتقدِّمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إِسْحاقُ وحسبُها بشهادته . وكان أَبُو حَشِيشَةَ<sup>1</sup> ، يعظِّمُها ، ويعترف لها بالرياسة والأستاذية ، وكانت من أحسن النَّاسِ وجهاً ، وأطيبهم صوتاً . ذكرها جحظة في كتاب الطُّنْبُورِيِّين والطُّنْبُورِيَّاتِ ، وقرأتُ عليه خبرها فيه فقال : كانت من المحسِنات ، وكانت لا تخلو من عِشْقٍ ، ولم يُعرف في الدُّنْيَا امرأةٌ أعظمُ منها في الطنبور ، وكانت لها صنعةٌ عجبية ، فمنها في الرَّمْلِ :

كن لي شفيعاً إليكا      إن خفَّ ذاك عليك  
وأعفني من سؤالي      سواك ما في يديكا  
يا مَنْ أُعِزُّ وأهوى      مالي أهونُ عليك ؟

[تغنى بحضرة إِسْحاق وهي لا تعرفه]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حماد بن إِسْحاق قال : قال ، لي علي بن الهيثم اليزيديّ : كان أبو محمد ، يعني أبي رحمة الله إِسْحاق بن إبراهيم الموصليّ ، يألُفني ويدعوني ، ويعاشرُني ، فجاء يوماً إلى أبي الحسن إِسْحاق بن إبراهيم فلم يصادفه ، فرجع ومرَّ بي ، وأنا مشرف من جناح لي ، فوقف وسلَّم عليّ . وأخبرني بقصته ، وقال : هل تنشطُ اليومَ للمسير إليّ ؟ فقلت له : ما على الأرض شيء أحبَّ إليّ من ذلك ، ولكنِّي أُخبرُك بقصَّتِي ، ولا أكرمُك . فقال : هايتها ، فقلت : عندي اليوم محمد بن عمرو بن مسعدة وهارون بن أحمد بن هشام ، وقد دعونا عُبَيْدَةَ الطُّنْبُورِيَّةَ ، وهي حاضرة ، والساعة يجيء الرجالان ، فامض في حفظ الله ، فإنِّي أجلسُ معهم حتى تنتظمُ أمورهم ، وأروح إليك ، فقال لي : فهلاً عرضتُ عليّ المُقام عندك ؟ فقلت له : لو علمتُ أن ذلك ممَّا تنشطُ له والله لرغبتُ إليك فيه ، فإن تفضَّلْتَ بذلك كان أعظمَ لِمَنَّتِكَ ، فقال : أفعلُ ، فإنِّي قد كنت أشتهي أن أسمع عُبَيْدَةَ ، ولكن لي عليك شريطةٌ ، قلت : هايتها ، قال : إنها إن عرفنتي وسألتُموني أن أُعْني بحضرتها لم يَخَفْ عليها أمرِي وانقطعتُ فلم تصنع شيئاً ، فدعوها على جِلَّتِها ، فقلت : أفعلُ

1 أبو حشيشة : محمد بن علي بن أبي أمية كان نديم الخلفاء ، وله كتاب في الطنبوريين .



ما أمرت به ، فنزل وردّ دابته وعرفتُ صاحبيّ ما جرى ، فكتماها أمره وأكلنا ما حضر ،  
وقدّم الببّيد ، فغنّت لحناً لها تقول :

قريبٌ غيرُ مقتربٍ ومؤتلفٌ كمجتنبٍ  
له ودّي ولي منه دواعي الهَمّ والكُربِ  
أواصله على سببٍ ويهجرني بلا سببٍ  
ويظلمني على ثقةٍ بأنّ إليه مُتقلّبي

فطرب إسحاق ، وشرب نصفاً ، ثم غنّت وشرب نصفاً ، ولم يزل كذلك حتى والى  
بين عشرة أنصاف ، وشربناها معه ؛ وقام ليصليّ ، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام :  
ويحك يا عبيدة ! ما تبالين والله متى متّ ، قالت : ولم ؟ قال : أتدريّن من المستحسنُ  
غناءك والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله ، قال : إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فلا  
تعرفيه أنك قد عرفته . فلما جاء إسحاق ابتدأتُ تغنيّ ، فلحققتها هيبةً له ، واختلاط ،  
فنقصتُ نقصاناً بيّناً ، فقال لنا : أعرفتموها من أنا ؟ فقلنا له : نعم ، عرفها إيّاك  
هارون بن أحمد ، فقال إسحاق : نقوم إذا ، فنصرف ، فإنه لا خيرَ في عشرتكم الليلة ولا  
فائدة لي ولا لكم ، فقام فانصرف .

حدّثني بهذا الخبر جحظة عن جماعة منهم العباس بن أبي العنّيس ، فذكر مثله وقال  
فيه : إنّ الصوت الذي غنّته :

يا ذا الذي بعذابني ظلّ مفتخراً

[المسدود يأبى أن يغنيّ قبلها]

حدّثني جحظة قال : حدّثني محمد بن سعيد الحاجب قال : حدّثني ملاحظٌ غلام أبي  
العبّاس بن الرشيد . وكان في خدمة سعيد الحاجب ، قال : اجتمع الطنبوريّون عند أبي  
العبّاس بن الرشيد يوماً ، وفيهم المسدود وعبيدة ، فقالوا للمسدود : غنّ ، فقال : لا  
والله ، لا تقدّمتُ ، عبيدة ، وهي الأستاذة ، فما غنّي حتى غنّت .

[لم تدخل عليه بعد أن تزوّج]

وحدّثني جحظة ، قال : حدّثني شرائح الخزاعيّ صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر  
وساباط شرائح مشهور قال : كانت عبيدة تعشقني فتزوّجتُ فمرّت بي يوماً فسألتهما الدُخولَ  
إليّ فقالت يا كشخان<sup>1</sup> ، كيف أدخل إليك وقد أقعدت في بيتك صاحب مصلحة ! ولم تدخل .

[ما كتب على طنبورها]

وحدثني جحظة قال : وهب لي جعفر بن المأمون طنبورها فإذا عليه مكتوب  
بأنوس :

كل شيء سوى الخيانة في الحب يُحتمل

[لا تردّد لاس]

وحدثني جحظة وجعفر بن قدامة ، وخبر جعفر أتم ، إلا أنني قرأته على جحظة ،  
فعرفه ، وذكر لي أنه سَمِعَهُ ، قالاً جميعاً : حدثنا أحمد بن الطيّب السرخسي قال : كان  
علي بن أحمد بن بسطام المروزي ، وهو ابن بنت شبيب بن واج ، وشبيب أحد النفر الذي  
سترهم المنصور خلف قَبْتِهِ يوم قتل أبا مُسلم ؛ وقال لهم : إذا صَفَقْتُ فانخرجوا فاضربوه  
بسيوفكم . ففعل وفعلوا ، فكان علي بن أحمد هذا يتعشّق عُبَيْدَةَ الطُّنبورية وهو شابٌّ  
وأنفقَ عليها مالاَ جليلاً ، فكتبْتُ إليه أسأله عن خبرها ومَن هي ؟ ومن أين خرجت ؟  
فكتب إليّ : كانت عُبَيْدَةُ بنتَ رجل يقال له صباح مولى أبي السمرء الغساني ، نديم عبد  
الله بن طاهر ، وأبو السمرء أحدُ العِدَّة الذين وصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد لكلِّ  
رجل منهم مائة ألف دينار ، وكان الزبيدي الطنبوري أخو نظم العمياء ، يختلف إلى أبي  
السمرء ، وكان صباح صاحب أبي السمرء ، فكان الزبيدي إذا سار إلى أبي السمرء فلم  
يصادفه أقام عند صباح والد عُبَيْدَةَ وبات ، وشرب ، وغنّى وإنس ، وكان لعُبَيْدَةَ صوت  
حسن وطبع جيّد ، فسمعت غناء الزبيدي ، فوقع في قلبها واشتهته ، وسمع الزبيدي  
صوتها ، وعرفَ طبعها فعلمها ، وواظبَ عليها ، ومات أبوها ، ورقتَ حالها ، وقد  
حَذَقَتِ الغناء على الطنبور ، فخرجت تغني ، وتقعن باليسير ، وكانت مليحة مقبولة خفيفة  
الروح ، فلم يزل أمرها يزيد ، حتى تقدّمت وكُبرَ حظُّها ، واشتهاها الناس . وحلّت  
تَكَنُّها ، وسمحت ، ورغب فيها الفتيان ، فكان أولُ مَنْ تعشّقها علي بن الفرج الرّحجيّ  
أخو عمر ، وكان حسنَ الوجه كثيرَ المال ، فكنّت أراها عنده ، وكنا نتعاشر على  
الفروسيّة ، ثم ولدت من علي بن الفرج بنتاً ، فحَجَّجَها لأجل ذلك ، فكانت تحتال في  
الأوقات بعلّة الحمّام وغيره ، فتلُمُ بمن كانت تودّه ويودّها ، فكنّت ممّن تلُمُ به ، وأنا  
حينئذٍ شابٌّ قد ورثتُ عن أبي مالاَ عظيماً وضياعاً جليلاً ، ثم ماتت بنتها من علي بن  
الفرج ، وصادفَ ذلك نكبتهم واختلالَ حال علي بن الفرج ، فطلّقها فخرجت ، فكانت  
تخرج بدينارين للنهار ودينارين لليل ، واعتزّت<sup>1</sup> بأبي السمرء ، ونزلت في بعضِ دوره .

1 اعتزّت بفلان : اعترضت للمعروف .

وتزوّجت أمّها بوكيل له ، فتعشّقت غلاماً من آل حمزة بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد ، وكان يغني بالمعرفة غناء مليحاً ، وكان حسن الوجه ، لا عيب في جماله إلاّ أنّه كان متغيّر النكهة ، وكانت شديدة الغلّة لا تحرم أحداً ولا تكرهه ، من حدّ الكهول إلى الطفل ، حتى تعلّقت شاباً يعرفُ بأبي كرب بن أبي الخطّاب ، مشروط الوجه أفسط قبيحاً شديد الأذمة ، فقيل لها : أيّ شيء رأيت في أبي كرب ؟ فقالت : قد تمتعت بكلّ جنس من الرّجال إلاّ السودان ، فإنّ نفسي تبشعهم ، وهذا بين الأسود والأبيض ، وبينه فارغ لما أريد ، وهو صفعاني<sup>1</sup> إذا أردت ووكيلي إذا أردت . قال : وكان لها غلام يضرب عليها يقال له عليّ ويلقب ظئر عبيدة ، فكانت إذا خلت في البيت وشبّقت اعتمدت عليه ، وقالت : هو بمنزلة بغل الطحّان يصلح للحمل والطحن والركوب .

وكان عمرو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنيهم مع جواريه ، وإنّما عرفها من داري ، لأنّه بعث يدعوني ، فدخل غلامه ، فرآها عندي ، فوصفها له فكتب إليّ يسألني أن أجيئه بها معي . ففعلتُ ، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحرث بن جمعة والحسن بن سليمان البرقيّ وهارون بن أحمد بن هشام ، فعدّلوا كلّهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه ، ومال إليها جواريه ، وما خرجت إلاّ وقد عقدت بين الجماعة مودة ، وكان جواريه عمرو بن بانة يشتنّ إليها ، فيسألنّه أن يدعوها ، فيقول لهنّ : ابعثن إلى عليّ حتى يبعث بها إليكنّ ، فإنّه يميل إليها ، وهو صديقي وأخشى أن يظنّ أنّي قد أفسدتها عليه ، ولم يكن به هذا إنّما كان به الدّيناران اللذان يريد أن يحدرها بهما ، وكان عمرو من أبخل النّاس ، وكان صوتُ إسحاق بن إبراهيم عليها : [من البسيط]

يا ذا الذي بعذابني ظلّ مفتخراً

وكان صوتُ علّويه ومُخارق عليها :

[من مجزوء الوافر]

قريبٌ غير مقترّب

وهذان الصوتان جميعاً من صنعتهما .

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها ، ويمنع نفسه ذلك لتيهه ولبرمكته وتوقيه أن يبلغ المعصم عنه شيء يعيبه ، وماتت عبيدة من نزف أصابها ، فأفرط حتى أتلّفها .

[إسحاق يحبها حبة ويرثيها ميتة]

وفي عبيدة يقول بعضُ الشعراء ، ومن الناس مَنْ ينسبه إلى إسحاق :  
 [من البسيط]  
 أمست عبيدة في الإحسانِ واحدةً      فاللهُ جارٌ لها من كلِّ محذورٍ  
 من أحسنِ الناسِ وجهاً حين تُبصرُها      وأحذقِ الناسِ إن غنت بطنبورٍ  
 أخبرني جعفرُ بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعي قال : سمعت  
 إسحاق يقول : الطنبور إذا تجاوز عبيدة هذيان .

### صوت

[من السريع]

سَقِمْتُ حتَّى ملَّني العائدُ      وذبتُ حتَّى شِمتَ الحاسدُ  
 وكنتُ خِلواً من رسيسِ الهوى      حتَّى رماني طرفُك الصائدُ  
 الشعر فيما أخبرني به لحظة لخالد الكاتب ووجدته في شعر محمد بن أمية له ، والغناء  
 لأحمد بن صدقة الطنبوري ، رمل مطلق .  
 وقد مضت أخبارُ خالده الكاتب ومحمد بن أمية ونذكر هاهنا أخبارَ أحمد بن صدقة .

## [480] - أخبار أحمد بن صدقة

[اسمه ونسبه ونشأته]

هو أحمد بن صدقة بن أبي صدقة ، وكان أبوه حجازياً مغنياً ، قدم على الرشيد ، وغنى له ، وقد ذكرت أخباره في صدر هذا الكتاب .

وكان أحمد بن صدقة طنبورياً محسناً مقدماً حاذقاً حسن الغناء مُحكم الصنعة ، وله غناء كثير من الأرمال والأهازج وما جرى مجراها من غناء الطنبوريين ، وكان ينزل الشام ، فوصف للمتوكل ، فأمر بإحضاره ، فقدم عليه وغناه ، فاستحسن غناؤه ، وأجزل صلته ، واشتهاه الناس وكثر من يدعوه ، فكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافاً .

[جحلة يشيد به]

أخبرني بذلك جحلة وقال : كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكر منها الصوت المتقدم ذكره ووصفه وقرظه ، وذكر بعده هذا الصوت :

وشادن ينطق بالظرفِ حُسْنُ حبيبي منتهى الوصفِ  
 هام فوادي وجرت عبرتي لا بعد الإلف من الإلفِ  
 قال : وهو رمل مطلق ، ولو حلفت أنهما ليسا عند أحد من مغني زماننا إلا عند واحد ما  
 حنثت ، يعني نفسه .  
 [خبره مع خالد بن يزيد]

حدثني محمد بن يزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثني أحمد بن صدقة قال : اجتزت بخالد بن يزيد الكاتب ، فقلت له : أنشدني بيتين من شعرك حتى أغني فيهما . قال : وأي حظ لي في ذلك ؟ تأخذ أنت الجائزة وأحصل أنا الإثم !  
 فحلفت له أنني إن أفدت بشعرك فائدة جعلت لك فيها حظاً ، أو أذكرت به الخليفة ، وسألته فيك ، فقال : أما الحظ من جهتك فأنت أنزل من ذلك ، ولكن عسى أن تفلح في مسألة الخليفة ، ثم أنشدني :

تقول سلا فمن المذنبُ ومن عينه أبداً تدرفُ ؟  
 ومن قلبه قلق خافقُ عليك وأحشاؤه ترجفُ ؟

فلما جلس المأمون للشرب دعاني ، وقد كان غضب على حظي له ، فحضرت مع المغنين ، فلما طابت نفسه وجهت إليه بتفاحة من عنبر ، عليها مكتوب بالذهب : يا

سيدي ، سلوت . وعلم الله أنني ما عرفتُ شيئاً من الخير .  
[غضب المأمون]

وانتهى الدور إليّ ، فغَنَيْتُ البيتين ، فاحمرَّ وجه المأمون ، وانقلبت عيناه وقال لي : يا ابن الفاعلة ، ألك عليّ وعلى حرمي صاحب خبر ! فوثبت ، وقلت : يا سيدي ما السبب ؟ . فقال لي : من أين عرفتَ قصّتي مع جاريتي ؟ فغَنَيْتَ في معنى ما بيننا ، فحلفتُ له أنني لا أعرف شيئاً من ذلك ، وحدثته حديثي مع خالد ، فلمّا انتهيتُ إلى قوله ، «أنتَ أنزلُ من ذلك» ضحك ، وقال : صدق ، وإن هذا الاتفاق ظريف ، ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد مثلها .  
[دخوله على المأمون في يوم السعائين]

أخبرني محمد قال : حدّثنا حمّاد قال : حدّثني أحمدُ بنُ صدقة قال : دخلت على المأمون في يوم السعائين<sup>1</sup> ، وبين يديه عشرون وصيفة ، جلباً روميّات مزّنات<sup>2</sup> ، قد تزيّن بالديّاج الروميّ ، وعلّقن في أعناقهنّ صُلبانَ الذهب ، وفي أيديهنّ الخوص والزيتون ، فقال لي المأمون : ويلك يا أحمد ! قد قلتُ في هؤلاء أبياتاً فغنّني فيها .  
ثم أنشدني قوله :

[من الهزج]

طبّاء كاللدنانير	مِلاحٌ في المقاصير
جَلَاهُنَّ السّعائينُ	علينا في الزنانير
وقد زَرَفْنَ أَصداغاً	كأَذبابِ الزرازير
وأقبلنَ بأوساطٍ	كأوساطِ الزنانير

فحفظتها ، وغنّيتها فيها ، فلم يزل يشرب ، وترقّص الوصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند<sup>3</sup> ، إلى الإيلا حتى سكر ، فأمر لي بألف دينار ، وأمر بأن يُنثرَ على الجوّاري ثلاثة آلاف دينار ، فقبضت الألف ، ونُثرت الثلاثة الآلاف عليهنّ ، فانتبهتُها معهنّ .  
[يغضب فيسترضيه الفضل]

حدّثني جحظة قال حدّثني جعفر بن المأمون قال : اجتمعنا عند الفضل بن العباس بن المأمون ، ومعنا المسدود ، وأحمد بن صدقة ، وكان أحمد قد حلّق في ذلك اليوم رأسه ، فاستعجلوا بسلافة كانت لهم ، فأخذ المسدود سُكْرَجَةً<sup>4</sup> خردل ، فصبّها على رأس أحمد بن

1 يوم السّعائين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع .

2 مزّنات : لابسات الزنار وهو خاص بالنصارى ، والمجوس يتزيّنون به .

3 الدستبند : الرقص مع التماسك بالأيدي في حلقات وهو معرّب .

4 سكرجة : صحفة للطعام .

صدقة وقال : كلوا هذه حتى تجيء تلك . فحلف أحمد بالطلاق ألا يقيم ، فانصرف . ولما كان من غد جمعهما الفضل بن العباس ، فتقدم المسدود ، ودخل أحمد وطُبور المسدود موضوع ، فجسه ، ثم قال : مَنْ كان يسبح في هذا الماء ؟ فما انتفعنا بالمسدود سائر يومه ، على أن الفضل قد خلع عليهما ، وحملهما .  
[نهائيه على أيدي الأعراب]

ولم يزل أحمد مقيماً ، حتى بلغه موت بُنية له بالشام ، فشخص نحو منزله ، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه .  
[كان أبخر]

قال جحظة : وقال بعض الشعراء يهجو أحمد بن صدقة وكانت له صديقة فقطعته فعيّره بذلك ونسبها إلى أنها هربت منه لأنه أبخر :

هربت صديقة أحمد      هربت من الرّيق الرّدي  
هربت فإن عادت إلى      طُبورهِ فاقطعْ يدي

### صوت

[من الطويل]

ألم تعلموا أنّي تُخاف عَرامتي      وأنّ قَناتي لا تَليْنُ على القَسْرِ  
وإنّي وإياكم كَمَن نَبّه القَطَا      ولو لم تُنبّه باتت الطيرُ لا تُسْري  
أناةً وحلماً وانتظاراً بكم غداً      فما أنا بالواني ولا الضَّرْعُ الغُمْرِ<sup>1</sup>  
أظنُّ صرُوفَ الدَّهرِ والجهلِ منكم      ستحملكم مني على مَرَكَبٍ وَعَرٍ

الشعر للحارث بن وُعلة الجَرَمي ، والغناء لابن جامع ثَقِيل بالبَصْر عن عمرو ، وفيه لسيّاط لحن ذكره إبراهيم ولم يَجْنِسْهُ ، وقيل إنّ الشعر لوعلة نفسه .

1 الضَّرْع : الجبان . والغُمْر : الغبي ، والذي لا يجرب الأمور .

## [ 481 ] - أخبار الحارث بن وعله

[نسبه]

الحارث بن وعله بن عبد الله بن الحارث بن بلع بن سبيلة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن جرم بن زيان ، وهو علاف<sup>1</sup> ، وإليه تنسب الرّحال العلافيّة ، وهو أوّل من اتخذها ، بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وقد ذكرت متقدّماً الاختلاف في قضاعة ، ومن نسبه معدّياً ، ومن نسبه جَمِيرِيّاً .

والرّحال العلافيّة<sup>1</sup> مشهورة عند الناس ، قد ذكرتها الشعراء في أشعارها ، قال ذو الرّمة :

وليل كجلباب العروس أدّرعته بأربعة والشخص في العين واحد  
أحمّ علافيّ وأبيض صارم وأعيس مهريّ وأروغ ماجد

وكان وعله الجرّميّ وابنه الحارث من فرسان قضاعة وأنجاده وأعلامها وشعرائها ، وشهد وعله الكلاب الثاني<sup>2</sup> ، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المنقريّ ، وطلبه ، ففاته ركضاً وعدواً ، وخبره يذكر بعد هذا في موضعه إن شاء الله تعالى .

[ابن الأشعث وعبد الملك يتملان بشعره وشعر أبيه]

فأخبرني عمّي قال : حدّثني الكُرانيّ ، قال : حدّثنا العمريّ عن العُتيبيّ قال : كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجاج مبتدئاً : أمّا بعد ، فإن مثلي ومثلك كما قال القائل :

سائل مجاور جرّم هل جنيت لها حرباً تفرّق بين الجيرة الخلط ؟  
أم هل دلفت بجرار له لجبّ يعشى الأماعيز بين السهل والفرط ؟<sup>3</sup>

والشعر لوعله الجرّميّ ، هذا مثلي ومثلك ، فسأحملك على أصعبه ، وأريحك من مركبه .

1 علاف : رجل من الأزديّ وهو زيان أبو جرم من قضاعة .

2 الكلاب : ماء بين جبلة وشمام وللعرب يومان فيه : الكلاب الأول والكلاب الثاني وثانيهما لتمييم على مذبح .

3 الفرط : واحد الأفراط : وهي آكام شبيهات بالجمال .



فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه جوابه : أما بعد ؛ فإنني قد أجبت عدوَّ الرحمن بلا حول ولا قوة إلا بالله ، ولعمري الله لقد صدق ، وخلع سلطان الله يمينه ، وطاعته بشماله ، وخرج من الدين غريباً ، كما ولدته أمه .

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدع جوابه بشعر فقال : وعلى أن مثلي ومثله ما قال الآخر :

أنساءً وحلماً وانتظاراً بكم غداً      فما أنا بألواني ولا الضرع الغمر

أظنَّ صروفَ الدهرِ والجهلَ منهم      ستحميهم مني على مركبٍ وغرٍ

فليت شعري أسما عدوَّ الرحمن لدعائم دين الله يهدمها ؟ أم رام الخلافة أن ينالها ؟ وأوشك أن يوهن الله شوكته ، فاستعن بالله ، واعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

قال مؤلف هذا الكتاب : الشعر الذي تمثل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلة الجرمي ، والشعر الذي تمثل به عبد الملك لابنه الحارث بن ولة .  
[يخذه قومه وينصره آخرون.]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال : حدثني طلحة بن عبد الله الطَّلحي ، عن أحمد بن إبراهيم ، عن أبي عبيدة قال : قتلْتُ نَهْدَ أخا ولة الجرمي ، فاستعان بقومه ، فلم يعينوه ، فاستعان بخلفاء [من] بني نمر ، وكانوا له حلفاء وإخواناً ، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك :

سائلٌ مُجاوِرَ جَرمٍ هل جنيتُ لها      حرباً تُزِيلُ بينَ الجيرةِ الخلطَ<sup>1</sup>

أم هل علوتُ بجِرَّارٍ له كَجَبٍّ      يغشى المخارمَ بينَ السهلِ والفرطِ<sup>2</sup>

حتى تركتُ نساءَ الحيِّ ضاحيةً      في ساحةِ الدَّارِ يستوقِدْنَ بالغُبطِ<sup>3</sup>

[يفر من قيس بن عاصم عند غزوه لليمن]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا الرياشي قال : خرج رجل من بني تميم ، يقال إنه قيس بن عاصم قال الرياشي : وحق أبو عبيدة أنه قيس ، يوم الكلاب ، يلتمس أن يصيب رجلاً من ملوك اليمن له فداء ، فبينا هو في ذلك إذ أدرك وعلة

1 الخلط : خليط وهم القوم الذين أمرهم واحد .

2 المخارم : جمع مخرم وهو أفواه الفجاج .

3 ضاحية : بارزة .

الجَرْمِيَّ ، وعليه مقطعات له فقال له : على يمينك ، قال : على يساري أقصدُ لي ، قال : هيهات منك اليمن ، قال : العراقُ مني أبعد ، قال : إنك لن ترى أهلك العام ، ولا أهلك تراهم ، وجعل وعلّة يركضُ فرسه ، فإذا ظنَّ أنها قد أُعيت وثب عنها ، فعدا معها ، وصاح بها ، فتجري وهو يُجارِها ، فإذا أعيا وثب فركبها ، حتى نجا . فسأل عنه قيس ، فعرف أنه وعلّة الجرمي ، فانصرف وتركه ، فقال وعلّة في ذلك : [من الطويل]

فَدَى لَكَمَا رَحِلِي أُمِّي وَخَالْتِي      غَدَاةَ الْكَلَابِ إِذْ تُحَزُّ الدَّوَابِرُ  
نَجَوْتُ نَجَاءَ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ      كَأَنِّي عِقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنٍ كَاسِيرٍ<sup>1</sup>  
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مُقَاعِسًا      تَنَازَعَنِي مِنْ ثُغْرَةِ النَّحْرِ جَائِرُ  
فَإِنْ أَسْتَطَعْ لَا تَلْتَبِسْ بِي مُقَاعَسٌ      وَلَا يَرْنِي مِيدَانَهُمُ وَالْمَحَاضِرُ  
وَلَا تَكُ لِي جَرَّارَةٌ مُضْرِيَّةٌ      إِذَا مَا غَدَتِ قَوْتَ الْعِيَالِ تُبَادِرُ

أما قوله : «تحزّ الدواب» فإنّ أهل اليمن لما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه : لا تشتغلوا بأسرهم فيفوتكم أكثرهم ، ولكن اتبعوا المنهزمين ، فجزّوا أعصابهم من أعقابهم ودعّوهم في مواضعهم ، فإذا لم يبق أحد رجعتهم إليهم ، فأخذتموهم . ففعلوا ذلك ، وأهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم : اليزيدون ، وهم يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن هَوْبَر ، ويزيد بن المأمور ويزيد بن مخزّم . هؤلاء الأربعة اليزيدون ، والخامس عبد يغوث بن وقاص ، فقتل اليزيدون أربعتهم في الواقعة ، وأسير عبد يغوث بن وقاص ، فقتلته الرّباب برجل منها ، وقد ذكّر خبر مقتله متقدماً في صوت يغنى فيه وهو :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بَيَا

وأما قوله : [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مُقَاعِسًا

فإنّ بني تميم لما التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمة يا آل كعب ! فتنادى أهل اليمن : يا آل كعب ! فتنادوا : يا آل الحارث ! فتنادى أهل اليمن ! يا آل الحارث ! فتنادوا : يا آل مقاعس ! وتميّزوا بها من أهل اليمن .

## صوت

[من البسيط]

والله لا نظرتُ عيني إليك ولو      سالت مَسَارُهَا شوقاً إليك دَمَا  
 إن كنتُ خنتُ ولم أضمرْ خيانتكم      فالله يأخذُ مِنَّ خَانَ أَوْ ظَلَمَا  
 سماجةً مُحِبُّ خَانَ صَاحِبَهُ      ما خَانَ قَطُّ مُحِبُّ يَعْرِفُ الْكَرَمَا  
 الشعر لعليّ بن عبد الله الجعفريّ ، والغناء للقاسم بن زُرزور ، ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُقٍ  
 ابتداؤه نشيد ، وكان إبراهيم بن أبي العَنَبَسِ يذكرُ أنّه لأُبيهِ .

## [482] - أخبار علي بن عبد الله بن جعفر ونسبه

[نسبه]

هو علي بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام ، وأمه ولادة بنت الحجل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية : شاعر ظريف حجازي ، كان عمر بن الفرّج الرُّحَجيّ حمله من الحجاز إلى سرّ من رأى مع مَنْ حمل من الطالبين فحبسه المتوكّل معهم .

[يجبسه المتوكّل]

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدّثنا محمد بن الحسن بن مسعود الرُّقيّ قال : حدّثنا عمر بن عثمان الزُّهريّ المعروف بابن أبي قُبّاحة قال : رفع عمر بن الفرّج عليّ بن عبد الله بن جعفر الجعفريّ إلى المتوكّل أيام حجّ المنتصر ، فحبسه المتوكّل لأنّه كان شيخ القوم وكبيرهم ، وكان أغلظ لعمّر بن الفرّج .

[يتديّث في شعره]

قال عليّ بن عبد الله : مكثت في الحبس مدة ، فدخل عليّ رجل من الكتاب يوماً فقال : أريد هذا الجعفريّ الذي تديّث في شعره فقلت له : إليّ فأنا هو ، فعدل إليّ وقال : جعلت فداك ! أحبّ أن تنشدي بيتك اللذين تديّث فيهما ، فأنشدته : [من الطويل]

ولما بدا لي أنّها لا تودُّني      وأن هواها ليس عني بمنجّل  
تمنيتُ أن تهوى سواي لعلّها      تذوق حاراتِ الهوى فترقّ لي

قال : فكتبتهما ، ثم قال لي : اسمع ، جعلتُ فداك ، بيتين قلتُهما في الغيرة ، فقلت : هاتيهما فأنشدني :

ربّما سرّني صدودك عني      في طلايلك وامتناعك مني  
حذراً أن أكون مفتاحَ غيري      فإذا ما خلوت كنتِ التّمنيّ

[لا يخفض جبينه إلا لله]

حدّثني اليزيديّ قال : حدّثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال : أخبرني العباس بن عيسى العقيليّ أنّ عليّ بن عبد الله الجعفريّ أنشده : [من المجتث]

والله والله ربِّي      وتلك أقصى يميني  
لو شئتُ ألا أصلي      لما وضعت جبیني

[أيهما يدع]

حدَّثنا اليزيدي قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال : أخبرني العباس بن عيسى  
قال : حدَّثني علي بن عبد الله الجعفري قال : مرَّت بي امرأة في الطواف ، وأنا جالس أنشدُ  
صديقاً لي هذا البيت :

أهوى هوى الدِّين واللذات تُعجِبني      فكيف لي بهوى اللذات والدِّين ؟  
فالتفتت المرأة إليَّ وقالت : دع أيَّهما شئت وخُذ الآخر .

[عود إلى الصوت]

حدَّثنا اليزيدي قال : حدَّثنا محمد بن الحسن الزرقبي قال : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال :  
أنشدني علي بن عبد الله بن جعفر الجعفري لنفسه :

والله لا نظرتُ عيني إليك ولو      سالت مساربها شوقاً إليك دماً  
إلا مفاجأة عند اللقاء ولا      نازعتكِ الدهر إلا ناسيا كليماً  
إن كنتُ خنتُ ولم أضمرُ خيانتكم      فالله يأخذُ مِنَّ خانٍ أو ظلماً  
سماجةً لحبِّ خانٍ صاحبه      ما خان قطُّ حبُّ يعرفُ الكرماً  
قال عبد الله بن شبيب وأنشدني علي بن عبد الله لنفسه :

[من الكامل]

### صوت

وقف الهوى بي حيثُ أنت فليس لي      متأخّر عنه ولا مُتقدّم  
أجد الملامة في هواكِ لذيدةً      حبّاً لذكركِ فليُلمني اللومُ  
وأهتتني فأهنت نفسي جاهداً      ما من يهون عليكِ مِنَّ يُكرمُ  
أشبهت أعدائي فصرتُ أحبَّهم      إذ صار حظي منك حظي منهم

### صوت

[من الطويل]

أُعرفُ رسمَ الدَّارِ من أمِّ معبدٍ      نعم فرماكِ الشوقُ قبل التجلِّدِ

فيا لكَ مِنْ شوقٍ ويا لكَ عِبرَةً      سوابقُها مِثْلُ الجُمانِ المبدِّدِ  
الشعر لعتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة ، والغناء لجميلة ، خفيف ثقيل بالبنصر عن  
ابن المكيّ .  
وذكر الهشامي أنّ فيه لمعد لحناً من الثقيل الأوّل ، وأنّه يظنّه من منحول يحكى إليه .

## [ 483 ] - أخبار عتبية ونسبه

[نسبه]

عتيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ، لم يقع إليّ من نسبه غير هذا ، وهو شاعر مُقلٌّ غير معدود في الفحول ، مُخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام هجاءً خبيث اللسان بذي .

وابنُ فسوة لقب لزمه في نفسه ، ولم يكن أبوه يُلقب بفسوة ، إنّما لقب هو بهذا ، وقد اختلف في سبب تلقيبه بذلك ، فذكر إسحاق الموصلي عن أبي عمرو الشيباني : نسختُ ذلك من كتاب إسحاق بخطه .

[لماذا لقب بابن فسوة]

أنّ عتيبة بن مرداس كان فاحشاً كثير الشرّ قد أدرك الجاهلية ، فأقبل ابن عمّ له من الحجّ ، وكان من أهل بيت منهم يقال لهم : بنو فسوة ، فقال لهم عتيبة : كيف كنت يا ابن فسوة ؟ فوثب مغضباً ، فركب راحلته وقال : بئس لعمر الله ما حييت به ابن عمك ، قديم عليك من سفر ، ونزل دارك ! فقام إليه عتيبة مُستحيياً ، وقال له : لا تغضب يا ابن عمّ ، فإنّما مازحتك ! فأبى أن ينزل ، فقال له : انزل وأنا أشتري منك هذا الاسم فأتسمي به ، وظنّ أنّ ذلك لا يضره ، قال : لا أفعل أو تشتريه مني بمحضّر من العشيرة . قال : نعم فجمعهم وأعطاه بُرداً وجمالاً وكبشين ، وقال لهم عتيبة : اشهدوا أنّي قد قبلت هذا النبز وأخذت الثمن ، وائي ابنُ فسوة ، فزالت عن ابن عمّه يومئذ ، وغلبت عليه وهجيّ بذلك ، فقال فيه بعض الشعراء :

أودى ابنُ فسوة إلّا نعتَه الإبلا

وعُمّر عُمرًا طويلاً ، وإنّما قال : [من البسيط]

أودى ابنُ فسوة إلّا نعتَه الإبلا

لأنّه كان أوصفَ الناس لها ، وأغراهم بوصفها ، ليس له كبير شعر إلّا وهو مُضمّن وصفها .

[سبب آخر للتسمية]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : إنّما سُمّي عتيبة بنُ مرداس ابن فسوة ، لأنّه كان له جارٌّ من عبد القيس ، فكان يتحدثُ إلى ابنته ، وكان

لها حظٌّ من جمال ، وكانت تُعجبه ويهيم بها ، فكان أحداثُ بني تميم ، إذا ذكروا العبدِيَّ ، قالوا : قال ابن فسوة ، وفعل ابن فسوة ، فأكثرُوا عليه من ذلك حتى ملَّ فعَمِلَ على التحوُّل عنهم ، وبلغ ذلك عتيةً ، فأتاه فطلب إليه أن يقيم ، وأن يحتمل اسمه ، ويشتره منه ببيعير ، فلم يفعل ، قال : العبدِيَّ : فتحوَّلْتُ عنهم وشاع في النَّاس أَنَّهُ قد ابتاع مِنِّي وغلب عليه ، فأنشأ عتية يقول من كلمة له :

وَحَوَّلَ مولانا علينا اسمَ أمِّه      ألا رُبَّ مولَى ناقصٍ غير زائدٍ

[ابن عباس ينهره]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث قال : حدَّثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي وابن دأب وابن جُعْدَبَة ، قالوا : أتى عتيةُ بن مرداس ، وهو ابن فسوة ، عبدُ الله بن العباس عليهما السلام وهو عامل لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة ، وتحت يومئذ شَميلة بنت جُنادة بن بنت أبي أزهَر الزهرانيَّة ، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السلمي ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم ، فيعطونه ، ويخافون لسانه ، فلما دخل على ابن عباس قال له : ما جاء بك إلي يا ابن فسوة ؟ فقال له : وهل عنك مَقْصَرٌ أو وراءك مَعْدَى ؟ جئتكَ لتعينني على مروءتي ، وتصلِّ قرابتي ، فقال له ابن عباس : وما مروءة من يعصي الرحمن ويقول البُهتانَ ويقطعُ ما أمر الله به أن يوصلَ ؟ والله لئن أعطيتكَ لأعينكَ على الكفرِ والعصيان ، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعنَّ لسانك . فأراد الكلام ، فمنعه من حضر ، وحبسه يومه ذلك ، ثم أخرجه عن البصرة .

[الحسن وابن جعفر يصلانه خشية لسانه]

فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي عليه السلام ، فلقي الحسن بن علي عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام ، فسألاه عن خبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما ، فاشتريا عرضه بما أرضاه ، فقال عتية يمدح الحسن وابن جعفر عليهما السلام ويلوم ابن عباس رضي الله عنهما :

أتيتُ ابنَ عباس فلم يقض حاجتي      ولم يَرَجُ معروفي ولم يخشَ منكرِي  
حُبستُ فلم أنطق بعذرٍ لحاجةٍ      وسدَّ خصاص البيت من كلِّ منظرٍ



وجئتُ وأصواتُ الخصوم وراءه  
وما أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابه  
فلو كنتُ من زهران لم ينس حاجتي  
وكان حليفاً لجَميل بن مَعمر القرشي :  
وباتتُ لعبد الله من دون حاجتي  
ولم يَقترُب من ضوء نارٍ تحثُّها  
تُطالع أهلَ السوق والبابُ دونها  
إذا هي هَمَّت بالخروج يردُّها  
وجدت بخطَّ إسحاق الموصلي مُجَيَّر : محير . والمحير : المصهرج<sup>4</sup> . والخيار :  
الصهروج .

فليت قلوصي عُرِيتُ أو رحلتُها  
إلى ابن رسول الله يأمرُ بالتقى  
إلى معشر لا يخصِفون نعالهم  
فلما عرفتُ البأسَ منه وقد بدتُ  
تَسَنَّمْتُ خُرْجوجاً كأن بُغامَها  
فما زلتُ في التَّسيارِ حتى أُنخْتُها  
فلا تَدْعُنِّي إذ رحلتُ إليكمُ  
إلى حَسَن في داره وابن جعفرِ  
وللَّذين يدعو والكتابِ المطهَّرِ  
ولا يلبسون السَّبتَ ، ما لم يُخَصِّرِ<sup>5</sup>  
أَيادي سِبا الحاجاتِ للمتذكِّرِ  
أُحِيجُ ابن ماء في يراعٍ مُفَجَّرِ<sup>6</sup>  
إلى ابن رسول الأُمّةِ المتخَيَّرِ  
بَنِي هاشم أن تُصدروني بِمصدرِ

وهي قصيدة طويلة ، هذا ذكر في الخبر منها .

وأخبرني بهذا الخبر أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهري ، وأحمدُ بنُ عبيد الله بن عَمَّار ، عن  
عمر بن شُبّة ، عن المدائني مثل ما مضى أو قريباً منه ، ولم يتجاوز عمر بن شُبّة المدائني في إسناده .

1 القليب : البئر البعيدة الغور .

2 حرزور : رجل قوي .

3 مستفلك : مستدير . الذفري : العظم الشاخص خلف الأذن .

4 مصهرج : أي معمول بالصاروج وهو النورة وأخلاطها تصرج بها الحياض ، والبيوت ونحوها .

5 يخصفون : يخرزون . السبت : الجلد المدبوغ . يخصر : يدق وسطه .

6 الحرجوج : الناقة السمينة الطويلة وتجمع على حراجيج . أحيج : ابن ماء : طائر يكثر وجوده  
حول الماء .

[عامر بن الكريز يهينه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن الحرون قال : قال ابن الأعرابي : كان عتيبة بن مرداس السلمي شاعراً خبيث اللسان مخوف المعرة في جاهليته وإسلامه ، وكان يقدّم على أمراء العراق وأشرف الناس ، فيصيب منهم بشعره ، فقدم علي ابن عامر بن كُريز ، وكان جواداً ، فلمّا استوذّن له عليه أرسل إليه : إنك والله ما تسأل بحسب ولا دين ولا منزلة ، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئاً ، وأمر به فلُكِرَ وأهينَ فقال ابنُ فسوة :

[من الطويل]

وكائن تخطّت ناقتي وزميلها	إلى ابن كُريز من نحوسٍ وأسعدٍ
وأغبر مسحول التراب ترى له	حيا طردته الريح من كل مطرد <sup>1</sup>
لعمرك إنني عند باب ابن عامر	لكالطّبي عند الرميّة المتردّد <sup>2</sup>
فلم أر يوماً مثله إذ تكشّفت	ضبابته عني ولما أقيّد

[ثم يطيب خاطره]

فبلغ قوله ابن عامر ، فخاف لسانه وما يأتي به بعد هذا ورجع له ، وأحسن القوم رفده ، وقالوا : هذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه واليسير يرضيه ، فقال : ردّوه فردّ ، فقال له : إيه يا عتيبة ، أردد عليّ ما قلت ، فقال : ما قلت إلّا خيراً قال : هاته فقال : قلت<sup>3</sup> :

[من الطويل]

أتعرف رسم الدار من أمّ معبدٍ	نعم فرماك الشوق قبل التجلّد
فيا لك من شوقٍ ويا لك عبرة	سوابقها مثل الجمان المبدّد
وكائن تخطّت ناقتي وزميلها	إلى ابن كُريز من نحوسٍ وأسعدٍ
فتى يشتري حُسن الثناء بماله	ويعلم أنّ المرء غير مخلّد
إذا ما ملّمت الأمور اعترينه	تجلّى الدجى عن كوكب متوقّد <sup>4</sup>

فتبسّم ابن عامر وقال : لعمري ما هكذا قلت ، ولكنه قول مستأنف ، وأعطاه حتى رَضِيَ وانصرف .

1 مسحول : ناعم .

2 عند في ل : بعد .

3 ورد هذا المطلع في دالية عدي بن زيد في المجمهرات .

4 اعترينه في ل : اعتلينه .

[ابن الأعرابي يستحسن أبياتاً له]

قال : وأنشدنا ابن الأعرابي له يعقب هذا الخبر ، وكان يستحسن هذه الأبيات ويستجيدُها :

منعمة لم يغذيها أهلُ بلدةٍ	ولا أهلُ مصرٍ فهي هيفاءُ ناهدٌ
فريعت فلم تخبا ولكن تأودتْ	كما انتصرتْ مكحولُ المدامعِ فارِدٌ <sup>1</sup>
وأهوت لنتتاش الرواق فلم تقم	إليه ولكن طأطأته الولائدُ <sup>2</sup>
قليلةُ لحم الناظرين يزيناها	شبابٌ ومخفوضٌ من العيش باردٌ
تناهى إلى هو الحديث كأنها	أخو سقمٍ قد أسلمته العوائدُ
تري القرط منها في قناة كأنها	بمهلكة لولا البرا والمعائدُ <sup>3</sup>

[يرثي صريعاً في بر]

وقال أبو عمرو الشيباني : أغار رجل من بني تغلب يقال له الهذيل يعقب مقتل عثمان على بني تميم ، فأصاب نعمةً كثيراً ، فورد بها ماء لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال له سفار<sup>4</sup> ، فإذا عليه الأسود وخالد ابنا نعيم بن قعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن رباح في إبل لهما قد أوردهما ، فأراد الهذيل أخذها ، فتنفرقت ، فنفرت أصحابه في طلبها ، وهو قائم على رأس ركية من سفار ، فرماه أحدهما فقتله فوقع في الركية فكانت قبره . ويقال : بل رماه عبدُ أسود لمالك بن عروة المازني ، فقال عتبية بن مرداس الذي يقال له ابن فسوة في ذلك :

من مبلغ فتیان تغلب أنه	خلا للهذيل من سفارٍ قليلُ ؟
إذا صوت الأصداء صوت وسطها	فتي تغلبي في القليب غريبُ
فأعددت يربوعاً لتغلب إنهم	أناسٌ غدتهم فتنةٌ وحروبُ
حويت لقاح ابني نعيم بن قعنب	وإنك إن أحرزتها لكسوبُ

[بشر بن كهف يمنعه]

وقال أبو عمرو أيضاً : كان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوج أخت بشر بن كهف أحد

1 انتص : سار .

2 الرواق : مقدم البيت أو الفسطاط . وتنتاش : تناول .

3 البرا : جمع برة ، وأصلها بروة : الخللخال . المعاهد : جمع معقاد ، وهو خيط فيه خرزات تعلق في عنق الصبي .

4 سفار : منهل بين البصرة والمدينة قبل ذي قار لبني مازن بن مالك .

بني خُزاعة بن مازن ، فكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحمى ، فسأله ابنُ فسوة أن يُرعيه فأبى ، ومنعه ، وطرد إبله ، فقال في ذلك :  
[من الطويل]

مَنْ يَكُ أَرْعَاهُ الْحِمَى أَخَوَاتُهُ	فَمَا لِي مِنْ أُخْتٍ عَوَانٍ وَلَا بَكْرِ
وَمَا ضَرَّهَا أَنْ لَمْ تَكُن رَعَتْ الْحِمَى	وَلَمْ تَطْلُبِ الْخَيْرَ الْمُنْعَ مِنْ بَشَرٍ
مَتَى مَا يَجِيءُ يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي	يَجِدُ قَبْضَ كَفٍّ غَيْرَ مَلَأَى وَلَا صَفِيرٍ
يَجِدُ مُهْرَةً مِثْلَ الْقَنَاقَةِ طَمِيرَةً	وَعَضْبٌ إِذَا مَا هَزُّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبِيرِ <sup>1</sup>
فَإِنْ تَمْنَعُوا مِنْهَا حِمَاكُمْ فَإِنَّهُ	مُبَاحٌ لَهَا مَا بَيْنَ إِبْطٍ فَالْكَدْرِ <sup>2</sup>
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَتْنِي بِفَضْلِ ابْنِ عَمِّهِ	فَلَعْنَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى بَشَرٍ

[يسرقون ثيابه]

وقال أبو عمرو الشيباني ، ونسخته أيضاً من خطِّ إسحاق الموصلي ، وجمعت الروایتين : إن ابن فسوة نزل ببني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة ، وبات بهم ، ومعه جارية له يُقال لها جوزاء ، فسرقوا عِيَّةً له فيها ثيابه وثياب جاريته ، فرحل عنهم ، فلما عاد إلى قومه أعلمهم ما فعله به بنو سعد بن مالك . فركب معه فرسان منهم حتى أغاروا على إبل لبني سعد فأخذوا منها صِرْمَةً<sup>3</sup> ، واستاقوها فدفعوها إليه ، فقال يمدح قومه ويهجو بني سعد بقوله : [من الطويل]

جَزَى اللَّهُ قَوْمِي مِنْ شَفِيعٍ وَشَاهِدٍ	جَزَاءَ سَلِيمَانَ النَّبِيِّ الْمَكْرَمِ
هُمْ الْقَوْمُ لَا قَوْمَ ابْنِ دَارَةَ سَالِمٍ	وَلَا ضَابِيٍّ إِذْ أُسْلِمَا شَرًّا مُسْلِمٍ
وَمَا عِيَّةُ الْجَوْزَاءِ إِذْ غَدَرْتُ بِهَا	سَرَاةَ بَنِي قَيْسٍ بِسَرٍّ مَكْتُمِ
إِذَا مَا لَقِيتُ الْحَيَّ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ	عَلَى زَمٍّ فَانْزِلْ خَائِفًا أَوْ تَقَدَّمْ <sup>4</sup>
أُنَاسٌ أَجَارُونَا فَكَانَ جِوَارُهُمْ	شُعَاعًا كُلَّحِمِ الْجَاذِرِ الْمُتَقَسِّمِ
لَقَدْ دَنَسَتْ أَعْرَاضُ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ	كَمَا دَنَسَتْ رَجُلُ التَّقِيِّ مِنَ الدَّمِ
لَهُمْ نِسْوَةٌ دُسِّمُ الثِّيَابِ مَوَاجِنٌ	يَنَادِينَ مَنْ يَتَاغَى عَوْدًا بِدِرْهِمِ
إِذَا أَيْمٌ قَيْسِيَّةٌ مَاتَ بَعْلُهَا	وَكَانَ لَهَا جَارٌ فَلَيْسَتْ بِأَيْمِ

1 الطمرة : الفرس الجواد . الهبر : قطع اللحم ، المفرد هبرة .

2 إبط : موضع ببلاد كلب بن وبرة . الكدر : موضع على ثمانية برد من المدينة أو ماء لبني سليم .

3 الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين .

4 زم : بئر لبني سعد بن مالك .

يُمَشِّي ابْنُ بَشْرَ بَيْنَهُنَّ مَقَابِلَا      بَأْيَرُ كَأْيَرِ الْأَرْجَحِيِّ الْمَخْرَمِ  
 إِذَا رَاحَ مِنْ أَيْيَاتِهِنَّ كَأَنَّمَا      طَلَيْتَ بَتْنُومَ قَفَاهُ وَخِمْمِ<sup>1</sup>  
 وفيه رواية إسحاق :

تسوق الجواري مَنْخَرَاهُ كَأَنَّمَا      دَلَكْنَ بَتْنُومَ قَفَاهُ وَخِمْمِ

### صوت

[من المنسرح]

قد طَالَ شَوْقِي وَعَادَنِي طَرِبِي      مِنْ ذَكَرِ خَوْدِ كَرِيمَةِ النَّسَبِ  
 غَرَاءَ مِثْلَ الْهَلَالِ صُورَتِهَا      أَوْ مِثْلَ تِمْنَالِ صُورَةِ الذَّهَبِ  
 ويروى : «بيعة الرُّهْب» الشعر لعبد الله بن العجلان النّهدي ، والغناء لمالك ولحنه من  
 القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً  
 خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشامي أنّه لابن مسحج .

1 التنوم : شجر مثمر ورقه مع الخل يقلع التآليل . خمم : نبت له شوك دقيق .

## [ 484 ] - أخبار عبد الله بن العجلان

[ نسبه ]

هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم .

وكانت له زوجة يقال لها هند ، فطلقها ، ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجاً غيره ، فمات أسفاً عليها .

[ قصته تشبه قصة قيس ولبى ]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال : كان عبد الله بن العجلان النهدي سيّداً في قومه وابن سيّد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بني نهد مالاً ، وكانت هند امرأة عبد الله بن العجلان ، التي يذكرها في شعره امرأة من قومه من بني نهد ، وكانت أحبّ الناس إليه ، وأحظاهم عنده ، فمكثت معه سنين سبعة أو ثمانية لم تلد ، فقال له أبوه : إنّه لا ولد لي غيرك ، ولا ولد لك ، وهذه المرأة عاقر ، فطلقها ، وتزوج غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فأبى ألا يكلمه أبداً حتى يطلقها فأقام على أمره ، ثم عمد إليه يوماً ، وقد شرب الخمر حتى سكر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه أن صرّ لي ، فقالت له هند : لا تمض إليه ، فوالله ما يريدك لخير ، وإنما يريدك لأنّه بلغه أنك سكران ، فطمع فيك أن يقسم عليك ، فتطلّقتني ، فمّم مكانك ، ولا تمض إليه . فأبى وعصاها ، فتعلّقت بثوبه ، فضربها بمسواك ، فأرسلته ، وكان في يدها زعفران ، فأثّر في ثوبه مكان يدها ، ومضى إلى أبيه ، فعاوده في أمرها ، وأثبه ، وضعفه ، وجمع عليه مشيخة الحيّ وفتيانهم ، فتناولوه بالسنتهم ، وعيروه بشغفه بها وضعف حزمه ، ولم يزالوا به حتى طلقها . فلما أصبح خبر بذلك ، وقد علمت به هند ، فاحتجبت عنه ، وعادت إلى أبيها ، فأسف عليها أسفاً شديداً ، فلما رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير ، فزوجها أبوها منه ، فبنى بها عندهم ، وأخرجها إلى بلده . فلم يزل عبد الله بن العجلان دنيّاً سقيماً ، يقول فيها الشعر ، ويكيها حتى مات أسفاً عليها ، وعرضوا عليه فتيات الحيّ جميعاً فلم يقبل واحدة منهنّ ، وقال في طلاقه إياها :

[ من مجزوء الكامل ]

فارقَتْ هنداً طائعاً      فندمت عندَ فراقِها  
فالعَيْنُ تَذْري دمعَةً      كالدرِّ من آماقِها  
متحلِّياً فوق الرِدا      ء يجول من رَقاقِها  
خَوْذَ رَداحٍ طَفَلَةٌ      ما الفحش من أخلاقِها  
ولقد أَلَدُ حديثُها      وأسرُّ عندَ عناقِها

وفي هذه القصيدة يقول :

إن كنتِ ساقيةً بيزُ      لِ الأذمِ أو بحقاقِها  
فاسقي بني نهدي إذا      شربوا خيار زقاقِها  
فالخيل تعلم كيف نُدُ      حِقِّها غداة لحاقِها  
بأسِنَّةِ زُرْقٍ صَبَحُ      لنا القومَ حدَّ رقاقِها  
حتى ترى قِصْدَ القنا      والبيضَ في أعناقِها

[شعره في غارة شنها قومه]

قال أبو عمرو الشيباني : لما طَلَّقَ عبد الله بن العَجْلانُ هنداً أنكِحَتْ في بني عامر ، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات ، فجمعت نهد لبني عامر جمعاً ، فأغاروا على طوائف منهم ، فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد وبنو الحريش وبنو قُشَيْرٍ ، ونذروا بهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، وغنمت نهدُ أموالهم ، وقتل في المعركة ابنُ معاوية بن قشير بن كعب وسبعة بنين له ، وقُرْطُ وجُدعانُ ابنا سلمة بن قشير ومرداس بن جزعة بن كعب وحُسين بن عمرو بن معاوية ومَسْحَقَةُ بن المَجْمَعِ الجعفي ، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك :

ألا أبلغ بني العجلان عني      فلا يُنييك بالحدَثانِ غيري  
بأنّا قد قتلنا الخير قُرْطاً      وجَرْنَا في سِراةِ بني قشير  
وأفلتنا بنو شَكْلِ رجالات      حُفَاةً يربشون على سُميرِ

[قيسية ترثي قتي قيس]

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم :

أصبتُم يا بني نهدِ بن زيد      قُروماً عندَ قعقعةِ السلاحِ  
إذا اشتدَّ الزَّمانُ وكان محلاً      وحارداً فيه إخوانُ السماحِ

[من الوافر]

أهانوا المالَ في اللَّزَباتِ صبراً      وجادوا بالمتالي واللقاح  
فبُكِّي مالِكاً وإبكي بجيراً      وشداداً لمشتجرِ الرِّماح  
وكعباً فانديه معاً وقُرطاً      أولئك معشري هُدُوا جناحي  
وبُكِّي إن بكيتِ على حُسيلٍ      ومرداس قتيلِ بني صباح

[حسيل يغدر به أسيره]

قال : وأسر عبد الله بن العجلان رجلاً من بني الوحيد ، فمنَّ عليه ، وأطلقه ، ووعدته الوحيدية الثواب فلم يف فقال عبد الله :

[من الوافر]

وقالوا لن تنالَ الدهرَ فقراً      إذا شكرتكَ نعمتك الوحيدُ  
فيا ندما ندمت على رزام      ومُخْلِفيه كما خُلِعَ العُودُ

قال أبو عمرو : ثم إن بني عامر جمعوا لبني نهد ، فقالت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي كانت ناكحاً فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر : لك خمسَ عشرة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر ، فقال : أفعل ، فحملته على ناقة لزوجها ناجية ، وزودته تمرأً ووطبأً من لبن ، فركب فجداً في السير ، وفني اللبن ، فأتاهم والحى خلوف في غزو وميرة ، فنزل بهم ، وقد بيس لسانه ، فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم ، وأوما لهم إلى لسانه ، فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن ، فأسخن ، وسقاه إياه ، فابتل لسانه ، وتكلم ، وقال لهم : أتيتم ، أنا رسول هند إليكم تُنذركم ، فاجتمعت بنو نهد واستعدت ووافتهم بنو عامر فلحقوهم على الخيل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمزمت بنو عامر ، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك :

[من الطويل]

عاودَ عيني نصبُها وغرورها      أهِمَّ عَناها أم قَذاها يعورها  
أم الدار أمست قد تعفَّت كأنها      زبورُ يمانٍ رَقَشَت سطورُها  
ذكرت بها هنداً وأترابها الألى      بها يكذب الواشي ويُعصى أميرُها  
فما مُعولٌ تبكي لفقد أليفها      إذا ذكرته لا يكفُ زفيرُها  
بأعزر مني عبرة إذ رأيتهَا      يحث بها قبل الصباح بغيرُها  
ألم يأتِ هنداً كيفما صنُع قومها      بني عامر إذ جاء يسعى نذيرُها  
فقالوا لنا إننا نحب لقاءكم      وإننا نخيي أرضكم ونزورها  
فقلنا : إذا لا نَنكُلُ الدهرَ عنكم      بصمِّ القنا اللائي الدماء تُميرُها



فلا غرو أن الخيل تَنَحِّطَ في القنا      تمطرُ من تحت العوالي ذُكُورُها<sup>1</sup>  
 تاوؤهُ مِمَّا مَسَّهَا من كَريهةٍ      وتُصَفِّي الخدود والرِّمَاحُ تَصُورُها<sup>2</sup>  
 وأربابها صرعى يَبْرُقَةُ أَخْرَبَ      تُجَرِّرُهُمْ ضُبْعَانِهَا ونُسُورُها  
 فأبْلَغَ أبا الحجاج عني رسالةً      مغلغلة لا يَغْلِيَنَّكَ بُسُورُها  
 فأنْتَ منعتَ السلمَ يومَ لَقِيتُنَا      بكفِّكَ تُسْدي غِيَّةً وتَنيِرُها  
 فذوقوا على ما كان من فرطِ إْحْنَةٍ      حلائبنا إذ غابَ عَنَّا نصيرُها

[نهاية حبه]

قال أبو عمرو : فلما اشتدَّ ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سرّاً من أبيه مخاضراً بنفسه حتى أتى أرض بني عامر لا يهرب ما بينهم من الشرِّ والثَّراتِ ، حتى نزل ببني نمير ، وقصد خباء هند ، فلما قارب دارها رآها وهي جالسة على الحوض ، وزوجها يسقي ، ويدود الإبلَ عن مائه ، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتدُّ إليها ، وأقبلت تشتدُّ إليه ، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ، وجعلا ييكيان وينشجان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما ، وأقبل زوج هند ينظر ما حالهما ، فوجدهما ميتين .

قال أبو عمرو : وأخبرني بعض بني نهد أنَّ عبد الله بن العجلان أراد المضيَّ إلى بلادهم ، فمنعه أبوه وخوفه الثارات وقال : نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة ، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت ، فحجَّ ، وحجَّ أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثرُ كفِّها في ثوبه بخلوق ، فرجع إلى أبيه في منزله ، وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات . هذه رواية أبي عمرو .

وقد أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال حدَّثني عبد الله بن علي بن الحسن قال : حدَّثنا نصر بن علي عن الأصمعي عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال : خرج عبد الله بن العجلان في الجاهليَّة فقال : [من الطويل]

ألا إنَّ هنداُ أصبحت منك محرماً      وأصبحت من أدنى حُمُوتِها حَمَا  
 وأصبحت كالقمورِ جفنٍ سلاحه      يقلبُ بالكفَّين قوساً وأُسهما  
 ثم مدَّ بها صوته فمات .

1 تنحط : تزفر . تمطر : تسرع .

2 تصورها : تميلها .

[الشعر له أم لمسافر]

قال ابن سيرين : فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا . وهذا الخبر عندي خطأ لأن أكثر الرواة يروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أمية ، قالهما لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة ، فقدم أبو سفيان بن حرب ، فسأله عن أخبار مكة ، وهل حدث بعده شيء ، فقال : لا ، إلا أنني تزوجتُ هنداً بنت عتبة ، فمات مسافراً أسفاً عليها ، ويدل على صحة ذلك قوله :

وأصبحت من أدنى حموتها حما

لأنه ابن عم أبي سفيان بن حرب لحماً وليس النميري المتزوج هنداً النهديّة ابن عم عبد الله بن العجلان فيكون من أحماؤها ، والقول الأول على هذا أصح .

[من شعره في هند]

[من الطويل]

ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند :

ألا أبلغا هنداً سلامي فإن نأت	فقلبي مذ شطّط بها الدار مدنف
ولم أر هنداً بعد موقف ساعة	بانعم في أهل الديار تطوّف
أتت بين أتراب تمايس إذ مشت	ديب القطا أو هنّ منهنّ أقطف
يباكرن مِرآة جلياً وتارة	ذكيّاً وبالأيدي مداك ومِسوف
أشارت إلينا في خفاة وراعها	سراة الضحى مني على الحي موقف
وقالت : تباعد يا ابن عمي فإنني	مئيت بذي صول يغار ويعنف

أخبرني الحسن بن عليّ قال : أنشدنا فضل البيزديّ عن إسحاق لعبد الله بن العجلان النهديّ قال إسحاق وفيه غناء :

[من الطويل]

خليليّ زورا قبل شحط النوى هنداً	ولا تأمنا من دار ذي لطفٍ بُعداً
ولا تعجلا ، لم يذر صاحب حاجة	أغياً يلاقي في التعجل أم رُشدأ
ومراً عليها بارك الله فيكما	وإن لم تكن هند لوجهيكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا	ولكننا جزنا لللقاكم عمدا

صوت

[من مجزوء الوافر]

ألا يا ظيعة البلدِ براني طولُ ذا الكمِدِ

فردِّي يا معذَّبتي      فؤادي أو خُذِي جسدي  
 بُليتُ لَشِقْوَتِي بَكُمُ      غلاماً ظاهراً الجَلَدِ  
 فَشَيْبَ حُبِّكُمْ رَأْسِي      وَبَيْضَ هَجْرُكُمْ كِبْدِي

الشعر للمؤمِّل بن أميل ، والغناء لإبراهيم ثَقِيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البَنْصَر عن  
 إِسْحَاق .

## [485] - أخبار المؤمل ونسبه

[نسه]

المؤمل بن أميل بن أسيد المخاريبي . من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، شاعر كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكانت شهرته في العباسية أكثر ، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصصهم ، ويخدمهم من أوليائهم ، وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبعده . وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرزين الفحول ولا المرذولين ، وفي شعره لين ، وله طبع صالح .

[يتمنى العلى فيعمى]

وكان يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدته المشهورة :

شفَّ المؤمل يوم الحيرة النظرُ      ليت المؤمل لم يُخلق له بصرُ  
يقال : إنه رأى في منامه رجلاً أدخل أصبعيه في عينيه ، وقال : هذا ما تمنيت ، فأصبح أعمى .

[المهدي يقدق ويرد ما استعاده المنصور]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى : قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني ، قال : حدثني أبو قدامة ، قال : حدثني المؤمل قال : قدمت على المهدي وهو بالري ، وهو إذ ذاك ولي عهد ، فامتدحته بأبيات ، فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد إلى أبي جعفر المنصور ، وهو بمدينة السلام يُخبره أن الأمير المهدي أمر لشاعر بعشرين ألف درهم ، فكتب إليه يعذله ويلومه ، ويقول له : إنما ينبغي أن تعطي لشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم ، وكتب إلى كاتب المهدي أن يوجه إليه بالشاعر ، فطلب ، ولم يقدر عليه ، وكتب إلى أبي جعفر أنه قد توجه إلى مدينة السلام ، فأجلس قائداً من قواده على جسر النهروان ، وأمره أن يتصفح الناس رجلاً رجلاً ، فجعل لا يمر به قافلة ، إلا تصفح من فيها ، حتى مرت به القافلة التي فيها المؤمل ، فتصفحهم ، فلما سأله من أنت ؟ قال : أنا المؤمل بن أميل المخاريبي الشاعر ، أهد زوار الأمير المهدي ، فقال : إياك طلبت ، قال المؤمل : فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر .

فقبضَ عليَّ ، وأسلمني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، وقال له : هذا الشاعر الذي أخذ من المهديّ عشرين ألفاً ، قد ظفّرنا به ، فقال : أدخلوه إليَّ ، فأدخلتُ إليه ، فسلمت تسليم فرع ، مروّع ، فردّ السلام ، وقال : ليس لك هاهنا إلاّ خيرٌ ، أنتَ المؤملُ بنُ أميل ؟ قلت : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين أنا المؤملُ بنُ أميل ، قال : أتيتَ غلاماً غِراً كريماً ، فخدعته فانخدع ؟ قلت : نعم ، أصلح الله الأمير ، أتيتَ غلاماً غِراً كريماً ، فخدعته فانخدعَ قال : فكأنّ ذلك أعجبه ، فقال : أنشدني ما قلتَ فيه فأنشدته : [من الوافر]

هو المهديُّ إلاّ أن فيه	مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما	أنارا مُشكِلانِ على البصير
فهذا في الظلامِ سراجُ ليلٍ	وهذا في النهارِ ضياءُ نورٍ
ولكن فضّل الرحمن هذا	على ذا بالمنابرِ والسّرير
وبالمُلكِ العزيزِ فذا أميرٌ	وماذا بالأُميرِ ولا الوزير
وبعضَ الشهر ينقصُ ذا وهذا	مُنير عند نقصانِ الشهور
فيا ابن خليفة الله المصنّى	به تعلو مفاخرةُ الفُخُور
لئن فُتَّ الملوكَ وقد توافوا	إليك من السهولةِ والوعور
لقد سبق الملوكَ أبوكَ حتّى	بقوا من بين كابٍ أو حَسير <sup>1</sup>
وجئتَ مصلياً تجري حثيثاً	وما بك حين تجري من فُتور <sup>2</sup>
فقال الناس ما هذان إلاّ	كما بينَ الخلقِ إلى الجدير
لئن سبق الكبيرُ لأهلُ سَبّي	له فضلُ الكبيرِ على الصّغير
وإن بلغ الصّغيرُ مدى كبيرٍ	فقد خُلِقَ الصّغيرُ من الكبير

فقال : والله لقد أحسنت ، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألفَ درهم ، فأين المال ؟ قلت : هو هذا ، قال : يا ربيع ، امض معه ، فأعطيه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي . قال المؤملُ : فخرج معي الربيع ، وحطّ ثِقْلي ، ووَزَنَ لي من المال أربعة آلاف درهم ، وأخذ الباقي .

فلما وليّ المهديُّ الخلافة ولى ابن ثوبانَ المظالم ، فكان يجلس للناس بالرّصافة ، فإذا

1 كاب : عاثر من كبا يكمبو .

2 مصلياً : تالياً للسابق .

ملاً كساءه رِقاعاً رفعها إلى المهديّ ، فرُفَعَتْ إليه رُقعةٌ ، فلمّا دخل بها ابنُ ثوبان جعل المهديّ ينظر في الرقاع ، حتى إذا وصل إلى رُقعتي ضحكك ، فقال له ابنُ ثوبان : أَصْلَحَ اللهُ أميرَ المؤمنين ! ما رأيتك ضَحِكْتَ من شيءٍ من هذه الرّقاع إلاّ من هذه الرُقعة ، فقال : هذه رقعة أعرفُ سببها ، ردّوا إليّه عشرين ألفَ درهم ، فردّوها إليّ وانصرفت .

[يبيع موسى وهارون فيأخذ بدرة ونصفاً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن سعد بن أبي سعد قال : حدّثني الحكم بن موسى السلوليّ ، قال : حدّثني سعد بن أخي العوفيّ قال : قدِمَ على المهديّ في بيعة ابنه موسى وهارون المؤمّل بنُ أميل المحاربيّ والحسين بن يزيد بن أبي الحكم السلوليّ وقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحميريّ من الكوفة ، فقدمّا على المهديّ في عسكره ، فأنشده المؤمّل :

هاك بياعنا يا خير وال	فقد جئنا به لك طائعيناً
فإن تفعلْ فأنت لذاك أهلٌ	ففضلك يا ابنَ خيرِ الناسِ فينا
وعدّلك يا ابن وارث خيرِ خلق	نبيُّ الله خيرِ المرسلينا
فإن أبا أبيك وأنتَ منه	هو العباسُ وارثه يقينا
أبان به الكتابُ وذاك حقٌ	ولسنا للكتابِ مُكذّبيناً
بكم فُتحتْ وأنتم غير شكّ	لها بالعدلِ أكرمُ خاتميناً
فدونكها فأنتَ لها محلٌ	حباك بها إلهُ العالمينا
ولو قيدتْ لغيركم اشمازتْ	وأعيتْ أن تُطيعَ القائدينا

فأمر لهما بثلاثين ألفَ درهم ، فجيء بالمال ، فألقي بينهما ، فأخذ كلّ واحد منهما بدرة<sup>1</sup> ، وصدّع الأخرى بينهما ، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفاً .

[يتلف في ضحكه كل مال]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن عبد الله بن أمين عن أبي محمد اليزيديّ ، عن المؤمّل بن أميل قال : صيرت إلى المهديّ بجرّجان فمدحته بقولي :

تعزّ ودعْ عنك سَلْمى وسِرْ حثيثاً على سائراتِ البغالِ

وكلّ جوادٍ له مِيعَةٌ      يَخْبُ بسرِّكَ بعدَ الكَلالِ<sup>1</sup>  
إلى الشمسِ شمسِ بني هاشمٍ      وما الشمسُ كالْبَدْرِ أو كالهلالِ  
ويُضحكه أن يدومَ السؤالُ      ويُتلف في ضحكهِ كلُّ مالٍ

فاستحسنها المهديُّ ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وشاع الشعر وكان في عسكره رجل يُعرف بأبي الهوسات ، يُغني ، فغني في الشعر لرُفقاءه ، وبلغ ذلك المهديّ فبعث إليه سرّاً ، فدخل عليه ، فغناه ، فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور .

ثمّ ذكر باقي الخبر على ما تقدّم قبله ، وزاد فيه : أن المنصور قال له : جئت إلى غلام حدّث ، فخدعته ، حتى أعطاك من مال الله عشرين ألفَ درهم لشعر قلته فيه ، غير جيّد وأعطاك من رقيقِ المسلمين مالاً يملكه ، وأعطاك من الكُراع والأثاث ما أسرف فيه ، يا ربيعُ خذ منه ثمانية عشر ألفَ درهم ، وأعطه ألفين ، ولا تعرض لشيءٍ من الأثاث والدّواب والرقيق ، ففي ذلك غناؤه . فأخذتُ والله مني بخواتمها ، ووُضِعَتْ في الخزائن ، فلما وليّ المهديّ دخلتُ إليه في المتظلمين . فلما رأيَ ضحك وقال : مَظْلَمَةٌ أعرِفها ، ولا أحتاج إلى بيّنة عليها ، وجعل يضحك ، وأمر بالمالِ فردّ إليّ بعينه ، وزاد فيه عشرة آلاف .

[لاحم فيه ولا دم]

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويّه قال : حدّثني حُذيفة بن محمد الطائيّ قال : حدّثني أبي قال : رأيتُ المؤملَ شيخاً مُصَفِّراً نحيفاً أعمى ، فقلتُ له : لقد صدقت في قولك : [من الطويل]

وقد زعموا لي أنّها نذرتُ دمي      وما لي بحمدي الله لحم ولا دم  
فقال : نعم ، فديتك ، وما كنت أقول إلاّ حقّاً .

قال محمد بن القاسم : وحدّثني عبد الله بن طاهر أن أوّل هذا الشعر :

حلمتُ بكم في نَومتي فغضبتُم      ولا ذنب لي إن كنتُ في النّومِ أحلُمُ  
سأطردُ عني النّومَ كيلاً أراكم      إذا ما أتاني النّومُ والنّاسُ نوّمُ  
تُصارِمُني واللهُ يعلمُ أنّني      أبرُّ بها من والديها وأرحمُ

## صوت

وقد زعموا لي أنَّها نذرتُ دمي      وما لي بحمدِ اللهِ لحمٌ ولا دمٌ  
 برى حُبُّها لحمي ولم يُبق لي دماً      وإن زعموا أنَّي صحيحٌ مسلمٌ  
 فلم أرَ مثلاً الحُبِّ صحَّ سَقِيمُهُ      ولا مثل مَنْ لا يعرف الحُبَّ يسقُمُ  
 ستقتلُ جليداً بالياً فوقَ أعظمٍ      وليس يُبالي القتلُ جليداً وأعظمُ  
 في هذه الأبيات التي أولها :

وقد زعموا لي أنَّها نذرت دمي

لنبيه لحن من خفيف الثقل المطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ .  
 أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُويه ، قال : حدَّثني محمد بن أحمد بن عليّ ،  
 قال : لما قال المؤمِّل :

شفَّ المؤمِّل يوم الحيرة النظرُ      ليت المؤمِّل لم يُخلَقْ له بصرُ  
 عَمي ، وإِري في منامه : هذا ما تمنيت .

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال حدَّثني عليّ بن الحسن  
 الشيبانيّ : قال : رأى المؤمِّل في منامه قائلاً يقول : أنت المتألّي على الله ألاّ يعذبَ المحيّن  
 حيث تقول :

يَكفي المحيّن في الدنيا عذابُهُم      والله لا عذَّبْتَهُم بعدها سَقَرُ  
 فقال له : نعم ، فقال : كذبت يا عدوّ الله ، ثم أدخل إصبعيه في عينيه وقال له : أنت  
 القائل :

شفَّ المؤمِّل يوم الحيرة النظرُ      ليت المؤمِّل لم يُخلَقْ له بصرُ  
 هذا ما تمنيت ، فانتبه فرعاً ، فإذا هو قد عَمي .

[ لا ترضى مضر بقتله ]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا مُصعب الزُّبيريّ قال : أنشد  
 المهديُّ قولَ المؤمِّل :

قتلتِ شاعراً هذا الحيّ من مُضِرٍ      والله يعلم ما ترضى بذا مُضَرُ  
 فضحك ، وقال : لو علمنا أنَّها فعلت ما رَضينا ، ولَغَضَبنا له وأنكرنا .



## صوت

[من الطويل]

بكيتُ حذارَ البين علماً بما الذي إليه فؤادي عند ذلك صائرُ  
وقال أناس لو صبرتَ وإنني على كلِّ مكروه سوى البين صابرُ  
الشعر لأبي مالك الأعرج ؛ والغناء لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل بالوسطى من جامع  
صنعتة ورواية الهشاميّ .  
قال الهشاميّ : وفيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل ، ولسليم ثقيل أوّل .

## [ 486 ] - أخبار أبي مالك ونسبه

[نسبه ونشأته]

أبو مالك النضر بن أبي النضر التميمي ، هذا أكثر ما وجدته من نسبه ، وكان مولده ومنشؤه بالبادية .

ثم وفد إلى الرشيد ، ومدحه ، وخدمه فأحمد مذهبه ، ولحظته عناية من الفضل بن يحيى ، فبلغ ما أحب ، وهو صالح الشعر ، متوسط المذهب ، ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين ، ولا من المرذولين .

[يرثي أباه]

أخبرني أبو ذؤلف هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : كان أبو مالك النضر بن أبي النضر التميمي مع الرشيد ، وكان أبوه مقيماً بالبادية ، فأصاب قوم من عشيرته الطريق ، وقطعوه عن بعض القوافل ، فخرج عامل ديار مضر ، وكان يقال له جبال ، إلى ناحية كانت فيها طوائف من بني تميم ، فقصدهم وهم غارون<sup>1</sup> ، فأخذ منهم جماعة فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج ، وكان ذا مال ، فطلبه فيمن طلب من الجنة ، وطمع في ماله ، فضربه ضرباً أتى فيه على نفسه ، وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه :

والذي نابني فظيع جليل	فيم يلحى على بكائي العذول
رى فقلبي بيته مشغول	عد هذا الملام عني إلى غي
ل عليه فراح وهو قتيل	راعني والذي جنت كف جيا
هبلتني إن لم أرعك الهبول <sup>2</sup>	أيها الفاجعي بركني وعزي
ت نهاري علي غالتك غول	سمتني خطئة الصغار وأظلم
لم يدلني من الزمان مُدِيل <sup>3</sup>	ما عداني الجفاء عنك ولكن

1 غارون : غافلون .

2 هبلتني الهبول : ثكلتني أمي .

3 لم يدلني : لم ينصرني .

زال عنا السرور إذ زلت عنا  
 ورأينا القريب منا بعيداً  
 ورمانا العدو من كل وجه  
 يا أبا النضر سوف أبكيك ما عشد  
 حملت نعتك الملائكة الأب  
 غير أنني كذبتك الود لم تق  
 رضيت مقلتي بإرسال دمي  
 أسواك الذي أجود عليه  
 عثر الدهر فيك عثرة سوء  
 قل إن ضن بالحياة فإنني  
 إن بالسفح من ضباعة قومي  
 لا يزورون جارهم من قريب  
 حفرة حشوها وفاء وحلم  
 وعفاف عما يشين وحلم  
 ويمين بنائها غير جعد  
 وامرؤ أشرقت صفيحة خدي  
 وازدهانا بكاؤنا والعويل<sup>1</sup>  
 وجفانا صديقنا والخليل  
 وتجننى على العزيز الدليل  
 ت سويًا وذاك مني قليل  
 رار إذ ما لنا إليك سبيل  
 طر جفوني دماً وأنت قتيل  
 وعلى مثلك النفوس تسيل  
 بدمي إنني إذا لبخيل  
 لم يقل مثلها المعين المقليل  
 بعده للحياة قال ملول  
 ليس منهم ، وهم أدان ، وصول<sup>2</sup>  
 وهم في التراب صرعى حلول  
 وندى فاضل ولب أصيل  
 راجح الوزن بالرواسي يميل  
 وجين صلت وخد أسيل<sup>3</sup>  
 ه عليه بشاشة وقبول

### صوت

[من الطويل]

لئن مصر فانتني بما كنت أرتجي  
 فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه  
 الشعر لأبي دهمان ، والغناء لابن جامع ثقیل أول بالوسطى عن الهشامي . انتهت أخبار  
 مالك ونسبه .

1 ازدهانا : استخفنا وأذهب وقارنا .

2 ضباعة : اسم جبل من جبال طيء .

3 جعد : قصير . صلت : واضح .

## [487] - أخبار أبي دهمان

أبو دهمان الغلابي شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتي بني أمية وبني العباس . ومدح المهدي ، وكان طيباً ظريفاً مليحاً النادرة .  
[لا يبوح باسم محبوبته]

وهو القائل لما ضُرب المهديُّ أبا العتاهية بسبب عشقه عتبة : [من المنسرح]

لولا الذي أحدث الخليفة في آل  
عُشاق من ضربهم إذا عَشِقُوا  
لُبِخْتُ باسم الذي أُحِبُّ ول  
كُنِّي امرؤ قد ثَنَيْتَ الفَرْقُ

[يجيد التقليد]

حدَّثني بذلك الصوليُّ عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي العتاهية . وأخبرني جَحْظَةُ عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : قال رجل لأبي دهمان : ألا أحدثك بظريفة ؟ قال : بلى ، قال : كنّا عند فلان ، فمدّ رجله هكذا ، فضرط ، ومدّ الحدّث رجله يحكيه فضرط ، فقال له أبو دهمان : يا هذا أنت أحمقُ خلق الله بحكاية .  
[رجل يتيه عليه وهو أمير]

نسختُ من كتاب بخط ميمون بن هارون : بلغني أنّ أبا دهمان مرَّ وهو أمير بنيسابور على رجل جالس ومعه صديق له يسايره ، فقام الناس إليه ودعّوا له إلّا ذلك الرجل ، فقال أبو دهمان لصديقه وهو يسايره : أما ترى ذلك الرجل في النظارة وترى تيهه عليّ ؟ فقال له : وكيف يتيه عليك وأنت الأمير ! قال : لأنّه قد ناكني وأنا غلام .  
[غلامه يتعجل موته]

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ ، قال : مرض أبو دهمان مرضاً أشقى منه على الموت ، فأوصى وأملّى وصيته على كاتبه ، وأوصى فيها بعق غلام كان له واقفاً ، فلمّا فرغ غدا الغلام بالرقعة ، فأتربها ، ونظر إليه أبو دهمان ، فقال له : نعم أتربها يا ابن الزانية ، عسى أن يكون أنجَحَ للحاجة ، لا شفاني الله إن أنجحت ، وأمر به ، فأخرج لوقته ، فبيع .

## صوت

[من الطويل]

يُكْرُ كما كَرَّ الكُليبيّ مُهرَه وما كَرَّ إلّا خيفةً أن يُعَيَّرَا

فلا صلح حتى ترحف الخيل والقنا بنا وبكم أو يصدر الأمر مصدرا

الشعر لأبي حُزابة التميمي ، والغناء لابن جامع ثاني ثقل بالنصر .  
وهذا الشعر يرثي به أبو حُزابة رجلاً من بني كليب بن يربوع يقال له ناشرة اليربوعي ،  
قُتِل بسجستان في فتنة ابن الزبير ، وكان سيِّداً شجاعاً .  
[يرثي ناشرة اليربوعي]

أنشدني جعفر بن قدامة قال : أنشدني أبو هفان وأحمد بن أبي طاهر قالا : أنشدنا  
عبدُ الله بن أحمد العدوي لأبي حُزابة يرثي ناشرة اليربوعي وقُتِل بسجستان في فتنة ابن  
الزبير قال :

لعمري لقد هدَّت قريشُ عروشنا      بأبيضَ نفَّاح العشيَّات أزهرًا  
وكان حصاداً للمنايا زرعنه      فهلاً تركنَ النَّبتَ ما كان أخضرًا  
لما الله قوماً أسلموك وجرّدوا      عناجيج أعطتها يمينك ضمراً<sup>1</sup>  
أما كان فيهم ماجدٌ ذو حفيظة      يرى الموت في بعض المواطن أفخراً  
يكرّ كما كرّ الكليبيّ مهرة      وما كرّ إلا خشية أن يُعيّرا  
يُرِيد ما كان في هؤلاء القوم من يكرُّ كما كرّ ناشرة الكليبيّ مهرة ؟

1 العناجيج : جياد الخيل واحدها عنجوج كعصفور .

## [488] - أخبار أبي حزابة ونسبه

[نسبه ونشأته]

أبو حزابة اسمه الوليد بن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .  
شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوي حضر<sup>1</sup> وسكن البصرة ، ثم اكتب في الديوان ، وضرب  
عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج  
على عبد الملك ، وأظنه قتل معه ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء .

[أبطأت عليه جائزة طلحة]

فأخبرنا الحسن بن علي قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثنا  
محمد الهيثم الشامي قال : حدثني عمي أبو فراس عن العذري قال : دخل أبو حزابة على  
طلحة الطلحات الخزاعي ، وقد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان ، وكان أبو  
حزابة قد مدحه ، فأبطأت عليه الجائزة من جهته ، ورأى ما يُعطى غيره من الجوائز ،  
فأنشده :

وأدليتُ ذلوي في دلاء كثيرة      فجنن ملاء غير ذلوي كما هيا  
وأهلكني ألا تزال رغبة      تقصّر دوني أو تحل ورائيا  
أراني إذا استمرت منك سحابة      لئطمطني عادت عجاجاً وسافيا

قال : فرماه طلحة بحق فيه درة فأصاب صدره ، ووقعت في حجره ، ويقال : بل أعطاه  
أربعة أحجار ، وقال له : لا تُخدع عنها ، فباعها بأربعين ألفاً . ومات طلحة بسجستان .  
[بخيل يخلف كريماً]

ثم ولي من بعده رجل من بني عبد شمس يقال له عبد الله بن علي بن عدي وكان شحيحاً  
فقال له أبو حزابة<sup>2</sup> :

يا ابن علي بَرَحَ الخفاء      قد علم الجيران والأكفاء

1 حضر وحضري بمعنى واحد .

2 الأبيات في الحيوان 1 : 255 برواية فيها اختلاف :

يا ابن علي بَرَحَ الخفاء      أنت لغير طلحة الفداء  
قد علم الأشراف والأكفاء      أنتك أنت الناقص للفداء

.....  
بنو علي كلهم سواء      كأنهم زينة جراء

أَنْتَ أَنْتَ النَّذْلُ وَاللَّفَاءُ      أَنْتَ لَعَيْنُ طَلْحَةَ الْفِدَاءِ<sup>1</sup>  
 بَنُو عَدِيَّ كُلَّهُمْ سَوَاءٌ      كَانَتْهُمْ زَيْنَةُ جِرَاءِ<sup>2</sup>

[رثاء ومجاء]

قال ثم وليها بعد عبد الله بن عليّ عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز أيام الفتنة ، فاستأذنه أبو حزابة أَنْ يَأْتِيَ الْبَصْرَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَدِمَهَا ، وَكَانَ النَّاسُ يَحْضُرُونَ الْمَرْبِدَ ، وَيَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ ، وَيَتَحَادَثُونَ سَاعَةَ مِنَ النَّهَارِ ، فَشَهِدَهُمْ أَبُو حُزَابَةَ ، وَأَنشَدَهُمْ مَرثِيَةً لَهُ فِي طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ يَضْمِنُهَا ذِمًّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَهِيَ قَوْلُهُ : [من الرجز]

هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ الْجَنَابُ الْأَخْضَرُ      وَالنَّائِلُ الْغَمْرُ الَّذِي لَا يُنْزَرُ  
 وَارَاهُ عَنَا الْجَدْتُ الْمَغْوَرُ      قَدْ عَلِمَ الْقَوْمُ غَدَاةَ اسْتَعْبَرُوا<sup>3</sup>  
 وَالْقَبْرُ بَيْنَ الطَّلِحَاتِ يُحْفَرُ      أَنْ لَنْ يَرَوْا مِثْلَكَ حَتَّى يُنْشَرُوا  
 أَنَا أَتَانَا جَرَزٌ مَحْمَرُ      أَنْكَرَهُ سَرِيرُنَا وَالْمُنْبَرُ  
 وَالْمَسْجِدُ الْمُحْتَضَرُ الْمُطَهَّرُ      وَخَلَفَ يَا طَلْحَ مِنْكَ أَعْوَرُ  
 بَلِيَّةٌ يَا رَبَّنَا لَا نَسْخَرُ      أَقْلُ مِنْ شَبْرَيْنِ حِينَ يُشْبَرُ  
 مِثْلُ أَبِي الْقَعْوَاءِ لَا بَلْ أَقْصَرُ

قال : وَأَبُو الْقَعْوَاءِ حَاجِبٌ لَطَلْحَةَ كَانَ قَصِيرًا .

[بئس العقاب]

فقال عون بن عبد الرحمن بن سلامة ، وسلامة أمُّهُ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بَنَ مَرَّةً قَيْسَ : بِعَسْمَا قُلْتَ ! أَتَشَاهِرُ النَّاسَ بِشَتْمِ قَرِيشٍ ؟ فَقَالَ لَهُ ، إِنِّي لَمْ أَعَمْ ، إِنَّمَا سَمَّيْتُ رَجُلًا وَاحِدًا ، فَأَغْلَظَ لَهُ عَوْنٌ حَتَّى اتَّصَرَفَ عَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، ثُمَّ أَمَرَ عَوْنُ بْنُ أَخٍ لَهُ ، فَدَعَا أَبَا حُزَابَةَ فَأَطْعَمَهُ ، وَسَقَاهُ ، وَخَلَطَ فِي شَرَابِهِ شُبْرُمًا<sup>4</sup> فَسَلَّحَهُ ، فَخَرَجَ أَبُو حُزَابَةَ وَقَدْ أَخَذَهُ بَطْنُهُ ، فَسَلَّحَ عَلَى بَابِهِمْ وَفِي طَرِيقِهِ ، حَتَّى بَلَغَ أَهْلَهُ ، وَمَرَضَ أَشْهَرًا ، ثُمَّ عُوْفِي ، فَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ ، ثُمَّ أَتَى الْمَرْبِدَ فَإِذَا عَوْنُ بْنُ سَلَامَةَ وَقَفَ ، فَصَاحَ بِهِ ، فَوَقَفَ ، وَلَوْ لَمْ يَقِفْ كَانَ أَحْخَفَ لَهْجَائِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حُزَابَةَ : [من الرجز]

1 اللفاء : الخسيس .

2 زينة : كلاب .

3 المغور : البعيد الغور .

4 الشبرم : شراب مسهل .

يا عون قف واستمع الملامة  
 زنجية تحسبها نعامه  
 لا سلم الله على سلامة  
 شكاء شأن جسمها دمامه  
 ذات حر كرىشتي حمامه  
 بينهما بظفر كراس الهامه  
 أعلمتها وعالم العلامة  
 لو أن تحت بظرها صمامه  
 لدفعت قدماً بها أمامه

فكان الناس يصيحون به :

أعلمتها وعالم العلامة

[أبو حزابة ينشد طلحة]

أخبرني عمي قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني عمي أبو فراس ، عن الهيثم بن عدي قال : كان عبد الله بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل وقُتل معها يومئذ ، وعلى بني خلف نزلت عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصر بني خلف ، وكان هوى طلحة الطلحات أمويًا ، وكانت بنو أمية مكرمين له .

فأنشد أبو حزابة يوماً طلحة :

يا طلح يأي مجذك الإخلافا      والبخل لا يُعترفُ اعترافاً<sup>1</sup>  
 إن لنا أحمرّة عجافاً      يأكلُن كلَّ ليلةٍ إكافاً<sup>2</sup>

فأمر له طلحة بإبلٍ ودراهم ، وقال له : هذه مكانُ أحمرتك .

[يأي الوقوف باب يزيد]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال : حدثني العمري ، عن لقيط قال : قيل لأبي حزابة : لو أتيت يزيد بن معاوية لفرض لك ، وشرّك ، وألحقك بعليّة أصحابه ، فليست دونهم ، وكان أبو حزابة يومئذ غلاماً حدثاً ، وكان معاوية حيّاً ، ويزيد أميراً يومئذ ، فلما أكثر قومه عليه في ذلك وفي قولهم : إنك ستشرف بمصيرك إليه قال : [من الطويل]

يُشرفني سيفي وقلبٌ مُجانِبٌ      لكلّ لئيم باخلٍ ومعلّجٍ<sup>3</sup>

1 اعترفه : سأل عن حاله .

2 الإكاف : برذعة .

3 معلّج : أحرق لئيم .



وَكَرَّيْ عَلَى الْأَبْطَالِ طَرْفًا كَأَنَّهُ      ظَلِيمٌ وَضَرْبِي فَوْقَ رَأْسِ الْمَدَجِّجِ  
وَقَوْلِي إِذَا مَا النَّفْسُ جَاشَتْ وَأَجْهَشَتْ      مَخَافَةَ يَوْمٍ شَرُّهُ مَتَأَجِّجِ  
عَلَيْكَ غَمَارَ الْمَوْتِ يَا نَفْسُ إِنِّي      جَرِيءٌ عَلَى دَرِّ الشَّجَاعِ الْمُهْجَجِ<sup>1</sup>

[ثم ينفذ؛ فلا يصل إليه]

فلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ ، وَعَنْفَوْهُ فِي تَأَخَّرِهِ أَتَى يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ ، فَأَقَامَ بِيَابِهِ شَهْرًا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَرَجِعَ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَرَانِي مَا حَمَلَتْ عَيْنَايَ الْمَاءَ إِلَّا أَسِيرًا أَوْ قَتِيلًا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

فَوَاللَّهِ لَا آتِي يَزِيدَ وَلَوْ حَوْتُ      أَنَا مُلُهُ مَا بَيْنَ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ  
لَأَنَّ يَزِيدًا غَيْرَ اللَّهِ مَا بِهِ      جَنُوحٌ إِلَى السُّوءِ مُصِيرٌ عَلَى الذَّنْبِ  
فَقُلْ لِبَنِي حَرْبٍ تَقُوا اللَّهَ وَحْدَهُ      وَلَا تُسْعِدُوهُ فِي الْبَطَالَةِ وَاللَّعِبِ  
وَلَا تَأْمِنُوا التَّغْيِيرَ إِنْ دَامَ فَعْلُهُ      وَلَمْ يَنْهَهُ عَنْ ذَاكَ شَيْخُ بَنِي حَرْبٍ  
أَيْشِرُهَا صِرْفًا إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهُ      مَعْتَقَةٌ كَالْمَسْكِ تَخْتَالُ فِي الْعُلْبِ  
وَيَلْحَى عَلَيْهَا شَارِبِيهَا وَقَلْبُهُ      يَهِيمُ بِهَا إِنْ غَابَ يَوْمًا عَنِ الشَّرْبِ<sup>2</sup>

[يرهن سرجه ليبيت]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ ، عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : لَمَّا خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى الْحَجَّاجِ ، وَكَانَ مَعَهُ أَبُو حُرَابَةَ فَمَرُّوا بِدَسْتَبِي<sup>3</sup> وَبِهَا مَسْتَرَادُ<sup>4</sup> الصَّنَاجَةِ<sup>5</sup> ، وَكَانَتْ لَا يَبِيتُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا بِمِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَبَاتَ بِهَا أَبُو حُرَابَةَ وَرَهْنٌ عِنْدَهَا سَرْجُهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ لَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ صَاحَ بِهِ وَقَالَ : [مَنْ الرَّجَزُ]

أَمْرٌ عِضَالُ نَابِي فِي الْعَجِّ      كَأَنَّنِي مَطَالِبٌ بِخَرَجٍ<sup>6</sup>  
وَمَسْتَرَادٌ ذَهَبْتُ بِالسَّرَجِ      فِي فِتْنَةِ النَّاسِ وَهَذَا الْمَرْجِ

فَعَرَفَ ابْنُ الْأَشْعَثِ الْقِصَّةَ ، وَضَحِكَ ، وَأَمَرَ أَنْ يُفْتَكَّ لَهُ سَرْجُهُ ، وَيُعْطَى مَعَهُ أَلْفٌ

1 المهجج : الداهية .

2 الشرب : جماعة الشاربين .

3 دسبى : كورة كبيرة تشمل قرى كانت مقسومة بين الري وهمدان .

4 مستراد : موضع كمراد .

5 الصناجة : اللاعبون بالأوتار أو المغنون .

6 العجج : الصباح والضوضاء .

درهم ، وبلغت القصّة الحجاجُ فقال : أيجاهرُ في عسكره بالفجور فيضحك ، ولا ينكر !  
ظفرتُ به إن شاء الله .  
[لا يثبه على المدح فيهجوه]

أخبرني عمّي ، قال حدثنا الكُرانيّ عن العُمريّ ، عن العُتبيّ قال : مدح أبو حُرابة عبد الله بن  
علي العبّسميّ وهو على سِجستان فلم يُثبه فقال يهجوه : [من مجزوء الكامل]

هَبَّتْ تُعَاتِبُنِي أَمَا	مَةُ فِي السَّمَاحَةِ وَالْفِضَالِ
وَأَيَّتْ عِنْدَ عِتَابِهَا	إِلَّا خَلَائِقَ ذِي النَّوَالِ
أَعْطَى أَخِي وَأَحْوَطَهُ	جُهْدِي وَأَبْدُلْ جُلٍّ مَالِي
وَأَقِيهِ عِنْدَ تَشَاجُرِ الْأَبْطَا	لِ بِالْأَسْلِ النَّهَالِ
حِفْظًا لَهُ وَرِعَايَةً	لِلخَالِيَاتِ مِنَ اللَّيَالِي
إِذْ نَحْنُ نَشْرَبُ قَهْوَةً	دِرْيَاقَةً كَدَمِ الْغَزَالِ <sup>1</sup>
حَمَاءٌ يُذْهِبُ رِيحُهَا	مَا فِي الرُّؤُوسِ مِنَ الْخَبَالِ
وَإِذَا تَشَعَّشَعَ فِي الْإِنَا	ءِ رَمَتْ أَخَاهَا بِاغْتِيَالِ <sup>2</sup>
وَعَلَا الْحَبَابُ فَخَلَّتْهُ	عِقْدًا يُنْظَمُ مِنْ لَآلِي
تَشْفِي السَّقِيمَ بِرِيحِهَا	وَتُمِيتُهُ قَبْلَ الْإِجَالِ <sup>3</sup>
تِلْكَ الَّتِي تَرَكْتُ فَوْأَ	دَ أَيَّ حُرَابَةٍ فِي ضَلَالِ
لَا يَسْتَفِيقُ وَلَا يُفِي	قَ نَزِيفِهَا فِي كُلِّ حَالِ
وَإِذَا الْكِمَاءُ تَنَازَلُوا	وَمَشَى الرِّجَالُ إِلَى الرِّجَالِ
وَبَدَتْ كَتَائِبُ تَمْتَرِي	مُهْجَ الْكَتَائِبِ بِالْعَوَالِي <sup>4</sup>
فَأَبُو حُرَابَةٍ عِنْدَ ذَا	كَ أَخُو الْكَرِيهَةِ وَالنُّزَالِ
يَمْشِي الْعَرْضَةَ مُعَلِّمًا	بِالسَّيْفِ مَشِيًّا غَيْرَ آلِ <sup>5</sup>

1 درياقة : شفاء .

2 تشعشع : تمزج وتخلط .

3 الإجال : جمع أجل .

4 تمترى : تستخرج .

5 جاعلاً لنفسه علامة ليتحدّى الأبطال في النزال .

كاللث يترك قرنه      متجدلاً بين المجال  
إني نذير بني تميم      م من أخي قيل وقال  
من لا وجود ولا يسو      د ولا يجير من الهزال  
وتراه حين يجيئه السوء      ل يولع بالسعال  
متشاغلاً متحنحاً      كالكلب جمح للعطال<sup>1</sup>  
فارفض قريشاً كلها      من أجل ذي الداء العضال

يعني عبد الله بن عليّ العبشمي .

[يشيد بشجاعة التميميين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدثني محمد بن الهيثم الشاميّ قال : حدثني عمي أبو فراس ، عن العذريّ قال : دخل أبو حزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج ، وقد قدما بسيستان لحرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان عبد الرحمن لما قدماها هرب ، ولم يبق بسيستان من أصحابه إلا سعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها ، فقال لهما أبو حزابة : إن الرجل قد هرب منكما ، ولم يبق من أصحابه أحد ، وإنما بسيستان من كان بها من بني تميم قبل قدومه فقالا له : ما لهم عندنا أمان ، لأنهم قد كانوا مع ابن الأشعث ، وخلعوا الطاعة ، فقال : ما خلعوها ، ولكنه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقة . فلم يجيباه إلى ما أراد ، وعاد إلى قومه ، وحاصروهم أهل الشام ، فاستقتلت بنو تميم ، فكانوا يخرجون في كل يوم إليهم ، فيواقعونهم ، ويكبسونهم بالليل ، وينهبون أطرافهم ، حتى ضجروا بذلك ، فلما رأى عمارة فعلهم صالحهم ، وخرجوا إليه ، فلما رأى قتلهم قال : أما كنتم إلا ما أرى ! قالوا : نعم ، فإن شئت أن نُقيلك الصلح أفلناك ، وعُدنا للحرب ، فقال : أنا غنيّ عن ذلك ، وآمنهم ، فقال أبو حزابة في ذلك :

لله عيناً من رأى من فوارس      أكرّ على المكروه منهم وأصبرا  
وأكرم لو لاقوا سواداً مقاربا      ولكن لقوا طمّاً من البحر أخضرا<sup>2</sup>

1 جمح : الجمع : الكبر والفخر ويدو أن معناها هنا : الانتصاب . العطال : الملازمة في السفاد للكلاب ونحوها .

2 طمّاً : غمراً .

فما برحوا حتى أعضوا سيوفهم      ذرى الهام منهم والحديد المسمرا  
وحتى حسبتهم فوارس كهمس<sup>1</sup>      حيوا بعد ما ماتوا من الدهر أعصرا<sup>1</sup>

## صوت

[من المتقارب]

إذا الله لم يسق إلا الكرام      فسقى وجوه بني حنبل  
وسقى ديارهم باكراً      من الغيث في الزمن المجل  
تُكفكه بالعشي الجنوب<sup>2</sup>      وتفرغه هزة الشمال<sup>2</sup>  
كأن الرباب دوين السحاب<sup>3</sup>      نعام تعلق بالأرجل<sup>3</sup>

الشعر لزهير السكب التميمي المازني ، والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبصرة عن الهشامي

وحبش .

1 كهمس : أبو حي من ربيعة .

2 تفرغه في ل : وتفرعه .

3 الرباب : السحاب الأبيض .

## [ 489 ] - نسب زهير السكب وأخباره

[نسبه]

هو زهير بن عروة بن جُلْهُمَة بن حَجْر بن خُزَاعِيٍّ ، شاعر جاهليٌّ . وإنما لُقِّبَ السَّكْبَ  
ببيت قاله وقال فيه :

بَرَقَ يُضِيءُ خِلَالَ الْبَيْتِ أُسْكُوبُ<sup>1</sup>

[يتشوق إلى أبناء عمومته]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال : حَدَّثَنَا أَبُو هِفَانٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ هُرَيْمٍ عَنْ أَبِيهِ  
قال : كان زهير بن عروة المازنيّ الملقَّبَ بالسَّكْبِ جاهليّاً ، وكان من أشراف بني مازن  
وأشدائهم وفرسانهم وشُعرائهم ، فغاضب قومه في شيء ذمه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم  
من بني تميم ، فلحقه فيهم ضيم ، وأراد الرجوعَ إلى عشيرته ، فأبَتْ نفسه ذلك عليه ،  
فقال يتشوق ناساً منهم كانوا بني عمّه دنية يقال لهم بَنُو حَنْبَلٍ :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسْقِ إِلَّا الْكَرَامَ	فَسَقَى وَجْوهَ بَنِي حَنْبَلٍ
مُلْتَأً أَحْمَ دَوَانِي السَّحَابِ	هَزِيمَ الصَّلَاصِلِ وَالْأَزْمَلِ <sup>2</sup>
تَكَرَّرَهُ خَضْخَضَاتُ الْجَنُوبِ	وَتَفَرَّغَهُ هِزَّةُ الشَّمَالِ <sup>3</sup>
كَأَنَّ الرِّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ	نَعَامَ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ
فَنَعَمَ بَنُو الْعَمِّ وَالْأَقْرَبُونَ	لَدَى حُطْمَةِ الزَّمَنِ الْمُنْحَلِ <sup>4</sup>
وَنَعَمَ الْمَوَاسُونَ فِي النَّائِبَا	تَ لِلْجَارِ وَالْمُعْتَفَى الْمُرْمَلِ <sup>5</sup>

1 أُسْكُوبُ : المطر .

2 ملتا : دائم المطر لا ينقطع . أحم : أسود . صلصل الرعد : صفا صوته وواحدة الصلاصل : صلصلة . الأزمل :

الصوت المختلط .

3 تَكَرَّرَهُ : تجمعه بعد تفرقه . خَضْخَضَاتُ : جمع خَضْخَضَةٍ : وهي تحريك الماء والسويق ونحوهما . وريح الجنوب عند العرب ممطرة مخصبة بخلاف ريح الشمال . وتفرغه في ل : تفرقه .

4 حطمة : الشدة .

5 المعتفى : السائل . المرمَل : الذي نفذ زاده .

ونعم الحماة الكفاة العظيم  
 إذا غاِظُ الأمر لم يُحلل<sup>1</sup>  
 ميامين صبرٍ لدى العضلاتِ  
 على مَوجعِ الحدثِ المعضيلِ  
 مباديلُ عفواً جزيلَ العطاء  
 إذا فَضلةُ الزَّادِ لم تُبذل<sup>2</sup>  
 همُّ سبقوا يومَ جريِّ الكرامِ  
 ذوي السبقِ في الزمنِ الأوَّلِ  
 وساموا إلى المجدِ أهلَ الفعَالِ  
 فطالبوا بفعلهم الأطولِ

[أبو عمرو بن العلاء يستشهد بشعره]

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي : قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه  
 قال : سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرِّبابِ فقال : أما تراه معلقاً بالسحاب كالذيل له ،  
 أما سمعت قول صاحبنا السَّكَب :  
 [من المتقارب]

كَأَنَّ الرِّبابَ دُونَيْنِ السَّحَابِ      نَعَامٌ تَعْلُقُ بِالْأَرْجْلِ

### صوت

[من المتقارب]

سلا عن تذكُّره تُكْتَمَا      وكان رَهِينَا بِهَا مُغْرَمَا  
 وأقصرَ عنها وآثارُهَا      تُذَكِّرُهُ دَاءُهَا الْأَقْدَمَا  
 الشعر للنمير بن تولب ، والغناء لخزرج خفيف ثقیل أوَّل بالوسطى عن الهشامي .

1 غاِظُ الأمر : الأمر المجهد الشاق .

2 عفواً : فضلاً وزائداً .

[490] - أخبار النمر بن تولب ونسبه<sup>1</sup>

[اسمه ونسبه]

هو النمر بن تولب بن أقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل ، واسم عكل عوف بن عبد مناف ، بن أذ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر مقلٌ مخضرم أدركَ الجاهليّة ، وأسلم ، فحسُن إسلامه ، ووفد إلى النبي ﷺ ، وكتبَ له كتاباً ، فكان في أيدي أهله ، ورَوَى عنه ﷺ حديثاً سأذكره في موضعه ، وكان النمرُ أحدَ أجواد العرب المذكورين وفُرسانهم .

[أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس]

حدَّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال : أخبرنا محمد بن حبيب قال : قال الأصمعيّ : كان أبو عمرو بن العلاء يُسمي النمر بن تولب الكيسَ لجوْدَةِ شعره وحُسْنِهِ .

أخبرنا محمد بن خلف المرزبان قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد قال : أخبرنا محمد بن سلام الجُمَحِيّ ، وأخبرنا به أبو خليفة في كتابه إليّ ، عن محمد بن سلام قال : كان النمر بن تولب جواداً لا يُليق<sup>2</sup> شيئاً ، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيسَ لحُسْنِ شعره .

أخبرني هاشم بن محمد أبو ذُلف الخزاعيّ قال : أخبرنا الرياشيّ قال : حدَّثنا الأصمعيّ : قال حدَّثنا قُرّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير أَخِي مُطَرِّف ، وأخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدَّثنا محمد بن سلام قال : وفد النمر بن تولب على النبي ﷺ وكتبَ له كتاباً ، أخبرناه قُرّة بن خالد السُّدُوسِيّ وسعيد بن إلياس الجريديّ ، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير أَخِي مُطَرِّف .

[يحظى بكتاب نبوي]

وأخبرني عمِّي عن القاسم عن محمد الأنباريّ عن أحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ ، عن

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 309 وفي كتب الصحابة وطبقات ابن سعد ج7 ق1 ص 26 والمعمرين 63 والجمعي 36-38 والآل 284-285 والخزاة 1 : 152-156 ، وله ترجمة ضافية في شعر النمر بن تولب صنعة نوري حمودي القيسي . مطبعة المعارف بغداد ص 5-22 .

2 لا يُليق : لا يقي شيئاً لجوده وسخائه .

قُرّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله أخي مُطرف ، واللفظ قريبٌ بعضُهُ من بعض ، قال :  
 بينما نحنُ بهذا المريد جلوس ، يعني مريد البصرة ، إذ أتى علينا أعرابيٌّ أشعثُ الرأس ، فوقفَ  
 علينا ، فقلنا : والله لكانَ هذا الرجلَ ليس من أهل هذا البلد ، قال : أجل ، وإذا معه قطعة من  
 جراب أو أديم ، فقال : هذا كتاب كتبه لي رسول الله ﷺ ، فقرأناه فإذا فيه مكتوب ، بسم  
 الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمدٍ رسول الله ﷺ لبني زُهَيْر ، هكذا قال أحمدُ بنُ عبيد ،  
 وقال الباقر : لبني زُهَيْر بن أقيش ، حيٌّ من عَكل ، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأنِّي  
 رسول الله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخمس من الغنائم  
 وسهم النبي والصفي<sup>1</sup> فأنتم آمنون بأمان الله وأمانِ رسوله .

[يشكون في روايته ، فيغضب]

وقال أحمد بن عبيد الله في خبره خاصة : «لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» . وقالوا  
 جميعاً في الخبر : فقال له القوم : حدّثنا رَحِمَكَ اللهُ ، ما سمعت من رسول الله ﷺ ، فقال :  
 سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «صَوْمُ شهر الصَّبَر ، وصَوْمُ ثلاثة أيام من كلِّ شهر يُذهِبُ  
 كثيراً من وَحَرٍ الصدر» . فقال له القوم : أأنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال :  
 أراكم تخافون أن أكذبَ على رسول الله ﷺ ، لا حدّثتكم حديثاً ، ثم أهوى إلى الصحيفة ،  
 وانصاع<sup>3</sup> مُدبراً . قال يزيد بن عبد الله : فقل لي بعد ما مضى : هذا النمر بن تولب العُكليّ  
 الشاعر .

[مثل من كرمه]

أخبرني محمد بن خلف قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن خلف قال : أخبرنا محمد بن  
 سلام ، قال : خرج النمرُ بنُ تولب بعد ما كبر في إبله ، فسأله سائل ، فأعطاه فحلَّ إبله ،  
 فلما رجعت الإبل إذا فحلها ليس فيها ، فهتفت به امرأته ، وعدّلته ، وقالت : فهلاً غيرَ  
 فحل إبلك ؟ فقال لها :

دَعِينِي وَأَمْرِي سَأُكْفِيكِه  
 وَكُونِي قَعِيدَةً بَيْتِ ضُبَاعَا<sup>4</sup>  
 فَإِنَّكَ لَنْ تَرَشُدِي غَاوِيَا  
 وَلَنْ تَدْرَكِي لَكَ حِظًّا مُضَاعَا

وقال أيضاً في عدلها إياه :

[من المديد]

1 الصفي : ما اختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل القسمة وجمعه صفايا .

2 وحر : حقد وغيظ .

3 انصاع : انفتل راجعاً .

4 ضباع : يرجح أنها مرخم «ضباعة» زوجته .



بَكَرَتْ بِاللَّوْمِ تَلْحَانًا      فِي بَعِيرٍ ضَلَّ أَوْ حَانَا  
عَلَقَتْ لِسَوًّا تُكَرَّرُهَا      إِنَّ لِسَوًّا ذَاكَ أَعْيَانَا

قال : وأدرك الإسلام فأسلم .

[تخذه زوجه]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا محمد بن سلام قال : كان للنمر بن تولب أخ يقال له الحارث بن تولب ، وكان سيِّداً معظماً ، فأغار الحارث على بني أسد فسيى امرأة منهم ، يقال لها جَمْرَة بنت نوفل ، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففركته<sup>1</sup> ، فحبسها ، حتى استقرت ، وولدت له أولاداً ، ثم قالت له في بعض أيامها : أزرني أهلي فإنني قد اشتقت إليهم ، فقال لها : إنني أخاف إن صرت إلى أهلك أن تغلبيني على نفسك ، فوافقتة لترجعن إليه . فخرج بها في الشهر الحرام ، حتى أقدمها بلاد بني أسد ، فلما أطل على الحي تركته واقفاً ، وانصرفت إلى منزل بعلها الأول ، فمكثت طويلاً ، فلم ترجع إليه ، فعرف ما صنعت وأنها اختلعتة فانصرف وقال :

جزى الله عنا جَمْرَة ابنة نوفل      جزاء مُعِلٍّ بِالْأَمَانَةِ كاذب<sup>2</sup>  
لهان عليها أمسٍ موقفٌ راكبٍ      إلى جانب السَّرَحَاتِ أَخِيبِ خَائِبِ  
وقد سألتُ عني الوشاة ليكذبوا      عليّ وقد أبلتها في النوائب<sup>3</sup>  
وصدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِنَاعِهَا      بدا حاجبٌ منها وضئتُ بحاجبِ

وقال فيها أيضاً :

كلّ خليلٍ عليه الرعا      ثُ والحَبَلَاتُ كَذُوبٌ مَلِيقٌ<sup>4</sup>  
الحَبَلَاتُ : واحدها حَبَلَة ، وهي جنس من الحلي قَدَرُ ثَمَرِ الطَّلَحِ .  
وقامتُ إليّ فأحلفتُها      يَهْدِي قَلَائِدَهُ تَخْتَفِقُ<sup>5</sup>  
بأن لا أخونَكَ فيما علمت      فإن الخيَانَةَ شَرُّ الخُلُقِ  
وقال فيها أشعاراً كثيرة يطولُ ذكرُها .

1 فركته : أبغضته .

2 مغل : خائن .

3 أبلتها : أحسنت إليها .

4 الرعات : مفردها رعثة .

5 تختفق : تتحرك وتضطرب .

[يشبه حاتمًا في شعره]

أخبرني اليزيديّ ، عن محمد بن حبيب قال : كان أبو عمرو يُشَبِّه شِعْرَ النمر بِشِعْرِ حاتم الطائيّ .

[أفتى الشعراء]

أخبرني الحسين بن عليّ قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : بلغني أنّ صالح بن حسان قال يوماً لجلسائه : أيُّ الشعراء أفتى ؟ قالوا : عمر بن أبي ربيعة ، وقالوا : جميل ، وأكثرُوا القول ، فقال : أفتاهم النمر بن تولب حين يقول :

أُهِيمُ بَدْعَدَ مَا حَيَّيْتُ وَإِنْ أُمْتُ فَوَاحِزْنَا مَنْ ذَا يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي !

[جمرة توصيه بولده منها]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، عن محمد بن سلام قال : حجَّ النمر بن تولب بعد هرب جمرةً منه فنزل بمِنيّ ، ونزلت جمرةً مع زوجها قريباً منه ، ففرّقه ، فبعثت إليه بالسلام ، وسألته عن خبره ، ووصّته خيراً بولده منها فقال :

فَحَيِّيتِ عَنْ شَحْطٍ بِخَيْرٍ حَدِيثَنَا وَلَا يَأْمَنُ الْإِيَّامُ إِلَّا الْمُضَلَّلُ  
يُودُّ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فَكَيْفَ يَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ !

[شعره بين يدي الرسول]

أخبرني ابنُ المَرْزِيَّان قال : حدّثنا أبو محمد اليزيديّ ، عن الأصمعيّ . وأخبرنا اليزيديّ عن ابن حبيب عن الأصمعيّ قال : لما وفد النمر بن تولب على النبيّ ﷺ أنشده :

يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ عِنْدِي خَبَرٌ      اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ هَذَا الْقَمَرُ  
وَالشَّمْسُ وَالشَّعْرَى وَآيَاتٌ أُخَرُ      مِنْ يَتَسَامَ بِالْهَدَى فَالْخَبْتُ شَرًّا<sup>1</sup>  
إِنَّا أَتَيْنَاكَ وَقَدْ طَالَ السَّفَرُ      نَقُودُ خَيْلاً رُجْعاً فِيهَا ضَرَرٌ<sup>2</sup>  
نُطْعِمُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ

قال اليزيديّ ، عن ابن حبيب خاصة ، قال الأصمعيّ : أطعمها اللحم : أسقيها اللبن ، والعرب تقول : اللبن أحد اللحمين . وقال ابن حبيب : قال ابن الأعرابي : كانت العرب إذا لم تجد العلف دقت اللحم اليابس ، فأطعمته الخيل .

1 الشعري : نجم في السماء وهما شعريان : الكبير والغميضاء ، ويعدونهما أختي سهيل .

2 رجعاً : كلية .

[يتسلى عن جمره]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكُراني قال : حدثنا العُمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عيَّاش ، وأخبرنا ابنُ المَرْزبان قال : أخبرني عيسى بنُ يونس قال : حدثني محمد بن الفضل قال : حدثنا الهيثمُ بن عدي ، عن ابن عباس قال : لما فارق النمر بن تولب ، امرأته الأسدية جزع عليها ، حتى خيفَ على عقله ومكثَ أياماً لا يطعمُ ، ولا ينام ، فلما رأت عشيرته منه ذلك ، أقبلوا عليه يلومونه ، ويصبرونه ، وقالوا : إن في نساء العرب مندوحةً ومتسعاً ، وذكروا له امرأة من فخذة الأذنين يقال لها دَعْدُ ، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح ، فتزوَّجها ووقعت من قلبه وشغلته عن ذكر جَمَرَةٍ وفيها يقول : [من الطويل]

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِّتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْكَلُ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي  
وَالنَّاسُ يَرَوْنَ هَذَا الْبَيْتَ لِنُصِيبَ وَهُوَ خَطَأً .

أخبرني اليزيدي عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه . وأخبرني إبراهيم بن محمد الصائغ ، عن ابن قتيبة ، عن عبد الرحمن ، عن عمه ، عن حماد بن ربيعة أنه قال : أظرف الناس النمر بن تولب حيث يقول :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِّتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْكَلُ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي

[يرثي جمره]

أخبرني ابن المَرْزبان قال : أخبرني عبد الله بن محمد قال : أخبرني محمد بن سلام قال : لما بلغ النمر بن تولب أن امرأته جَمَرَةٌ تُوفِيَتْ ، نعاها له رجلٌ من قومه يقال له حِزَامُ أو حَرَامُ ، فقال :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْرَةً جَاءَ مِنْهَا بَيَانُ الْحَقِّ إِنْ صَدَقَ الْكَلَامُ  
نَعَاهَا بِالْنَدِيِّ لَنَا حَزَامُ حَدِيثُ مَا تَحْدُثُ يَا حَرَامُ  
فَلَا تَبْعُدْ وَقَدْ بَعْدَتْ وَأَجْرَى عَلَى جَدَثٍ تَضْمَنُهَا الْغَمَامُ

قال الأصمعي : يقال بَعِدَ وَابْعَدَ .

[يهذي في كبره]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال : حدثنا الرياشي ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو ، وأخبرني به هاشم بن محمد أبو دُلَفٍ الخُزاعي قال : حدثنا أبو غَسَّانَ دِمَاز ، عن أبي عبيدة ، أبي عمرو قال : أدرك النمر بن تولب النبي ﷺ ، فأسلم وحسن إسلامه ، وعُمِّرَ ، فطال عمره ، وكان جواداً واسعَ القِرَى كثيرَ الأضيافِ وهاباً لِمَالِهِ ، فلما كبر

خَرِفَ وأهتِر<sup>1</sup> ، فكان هَجِيرَاهُ<sup>2</sup> : اصْبَحُوا الرَّاكِبَ ، اغْبِقُوا الرَّاكِبَ اقْرُوا ، انْخَرُوا  
للضيف ، أعطوا السائل ، تحملوا لهذا في حِمَالته كذا وَكذا ، لعادته بذلك ، فلم يزل  
يَهْذِي بهذا وشبهه مدّة خَرْفَةٍ حتّى ماتَ .  
[خرق أفضل من خرف]

قال : وَخَرِفْتُ إمْرَأَةً مِنْ حَيٍّ كَرَامٍ عَظِيمٍ خَطَرُهُمْ وَخَطَرُهَا فِيهِمْ ، فكان هَجِيرَاهَا :  
زَوَّجُونِي ، قولوا للزَّوْجِي يَدْخُلْ ، مهْدُوا لِي إِلَى جَانِبِ زَوْجِي ، فقال عمرُ بن الخطاب ، وقد  
بلغه خبرُها : ما لَهَجَ به أخو عُكْل النمر بن تولب في خَرْفِهِ أَفْخَرُ وَأَسْرَى ، وأَجْمَلُ ممَّا لَهَجْتُ  
به صاحِبَتُكُمْ . ثم تَرَحَّمْ عليه .  
[يرثى أُنحاه]

أخبرني ابن المَرْزُبَان قال : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْعَامِرِيُّ ، قال : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْأَثَرَمُ ،  
عن أَبِي عُبَيْدَةَ قال : مات الحارث بن تولب ، فراثاه النمر فقال : [من الطويل]

لا زال صوبٌ مِنْ ربيعٍ وصيفٍ	يجودُ على حِسِّي الغمِيمِ فيثربٍ <sup>3</sup>
فوالله ما أسقي البلادَ لَحْبَهَا	ولكنّما أسقيكَ حارِ بن تولبٍ
تضمّنت أدواءَ العشيرة بينها	وأنت على أَعْوَادِ نَعَشٍ مُقَلَّبٍ
كأن امرءاً في النَّاسِ كنتَ ابنَ أُمّه	على فَلَجٍ من بطن دجلة مطنبٍ <sup>4</sup>

[يتمثل بأبياته]

قال حماد الراوية : كان النمرُ بنُ تولب كثيرَ البيت السائر والبيتِ المتمثل به ، فمن ذلك  
قوله :

لا تغضبنَّ على امرئٍ في ماله	وعلى كرائمِ صُلْبِ مالكٍ فاغضِبِ
وإذا تصبّك خصاصةٌ فارْجُ الغِنَى	وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارْغِبِ <sup>5</sup>

وقوله :

تَلَبَّسْ لِدَهْرِكَ أَثْوَابَهُ      فلن يبتني النَّاسُ ما هُدْمَا

1 أهتر : فقد عقله من الكبر .

2 هجيراه : ديدنه وعادته .

3 صيف : مطر يجيء في الصيف أو بعد الربيع . الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .

4 فلج : نهر صغير .

5 وإذا في الشعر والشعراء 310/1 ومتى .

وأحب حبيبك حباً رويداً      فليس يعولك أن تصرماً  
وأبغضُ بغضكُ بغضاً رويداً      إذا أنت حاولت أن تحكما

وقاله : [من الطويل]

أعاذلُ إن يصبحُ صداي بقفرة      بعيدِ نآني ناصري وقريري  
تَريُّ أن ما أبقيتُ لم أكُ ربه      وأن الذي أفيت كان نصيبي

[يعنى صديقه من الدية وينحملها]

نسخت من كتاب بخط السكري أبي سعيد قال : محمد بن حبيب : كان للنمر بن تولب صديق فأتاه النمر في ناس من قومه يسألونه في دية احتملوها ، فلما رآهم ، وسأله تبسم ، فقال النمر :

تبسم ضاحكاً لما رأي      وأصحابي لدى عنن التمام  
فقال له الرجل : إن لي نفساً تأمرني أن أعطيكم ، ونفساً تأمرني ألا أفعل ، فقال النمر :

أما خليلي فإنني غيرُ معجله      حتى يؤامرَ نفسه كما زعما  
نفسٌ له من نفوس الناس صالحة      تعطي الجزيلَ ونفس ترضع الغنما  
ثم قال النمر لأصحابه : لا تسألوا أحداً ، فالدية كلها علي .

[قصة سيف كالذي وصف النمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي قال : حدثنا أبي قال : حدثنا الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسن بن علي قال : جاء أعرابي إلى أبي ، وهو مستتر بسوقية<sup>1</sup> قبل مخرجه ، ومعه سيف قد علاه الصدا ، فقال : يا ابن رسول الله ، إني كنت ببطن قديد<sup>2</sup> ، أرعى إيلي وفيها فحل قظيم<sup>3</sup> ، قد كنت ضربه ، فحقد علي وأنا لا أدري ، فخلا بي فشد علي يريدني ، وأنا أخضر ، ودنا مني حتى أن لغامه ليسقط على رأسي لقربه مني . فأنا أشتد ، وأنا أنظر إلى الأرض لعلي أرى شيئاً أذبه عني به ، إذ وقعت عيني على هذا السيف قد فحص عنه السيل ، فظننته عوداً بالياً ، فضربت بيدي إليه ، فأخذته فإذا سيف ، فذببت به البعير عني ذباً ، والله ما أردت به الذي بلغت منه ، فأصبت خيشومه

1 سوقية : موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب .

2 قديد : موضع قرب مكة .

3 القطم : الصَّوُول .

فرميت بفَقْمِهِ<sup>1</sup> ، فعلمتُ أنه سيفٌ جيّد ، وظننتُه من سيوف القوم الذين كانوا قُتِلوا في وقعة قُدَيْد<sup>2</sup> ، وها هوذا قد أهديتُه لك يا ابن رسولِ الله قال : فأخذه منه أبي ، وسرَّ به . وجلس الأعرابيُّ يُحادثُه ، فبينما هو كذلك إذ أقبلت غنمٌ لأبي ثلاثمائة شاةٍ فيها رِعاوُها ، فقال له : أبي : يا أعرابيُّ هذه الغنم والرُّعاة لك مكافأةٌ لك عن هذا السيف ، قال : ثم أرسل به إلى المدينة ، أو أرسل إلى قَيْن<sup>3</sup> فأتني به من المدينة ، فأمر به فحُلِّي ، فخرج أكرَم سيوفِ الناس ، فأمر فأتخِذ له جَفَن ، ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد . فلمّا كان اليوم الذي قُتِل فيه ، قاتل بغيرِ ذلك السيف ، قال : وبقيَ ذلك السيف عند أختي فاطمة بنت محمد . فزرتُها يوماً وهي بينُوع في جماعة من أهل بيتي ، وكانت عند ابن عمِّها الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم أجمعين السلام ، فخرجت إلينا ، وكانت برّزة<sup>4</sup> تجلس لأهلها كما يجلس الرجال ، وتحدّثهم ، فجلست تحدّثنا ، وأمرت مولّي لها ، فنحَرَ لنا جزوراً<sup>5</sup> ليهيئ لنا طعاماً .

فنظرت إليها ، والجزورُ في النخل باركة ، وقد بردت وهي تُسلَخُ ، فقالت : إني لا أرى في هذه الجزور ، مضرباً حسناً . ثم دعت بالسيف ، وقالت : يا حسنُ ، فذتك أُختك ، هذا سيف أبيك ، فخذهُ واجمَع يدك في قائمهِ ، ثم اضرب به أثناءها من خلفها ، تريدُ عراقِيها ، وقد أثبتُّها للبروك ، وهي أربعة أعظم ، قال : فأخذتُ السيفَ ثم مضيتُ نحوها ، فضربت عراقِيها فقطعتُها ، والله ، أربعتُها وسبقني السيف ، فدخل في الأرض ، فأشفقتُ عليه أن ينكسرَ إن اجتذبتُه فحفرتُ عنه ، حتى استخرجتُه ، قال : فذكرتُ حينئذٍ قولَ النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأَيّامُ من نَمِرٍ      أسباد سيفٍ كريمٍ أثرُه بادِي<sup>6</sup>  
تظلّ تحفِر عنه الأرضُ مُدفعاً      بعد الذراعين والقيدِين والهادِي<sup>7</sup>

ويروى : تظلُّ تحفر عنه إن ظفرت به

1 الفقم : اللحي وطرف الخطم .

2 وقعة قُدَيْد : وقعة لأبي حمزة الخارجي على أهل المدينة .

3 القين : الحداد والصيقل .

4 برزة : متجاهرة جليلة تجلس للقوم يتحدثون إليها وهي عفيفة .

5 جزور : بعير أو ناقة تجزر .

6 أسباد : مفردة سبد وهو البقية .

7 في شعر النمر بن تولب 53 : إن ضربت به . الهادي : العنق وجمعه هواد .

[يشكو المشيب]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدثنا عمر بن شبة قال : أخبرني أحمد بن معاوية الباهليّ ، عن أبي عبيدة قال : قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فأنشأ يقول :

أصبحت لا يحملُ بعضي بعضاً      أشكو العروقَ الآبضات أبضاً<sup>1</sup>  
كما تشكّي الأرحبيّ الغرضاً      كأنّما كان شبابي قرضاً<sup>2</sup>

[من توسلاته]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال : حدثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : أنشدني حماد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجدّه :

أعذني ربّ من حصّر وعيٍّ      ومن نفسٍ أعالجها علاجا  
ومن حاجات نفسٍ فاعصمني      فإن لمضمّرات النفسِ حاجا  
فأنت وليّها وبرئت منها      إليك فما قضيت فلا خلاجا<sup>3</sup>

[عود إلى فتوته]

ثم قال : كان النمر أفتى خلق الله ، فقلت : وما كانت فتوته ؟ قال : أوليس فتى من يقول :

أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمتُ      فواحرنا من ذا يهيم بها بعدي

### صوت

[من الطويل]

أيا صاحبي رحلي دنا الموتُ فانزلا      برايةٍ إنّي مقيمٌ لياليا  
وخطأً بأطراف الأسيّة مضجعي      وردّاً على عينيّ فضلَ ردائيا  
ولا تحسداني بارك الله فيكما      من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا  
لعمري لئن غالت خراسان هامتي      لقد كنتُ عن بابي خراسان نائيا<sup>4</sup>

1 الآبضات : الشادات . وفي شعر النمر بن تولب 70 : النايات .

2 الأرحبيّ : كريم الفحول المنسوبة إلى قبيلة أرحب .

3 خلاجا : نزاعاً وشكاً .

4 هامتي : رأسي .

فيا ليتَ شِعري هل أُبِتْنَ لَيْلَةً      بجنبِ الغضا أُرْجِي القِلاصَ النواجي<sup>1</sup>  
الشعر لملك بن الريب ، والغناء لمعبد مّا لا يشكُّ فيه من غنائه ، خفيف ثقيل أول  
بالوسطى في مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير ، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن  
عائشة من رواية عليّ بن يحيى ، وفيه لابن سريج هَزَج بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن  
المكيّ ، وفيه لإبراهيم رَمَل بالوسطى عن عبد الله بن موسى في الأوّل والثالث من  
الأيّاتِ ، ولإبراهيم ثقيل أول في الخامس ثم الرابع عن الهشاميّ ، وقيل : إنّ الرَّمَل  
المنسوب إليه لنبيه .

1 النواجي : جمع ناجية أي سريعة .



[ 491 ] - أخبار مالك بن الرب ونسبه<sup>1</sup>

[نسبه]

هو مالك بن الرب بن حوط بن قُوط بن حِسل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقُوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

[لص قاطع طريق]

وكان شاعراً فاتكاً لصاً ، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية .

[الوالي يريد استصلاحه]

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش قال : أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وعن هشام ابن الكلبي وعن الفضل بن محمد وإسحاق بن الجصاص وحَمَّاد الراوية وكلُّهم قد حكى من خبره نحواً مما حكاه الآخرون قالوا : استعمل معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان ، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس ، فلقَّيه بها مالك بن الرب المازني ، وكان من أجمل النَّاس وجهاً ، وأحسنهم ثياباً فلما رآه سعيد أعجبه ، وقال له : ما لك ، ويحك تُفسد نفسك بقطع الطريق ! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد ، وفيك هذا الفضل ! قال : يدعوني إليه العجز عن المعالي ، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان ، قال : فإن أنا أغنيك واستصحبك ، أتكفُّ عما كنتَ تفعل ؟ قال : إي والله أيها الأمير ، أكفُّ كفاً لم يكفُّ أحدٌ أحسنَ منه ، قال : فاستصحبه ، وأجرى له خمسمائة درهم في كلِّ شهر .

[داود بن الحكم يتعقبه وأصحابه]

قالوا : وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الرب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحابه له ، منهم شِظاظ ، وهو مولى لبني تميم ، وكان أخبثهم ، وأبو حُرْذبة ، أحد بني أثالة بن مازن ، وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة ، وفيهم يقول الراجز : [ من الراجز ]

اللهُ نجاكَ من القصيم      وبطنِ فلج وبني تميم

1 انظر ترجمته في الشعر والشعراء 353/1 ، والخزانة 1 : 317-321 وشواهد المغني 215-216 واللاي

ومن أبي حردبة الأثيم ومالك وسيفه المسموم  
ومن شيطان الأحمر الزنيم ومن غويث فاتح العُكوم<sup>1</sup>

فساموا<sup>2</sup> الناس شراً ، وطلبهم مروان بن الحكم ، وهو عامل معاوية على المدينة ، فهربوا  
فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي ، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم ،  
فهربوا منه .

[يتوعد من يتوعده]

وبلغ مالك بن الرب أن الحارث بن حاطب يتوعده فقال : [من الوافر]

تألّي حِلْفَةً في غير جُرْمٍ	أميري حارث شيبه الصّرار <sup>3</sup>
عليّ لأجلدَنَ في غير جُرم	ولا أدنى فينفعني اعتذاري
وقلتُ وقد ضمنتُ إليّ جأشي	تحلّلْ لا تألْ عليّ حارٍ
فإنّي سوف يكفينيك عَزمي	ونصّ العيس بالبلد القفار <sup>4</sup>
وعنسّ ذات معجمة أمون	علنداة موثّقة الفقار <sup>5</sup>
تزيّف إذا تواهقت المطايا	كما زاف المشرف للخطر <sup>6</sup>
وإن ضربت بلحيها وعامت	تفصم عنهما حلق السفار <sup>7</sup>
مراحاً غير ما ضغن ولكن	لجاجة حين تشتبه الصحاري
إذا ما استقبلت جؤنا بهيما	تفرّج عن مخيصة حضار <sup>8</sup>
إذا ما حال روض رباب دوني	وتثليث فشأنك بالكار <sup>9</sup>

1 الزنيم : الملحق بقوم ليس منهم ولا يحتاجون إليه . العكوم : جمع عكم وهو الحمل .

2 ل : فسعروا .

3 الصرار : ما يشدّ فوق خلف الناقة من خيط .

4 نص العيس : إجهادي النوق على السير الشديد وفي ل : ونصّي .

5 العنس : الناقة الصلبة القوية . ذات معجمة : ذات قوة وسمن وبقاء على السير . أمون : موثقة الخلق مأمونة الكلال . علنداة : ضخمة شديدة طويلة .

6 تزيّف : تسرع في تمايل . تواهقت : تبارت وتنافست .

7 تفصم : تكسر من غير انفصال . السفار : حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير كالحكمة للفرس .

8 مخيصة : مذلة منقادة . حضار : جمعت قوة وجودة سير .

9 رباب : أرض بين ديار بني عامر والحارث بن كعب . تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة .

وَأَنِيَابٌ سِيُخْلِفُهُنَّ سَيْفِي      وَشَدَّاتُ الْكَمِيِّ عَلَى التَّجَارِ<sup>1</sup>  
 فَإِنْ أَسْطَعَ أَرَحَ مِنْهُ أَنَاسِي      بِضْرَةِ فَاتِكَ غَيْرِ اعْتَذَارِ  
 وَإِنْ يُقْلِتْ فَإِنِّي سَوْفَ أَبْغِي      بَنِيهِ بِالْمَدِينَةِ أَوْ صِرَارِ<sup>2</sup>  
 أَلَا مِنْ مَبْلَغٍ مَرَّوَانٍ عَنِّي      فَإِنِّي لَيْسَ دَهْرِي بِالْفِرَارِ  
 وَلَا جَزَعٍ مِنَ الْحَدَثَانِ يَوْمًا      وَلَكِنِّي أُرُودُ لَكُمْ وَبَارِ  
 وَبَار : أَرْضٌ لَمْ يَطَأَ أَحَدٌ ثَرَاهَا .

بِهَزْمَارٍ تَرَادُّ الْعَيْسُ فِيهَا      إِذَا أَشْفَقَنَ مِنْ قَلَقِ الصَّفَارِ<sup>3</sup>  
 وَهَنٌ يَحْشَنُ بِالْأَعْنَاقِ حَوْشًا      كَأَنَّ عِظَامَهُنَّ قِدَاحُ بَارِ<sup>4</sup>  
 كَأَنَّ الرَّحْلَ أُسَارَ مِنْ قَرَاهَا      هَلَالَ عَشِيَّةٍ بَعْدَ السَّرَارِ<sup>5</sup>  
 رَأَيْتُ وَقَدْ أَتَى بُحْرَانُ دُونِي      لِلَّيْلِ بِالْغَمِيمِ ضَوْءُ نَارِ<sup>6</sup>  
 إِذَا مَا قَلْتُ : قَدْ خَمَدَتْ زَهَاها      عُصِي الرُّنْدِ وَالْعَصْفِ السَّوَارِ<sup>7</sup>  
 يُشَبُّ وَقُودَهَا وَيُلُوحُ وَهَنَا      كَمَا لَاحَ الشُّبُوبُ مِنَ الصَّوَارِ<sup>8</sup>  
 كَأَنَّ النَّارَ إِذْ شَبَّتْ لِلَّيْلِ      أَضَاءَتْ جِيدَ مُغْزَلَةِ نَوَارِ<sup>9</sup>  
 وَتَصْطَاذُ الْقُلُوبَ عَلَى مَطَاهَا      بَلَا جَعَدَ الْقُرُونِ وَلَا قِصَارِ<sup>10</sup>  
 وَتَبَسُّمٌ عَنْ نَقِيِّ اللَّوْنِ عَذْبُ      كَمَا شَيْفَ الْأَقَاحِيِّ بِالْقَطَارِ<sup>11</sup>  
 أَتَجَزَعُ أَنْ عَرَفْتَ بَيْطَنَ قَوْ      وَصَحْرَاءَ الْأَدْيِهِمْ رَسْمَ دَارِ<sup>12</sup>

- 1 أنياب جمع ناب وهي الناقة المسنة .
- 2 صرار : ماء قرب المدينة على سمت العراق .
- 3 بهزمار في ل : بمومة . الصفار : تلتصق بالضلوع فتعضها عند الجوع .
- 4 يحشن : يرمين .
- 5 أسار : أبقي . والقرا : الظهر . السرار : آخر الشهر .
- 6 الغميم : ماء لبني سعد .
- 7 الرند : شجر طيب الرائحة يستعمل في البخور . العصف : جمع عصوف وهي الريح الشديدة .
- 8 الشبوب : الشاب من البقر . الصوار ، كغراب : القطيع من البقر .
- 9 مغزلة : ذات غزال . نوار : نفور .
- 10 القرون الجعدة : القصيرة ، والقرون : الضفائر . قصار : اسم من قصر .
- 11 شيف : جلي ، ومنه درهم مشوف مجلو .
- 12 بطن قو : واد بين البصرة والمدينة .

وإن حلَّ الخليطُ ولستَ فيهم      مراعٍ بين دحلٍ إلى سرارٍ<sup>1</sup>  
إذا حلُّوا بعائجةٍ خلاء      يُقطِّفُ نورَ حنوتِها العذاري<sup>2</sup>

[يقتل حارسه ويخلص صديقه]

فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأخذه ، وأخذ أبا حردبة ، فبعث بأبي حردبة وتخلَّف الأنصاريّ مع القوم الذين كان مالكٌ فيهم ، وأمر غلاماً له ، فجعلَ يسوق مالكا . فتغفَّل مالكٌ غلامَ الأنصاريّ ، وعليه السيف ، فانتزعه منه ، وقتله به ، وشدَّ على الأنصاريّ ، فضربه بالسيف حتى قتله ، وجعل يقتل مَنْ كان معه يميناً وشمالاً .

ثم لحق بأبي حردبة ، فتخلَّصه ، وركبا إبلَ الأنصاريّ ، وخرجا فراراً من ذلك هارين ، حتى أتيا البحرين ، واجتمعَ إليهما أصحابُهما ، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالكٌ ، فلم يزل بفارس ، حتى قديم عليه سعيد بن عثمان ، فاستصحبه .

[شعره في مهره]

فقال مالك في مهره ذلك :

أحقاً على السلطان أمّا الذي لَهُ      فُيعطِي وأمّا ما يراؤُ فيمنعُ  
إذا ما جعلتُ الرملَ بيني وبينه      وأعرضُ سهبٌ بين يبرين بلقعُ<sup>3</sup>  
من الأدمى لا يستجمُّ بها القطا      تكلُّ الرياحُ دونه فتقطعُ<sup>4</sup>  
فشانكم يا آل مروان فاطلبوا      سقاطي فما فيه لباغيه مَطمعُ<sup>5</sup>  
وما أنا كالعير المقيم لأهله      على القيد في بُحبوحة الضيم يَرْتعُ  
ولولا رسولُ الله أن كان منكم      تبينَ مَنْ بالنَّصف يَرْضَى ويقنعُ

وقال أيضاً :

لو كنتم تنكرون الغدرَ قلت لكم      يا آل مروان جاري منكم الحكمُ  
وأتقيكم يمينُ الله ضاحيةً      عند الشهودِ وقد توفي به الذمُّ

[من البسيط]

1 مراعٍ : موضع قريب من حزن بني يربوع . سرار : واد .

2 الحنوة : نبت طيب الريح .

3 يبرين : قرية كثيرة النخل والعيون بخذاء الأحساء .

4 الأدمى : موضع ببلاد سعد .

5 سقاطي : عثاري وسقوطي .

لا كنتُ أحدثُ سوءاً في إمارتكم      ولا الذي فات مني قبل ينتقمُ  
نحنُ الذين إذا خفتُم مجللةً      قلتُم لنا : إننا منكم لتعتصموا<sup>1</sup>  
حتى إذا انفرجتْ عنكم دجنتها      صرتم كجرمٍ فلا إلَّ ولا رجمُ

وقال مالكٌ حين قتل غلام الأنصاري الذي كان يقوده : [من الطويل]

غلامٌ يقول السيف يُثقل عاتقي      إذا قادي وسَطَ الرجال المجحدل<sup>2</sup>  
فلولا ذبابُ السيف ظلَّ يقودني      ينسعه شُنُ البنان حزنبل<sup>3</sup>

[أراد اغتيال مالك فاغثاله]

قالوا : وبينا مالك بن الرب ذات ليلة في بعض هناته وهو نائم ، وكان لا ينام إلا متوشحاً بالسيف ، إذ هو بشيء قد جثم عليه لا يدري ما هو ، فانتفض به مالك ، فسقط عنه ، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية ، فقال مالك في ذلك :

أدلجتُ في مهمه ما إن أرى أحداً      حتى إذا حان تعريسُ لمن نَزلا  
وضعتُ جنبي وقلتُ : الله يكلؤني      مهما تنم عنك من عينٍ فما غفلا<sup>4</sup>  
والسيفُ بيني وبين الثوب مشعره      أخشى الحوادثُ إنِّي لم أكن وكِلا<sup>5</sup>  
ما نمتُ إلا قليلاً نمته شئراً      حتى وجدتُ على جُثماني الثُقلا<sup>6</sup>  
داهية من دواهي الليل بيّنتني      مُجاهداً يبتغي نفسي وما ختلا  
أهويتُ نفحاً له والليل سائرهُ      إلا توخيتُهُ والجرس فانخزلا<sup>7</sup>  
لما ثنى الله عني شرَّ عدوته      رقدت لا مُبْتَأً دُعراً ولا بعلا<sup>8</sup>  
أما ترى الدار قفراً لا أنيسَ بها      إلا الوحوشَ وأمسي أهلها احتملا

1 مجللة : نازلة عامة .

2 جحدل فلان فلاناً : صرعه .

3 النسعة : قطعة من سير أو جبل من آدم تشد به الرجال . شُن : غليظ . حزنبل : قصير وثيق الخلق .

4 عين في ل : ليل .

5 مشعره : جاعله شعاري .

6 شئراً : قلقاً .

7 نفحاً : ضرباً . انخزل : انقطع .

8 بعلاً : دهشاً فرقاً .

بين المنيفة حيث استنّ مدفعها  
وقد تقول وما تخفى لجارتها  
من يشهد الحرب يصلها ويسعرها  
خذها فإني لضرب إذا اختلفت  
وقال مالك في ذلك أيضاً :

[من الكامل]

يا غاسلاً تحت الظلام مطيةً  
أننى أنختُ لشابك أنيابه  
لا يستريح عزيمةً يُرمى بها  
حرباء تنصبه وبيت هواجر  
لم يدر ما غرفُ القصور وفيوها  
يقظ الفؤاد إذا القلوب تآنت  
حيث الدجى متطلعاً لغفوله  
فوجدته بُتَ الجنان مُشيّعاً  
ففراك أبيض كالعقيقة صارماً  
فركبتَ ردعك بين ثني فائزٍ

[رجل حرب لا سائس إيل]

قال : وانطلق مالك بن الربيع مع سعيد بن عثمان إلى خراسان ، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن ، فطلبوا صاحب إبلهم ، فلم يجده ، فقال مالك لغلام من غلمان سعيد : أذن مني فلانة ، لئلا كانت لسعيد غزيرة ، فأدناها منه ، فمسحها وأبس<sup>8</sup> بها حتى

- 1 المنيفة : ماء لثميم على فليح بين نجد واليمامة . استنّ : وضع . مدفعها : مسيلها ومجرها . فردة : جبل في ديار طيء . قبلاً : عياناً .
- 2 يختل البطلا : أي ينزع أعلى البيضة .
- 3 شابك : الأسد المشبك الأنياب .
- 4 عاري الأشجاع : رؤوس الأصابع ، جمع أشجع .
- 5 مشيعاً : شجاعاً .
- 6 العقيقة : البرقة المستطيلة في عرض السحاب يكثر استعارتها للسيف .
- 7 الردع في الأصل : الزعفران ، ويقال للقتيل : ركب ردعه إذا خرّ لوجهه على دمه . فائز : المراد به السيف .
- 8 أبس : مسح ضرعها .

درت ، ثم حلبها ، فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأغزره دِرَّةً ، فانطلق الغلام إلى سعيد ، فأخبره ، فقال سعيد لمالك : هل لك أن تقوم بأمر إبلي ، فتكون فيها ، وأجزل لك الرزق إلى ما أرزقك ، وأضع عنك الغزو ؟ فقال مالك في ذلك : [من الطويل]

إني لأستحيي الفوارس أن أرى      بأرض العدا بؤ المخاض الروائم<sup>1</sup>  
وإني لأستحيي إذا الحرب شمرت      أن أرخي دون الحرب ثوب المسلم  
وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى      ولا المتقي في السلم جرّ الجرائم  
ولا المتأني في العواقب للذي      أهم به من فاتكات العزائم  
ولكنني مستوحد العزم مقدّم      على غمرات الحادث المتفام  
قليل اختلاف الرأي في الحرب باسل      جميع الفؤاد عند حلّ العظام

فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان ، علم أنه ليس بصاحب إبل ، وأنه صاحب حرب ، فانطلق به معه .

[مالك والذئب]

قالوا : وبينما مالك بن الرب ليلة نائم في بعض مغاراته إذ بيته ذئب ، فزجره فلم يزدجر ، فأعاد ، فلم يرح ، فوثب إليه بالسيف ، فضربه ، فقتله ، وقال مالك في ذلك : [من الطويل]

أذئب الغضا قد صرت للناس ضحكة      تغادى بك الركبان شرقاً إلى غرب  
فأنت وإن كنت الجريء جناؤه      منيت بضيرغام من الأسد الغلب  
بمن لا ينام الليل إلا وسيفه      رهينة أقوام سراع إلى الشغب  
ألم ترني يا ذئب إذ جئت طارقاً      تخالطني أني امرؤ وافر اللب  
زجرتك مرات فلما غلبتني      ولم تنزجر نهنت غربك بالضرب<sup>2</sup>  
فصرت لقى لما علاك ابن حرة      بأبيض قطّاع يُنجي من الكرب  
ألا رب يوم رب لو كنت شاهداً      هالك كرّي عند معمة الحرب  
ولست ترى إلا كمياً مجدلاً      يدها جميعاً تثبتان من الترب  
وآخر يهوي طائر القلب هارباً      وكنت امرأة في الهيج مجتمع القلب

1 الروائم : جمع رائم ورائمة : عطوف على ولدها .

2 نهنت : كففت .

أُصُولُ بذي الزَّرَّينِ أَمْشِي عِرْضَنُ<sup>1</sup>      إِلَى الْمَوْتِ وَالْأَقْرَانُ كَالْإِبِلِ الْجُرْبِ<sup>1</sup>  
أَرَى الْمَوْتَ لَا أَنْحَاشُ عَنْهُ تَكَرَّمَا      وَلَوْ شِئْتُ لَمْ أَرْكَبْ عَلَى الْمَرْكَبِ الصَّعْبِ  
وَلَكِنْ أَبْتُ نَفْسِي وَكَانَتْ أُبْيَّةُ      تَقَاعَسُ أَوْ يَنْصَاعُ قَوْمٌ مِنَ الرَّعْبِ

[ابنته تخشى فراقاً لا لقاء بعده]

قال أبو عبيدة : لما خرج مالكُ بنُ الريبِ مع سعيد بن عثمان تعلقت ابنته بثوبه ، وبكت ، وقالت له : أخشى أن يطولَ سفركُ أو يحولَ الموتُ بيننا فلا نلتقي ، فبكى وأنشأ يقول :

[من الخفيف]

وَلَقَدْ قُلْتُ لِابْنَتِي وَهِيَ تَبْكِي      بِدُخِيلٍ الْهُمُومُ قَلْباً كَثِيباً  
وَهِيَ تُذَرِّي مِنَ الدَّمْعِ عَلَى الْخَدَّيْ      مِنْ مَنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غُرُوباً  
عَبْرَاتُ يَكِدُنْ يَجْرَحُنْ مَا جُزْ      نَ بِهِ أَوْ يَدْعُنْ فِيهِ نُدُوباً  
حَذَرَ الْحَتَفِ أَنْ يَصِيبَ أَبَاهَا      وَيَلَاقِي فِي غَيْرِ أَهْلِ شَعُوباً<sup>2</sup>  
اسْكُتِي قَدْ حَزَزْتَ بِالْدمْعِ قَلْبِي      طَالَمَا حَزَّ دَمْعُكَ الْقُلُوبَا  
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَدَافِعَ عَنِّي      رَيْبَ مَا تَحْذِرِينَ حَتَّى أَؤْبَا  
لَيْسَ شَيْءٌ يَشَاوُهُ ذُو الْمَعَالِي      بَعِزِيزٍ عَلَيْهِ فَادْعِي الْمُجِيبَا  
وَدْعِي أَنْ تُقَطَّعِي الْآنَ قَلْبِي      أَوْ تُرِينِي فِي رَحْلَتِي تَعْذِيبَا  
أَنَا فِي قَبْضَةِ إِلَهِ كُنْتُ      تَ بَعِيداً أَوْ كُنْتُ مِنْكَ قَرِيبَا  
كَمْ رَأَيْنا امْرَأً أَتَى مِنْ بَعِيدٍ      وَمَقِيماً عَلَى الْفِرَاشِ أُصِيبَا  
فَدَعِينِي مِنْ اتِّحَابِكَ إِنِّي      لَا أَبَالِي إِذَا اعْتَزَمْتُ النَّحِيبَا  
حَسْبِيَ اللَّهُ ثُمَّ قَرَبْتُ لِلَّسِّ      سِرَّ عِلَآةٍ أَنْجِبَ بِهَا مَرْكُوبَا<sup>3</sup>

[خروجه من أجل ضربة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعي قال : حَدَّثَنَا دِمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : كَانَ سَبَبُ خُرُوجِ مَالِكِ بْنِ الرِّيبِ إِلَى خُرَاسَانَ وَاسْتِثَابِهِ مَعَ سَعِيدِ بْنِ عُثْمَانَ ، هَرَباً مِنْ ضَرْطَةٍ ، فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَرَّ مَالِكُ بِلَيْلِ الْأَخْيَلِيَّةِ ، فَجَلَسَ إِلَيْهَا يَحَادِثُهَا طَوِيلاً ، وَأَنْشَدَهَا . فَأَقْبَلَتْ

1 الزرين : الحدين . عرضة : أي أَمْشِي بقوة .

2 شعوب : علم على المنية .

3 علاة : ناقة مشرفة .



عليه ، وأعجبت به حتى طمِع في وصلها ، ثم إذا هو بفتى قد جاء إليها ، كأنه نصلُ سيف ، فجلس إليها ؛ فأعرضت عن مالك وتهاوت به ، حتى كأنه عندها عُصفور ، وأقبلت على صاحبها ملياً من نهارها ، ففاظه ذلك من فعلها ، وأقبل على الرجل ، فقال : مَنْ أنت ؟ فقال : توبةُ بن الحمير ، فقال : هل لك في المصارعة ؟ قال : وما دعاكَ إلى ذلك وأنت ضيفنا وجارنا ؟ قال : لا بدَّ منه ، فظنَّ أنَّ ذلك لخوفه منه ، فزداد لجاجاً ، فقام توبةُ فصارعه ، فلما سقط مالك إلى الأرض ضَرَطَ ضَرَطَةً هائلةً ، فضحكت ليلي منه . واستحيا مالك ، فاكتب بخراسان وقال : لا أقيم في بلد العرب أبداً ، وقد تحدّثتُ عني بهذا الحديث ، فلم يزل بخراسان حتى مات ، فقبّره هناك معروف<sup>1</sup> .

[ يذكّر مع أصحابه ماضيهم ]

وقال المدائني ، وحَدَّثني أبو الهيثم : قال : اجتمع مالكُ بن الرب وأبو حَرْدبة وشيْظان يوماً ، فقالوا : تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سِرْقَتنا ، فقال أبو حَرْدبة : أعجب ما صنعت ، وأعجب ما سرقتُ أني صحبتُ رُفْقَةً فيها رجل على رَحْل ، فأعجبنِي ، فقلت لصاحبي ، والله لأسرقنَّ رَحْلَه ، ثم لا رضىتُ أو آخذَ عليه جُعالةً ، فرمقته ، حتى رأيته قد خَفَقَ برأسه ، فأخذتُ بِخِطَامِ جَمَلِه ، فقدته ، وعدَلْتُ به عن الطريق ، حتى إذا صيرتُه في مكان لا يغاثُ فيه إن استغاث ، أنخت البعيرَ وصرعته ، فأوثقت يده ورجله ، وقدتُ الجمل ، فغيبته ثم رجعت إلى الرُفْقَةِ ، وقد فقدوا صاحبهم ، فهم يسترجعون ، فقلت : ما لكم ؟ فقالوا : صاحبٌ لنا فقدناه ، فقلت : أنا أعلم النَّاسَ بأثره ، فجعَلوا لي جُعالةً ، فخرجت بهم أتبع الأثرَ ، حتى وقفوا عليه ، فقالوا : ما لك ؟ قال : لا أدري ، نَعَسْتُ ، فانتبهتُ لخمسين فارساً قد أخذوني ، فقَاتلتهم ، فغَلَبُونِي .

قال أبو حَرْدبة ؛ فجعلت أضْحَك من كذبه ، وأعطوني جُعالتي ، وذهبوا بصاحبهم . وأعجب ما سرقتُ أنه مرَّ بي رجل معه ناقةٌ وجمل ، وهو على الناقة ، فقلت : لآخذنهما جميعاً ، فجعلت أعارضه وقد رأيته قد خَفَقَ برأسه ، فدرت ، فأخذتُ الجملَ ، فحللته ، وسقته ، فغيبته في القَصِيم ، وهو الموضع الذي كانوا يسرقون فيه ، ثم اتبته ، فالتفت ، فلم يَرَ جَمَلَه ، فنزل وعَقَلَ راحلته ، ومضى في طلب الجمل . ودُرْتُ فحللت عِقَالَ ناقته ، وسقته .

فقالوا لأبي حَرْدبة : ويحك ! فحَتَّام تكون هكذا ! قال : اسكتوا ، فكأنكم بي وقد تبت ، واشتريتُ فرساً ، وخرجتُ مجاهداً ، فبينما أنا واقف إذ جاءني سهمٌ كأنه قطعة

1 يُروى هذا الخبر فيما سبق مع رجل آخر .

رِشاء ، فوقع في نخري ، فمِتُّ شهيداً . قال : فكان كذلك : تاب ، وقديم البصرة ، فاشترى فرساً ، وغزا الروم ، فأصابه سهم في نخره فاستشهد .

ثم قالوا لشِطَاط : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك ، ورأيت فيها ، فقال : نعم كان فلان (رجل من أهل البصرة) له بنتٌ عمّ ذاتُ مال كثير ، وهو وليُّها ، وكانت له نِسوة ، فأبت أن تتزوَّجَه ، فحلف ألا يزوّجَها من أحدٍ ضراراً لها ، وكان يخطبُها رجل غني من أهل البصرة ، فحَرِصَت عليه ، وأبى الآخر أن يزوّجَها منه ، ثم إن وليَّ الأمر حجَّ ، حتى إذا كان بالدَّو<sup>1</sup> ، على مرحلة من البصرة حذاءها ، قريب منه جبل يقال له سَنام ، وهو منزل الرفاق إذا صدرت ، أو وردت ، مات الوليُّ ، فدفن برابية ، وشيّد على قبره ، فتزوَّجت الرجل الذي كان يخطبها . قال شِطَاط :

وخرجت رُفقة من البصرة معهم بَزَ ومتاع ، فتبصرتهم وما معهم وأتبعتهم حتى نزلوا ، فلمّا ناموا بيّتهم ، وأخذت من متاعهم . ثم إنَّ القوم أخذوني ، وضربوني ضرباً شديداً ، وجردوني ، قال : وذلك في ليلة قَرّة ، وسلبوني كلّ قليل وكثير ، فركوني عُرياناً ، وتماوت لهم ، وارتحل القوم ، فقلت : كيف أصنع ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيته ، فنزعتُ لوحه ، ثم احتفرت فيه سَرَباً ، فدخلت فيه ، ثم سددت عليّ باللوح ، وقلت : لعلّي الآن أدفأ فأتبعهم . قال : ومرَّ الرجل الذي تزوّج بالمرأة في الرُفقة ، فمرَّ بالقبر الذي أنا فيه ، فوقف عليه ، وقال لرفيقه : والله لأنزلنَّ إلى قبر فلان ، حتى أنظر هل يحمي الآن بُضْعُ فلانة ؟ قال شِطَاط : فعرفت صوته فقلعتُ اللوح ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القبر ، وقلت : بلى وربّ الكعبة لأحميها ، فوقع والله على وجهه مَعْشياً عليه ، لا يتحرّك ولا يعقل . فسقط من يده خِطام الراحلة ، فأخذت وعهد الله بخطامها فجلستُ عليها ، وعليها كلّ أداة وثياب ونقد كان معه ، ثم وجَّهتها قصدَ مطلع الشمس هارباً من الناس ، فنجوتُ بها ، فكنت بعد ذلك أسمعُه يحدثُ الناس بالبصرة ، ويحلف لهم أن الميِّت الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بسكِّيه وكَفَنه . فبقي يومه ، ثم هرب منه ، والناس يعجبون منه فعاقلهم يكذِّبه ، والأحقُّ منهم يصدقه ، وأنا أعرف القصة ، فأضحكُ منهم كالمتعجب .

[مغامرة أخرى لشِطَاط]

قالوا : فردنا ، قال : فأنّا أزيدكم أعجبَ من هذا وأحقّ من هذا ؛ إنِّي لأمشي في الطريق أبتغي شيئاً أسْرِقه ، قال : فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، قال : وكان هناك شجرة ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظلٌّ غيرها ، وإذا أنا برجل يسيرُ على حمار له ، فقلت له : أسمعُ ؟

قال : نعم ، قلتُ : إنَّ المقيِل الذي تريد أن تقيله يُخسَفُ بالدوابِّ فيه ، فاحذره ، فلم يلتفت إلى قولي . قال : ورمقته ، حتى إذا نام أقبلتُ على حماره ، فاستقته ، حتى إذا برزت به ، قطعتُ طَرَفَ ذَنبِهِ وأذنيه ، وأخذتُ الحمارَ ، فخبأته وأبصرته حين استيقظ من نومه ، فقام بطلب الحمارَ ، ويقفو أثره ، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى طَرَفِ ذَنبِهِ وأذنيه ، فقال : لعمري لقد حُدِّرْتُ لو نفعني الحذر ، وأستمرَّ هارباً خوف أن يُخسَفَ به ، فأخذتُ جميع ما بقي من رحله فحملته على الحمار ، واستمرَّ فألحق بأهلي .

[الحجاج يصلب شظائلاً]

قال أبو الهيثم : ثم صلب الحجاجُ رجلاً من الشُّرَاة بالبصرة ، وراح عشيّاً ، لينظر إليه ، فإذا برجل بإزائه مُقبِل بوجهه عليه ، فدنا منه ، فسمعه يقول للمصلوب : طال ما ركبتُ فأعقب ، فقال الحجاج : من هذا ؟ قالوا : هذا شِظَاظُ اللَّصِّ قال : لا جرم ! والله ليُعَقِّبَنَّك ، ثم وقف ، وأمر بالمصلوب ، فَأَنْزِل وَصَلِّبَ شِظَاظاً مكانه .

[مات مالك حتف أنفه]

قال ابنُ الأعرابي : مَرَضَ مالِكُ بن الرب عند قفول سعيد بن عثمان من خراسان في طريقه ؛ فلما أُشرف على الموت تخلف معه مُرَّةُ الكاتب ورجل آخر من قومه من بني تميم وهما اللذان يقولُ فيهما :

أيا صاحبي رَحلي دنا الموتُ فانزلاً برابية إني مقيمٌ لياليا  
ومات في منزله ذلك ، فدفناه ، وقبره هناك معروف إلى الآن ، وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسه .

قال أبو عبيدة : الذي قاله ثلاثة عشر بيتاً ، والباقي منحول ، ولدهُ الناس عليه .

## صوت

[من الطويل]

فما بيضةٌ بات الظليمُ يحفُّها	ويرفعُ عنها جُوجُؤاً مُتجافيا
بأحسنَ منها يوم قالتُ : أظاعنُ	مع الرُّكب أم ثاوٍ لدينا لياليا <sup>1</sup>
وهبتُ شمالاً آخر الليل قَرَّةً	ولا ثوب إلا بُرْذُها وردائيا <sup>2</sup>

1 أظاعن في الديوان : أراحل .

2 الشطر الأول في الديوان : وهبت لنا ريح الشمال بقرة .

رما زال بُردى طيباً من ثيابها إلى الحولِ حتى أنْهَجَ الثوبُ بالياً<sup>1</sup>  
 الشعر لعبد بني الحسحاس ، والغناء لابن سُرَيْج في الأوّل والثاني من الأبيات ثاني ثقيل  
 بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفي الثالث والرابع لمُخارق خفيف ثقيل عمله على  
 صنعة إسحاق في :

أماويّ إن المال غاى ورائحُ

وكاذَه بذلك ليقال إنّ لحنه أخذه منه ، وألقاه على عجوز عُمير ، فألقته على النَّاس ، حتى  
 بلغ الرشيدَ خبره ، ثم كشفه فعلم حقيقته ؛ ومَن لا يعلم بنسبه إلى غيره ، وقد ذكر حَبَش أنَّه  
 لإبراهيم ، وذكر غيره أنَّه لابن المكيّ .  
 وقد شرحتُ هذا الخبر في أخبار إسحاق .

1 أنْهَجَ : خلق ويلي . الثوب في الديوان : البرد .

## [ 492 ] - أخبار عبد بني الحسحاس

[ نسبه ]

اسمه سُحَيْم ، وكان عبداً أسوداً نوبياً أعجمياً مطبوعاً في الشعر ، فاشتراه بنو الحسحاس ، وهم بطن من بني أسد ، قال أبو عبيدة : الحسحاسُ بن نفثة بن سعيد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة .

قال أبو عبيدة ، فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي حاتم عنه : كان عبدُ بني الحسحاس عبداً أسوداً أعجمياً ، فكان إذا أنشد الشعر ، استحسَنه أم استحسَنه غيره منه ، يقول : أَهْشَنْتُ وَاللَّهِ ، يريد أحسنتُ واللَّهِ ، وأدرك النبي ﷺ ، ويقال : إنه تمثل بكلمات من شعره غير موزونة .

[ يستشهد الرسول ببيت له ]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا الحسن بن موسى قال حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن أن النبي ﷺ تمثل :

كفى بالإسلام والشيبِ ناهياً

فقال أبو بكر : يا رسول الله :

كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهياً  
فجعل لا يطيقه ، فقال أبو بكر : أشهد أنك رسولُ الله ﷺ وما ينبغي له .  
قال محمد بن خلف وحدثني أحمد بن شداد عن أبي سلمة التَّبُودَكِيِّ عن حماد بن سلمة ، عن رجل ، عن الحسن مثله ، وروي عن أبي بكر الهذلي أن اسم عبد بني الحسحاس حَيَّة .  
[ كان أسود الوجه ]

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : كان عبدُ بني الحسحاس حُلُوَ الشعر رقيقَ الحواشي ، وفي سواده يقول :

وما ضرَّ أثوابي سواذي وإنني  
لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقه  
كُسيْتُ قميصاً ذا سوادٍ وتحتَه  
قميصٌ من القوهي بيض بناقته<sup>1</sup>  
ويروى : وتحتَه قميص من الإحسان .

1 القوهي : منسوب إلى قوهستان ، ويطلق القوهي على الثوب الأبيض . البنات : جمع بنية أي ما يحيط بالعنق من الثوب .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال : أنشدني مُصْعَبُ بن عبد الله الزُّبَيْرِيُّ لعبد بني الحسحاس ، وكان يستحسنُ هذا الشعرَ ويعجب به ، قال : [من البسيط]

أشعارُ عبد بني الحسحاس قُمنَ له      عند الفخارِ مقامَ الأصلِ والورقِ  
إن كنتُ عبداً فنفسي حرّةٌ كَرَمًا      أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخُلُقِ

وقال الأثرم : حدّثني السَّريُّ بنُ صالح بن أبي مسهرٍ قال : أخبرني بعضُ الأعراب ، أن أوّلَ ما تكلم به عبدُ بني الحسحاس من الشعر أنَّهُم أرسلوه رائداً فجاء وهو يقول : [من الرجز]

أنعتُ غيثاً حسناً نباته      كالحبشيّ حواله نباته

فقالوا : شاعرٌ والله ، ثم انطلق<sup>1</sup> بالشعر بعد ذلك .

[بيت له يستحسنه عمر]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : أنشد سُحَيْمٌ عمرَ بنَ الخطّابِ قوله : [من الطويل]

عُميرة ودّع إن تجهّزتَ غاديا      كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فقال عمر : لو قلتَ شعركَ كلّهُ مثلَ هذا لأعطيتكَ عليه .

[لا حاجة لعثمان به]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بكار قال : حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : حدّثني خالي يوسف بن الماجشون قال : كان عبد الله بن أبي ربيعة عاملاً لعثمان بن عفّان على الجند ، فكتب إلى عثمان : إني قد اشتريتُ غلاماً حبشياً يقول الشعرَ ، فكتب إليه عثمانُ : «لا حاجة لي إليه ، فاردده ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعرِ منه ، إن شِيعَ أن يتشَبَّب<sup>2</sup> بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم» ، فردّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس .

وروى إبراهيم بن المنذر الحزاميّ هذا الخبر عن ابن الماجشون قال : كان عبدُ الله بن أبي ربيعة ، مثل ما رواه الزُّبير ، إلّا أنّه قال فيه : إن جاع هَرَّ ، وإن شِيعَ فَرَّ .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال : حدّثني أبو بكر العامريّ عن الأثرم عن أبي عبيدة . وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمَرَ قولهُ : [من الطويل]

1 ل : نطق .

2 ل : ينسب .

تُسَدُّنِي كَفًّا وَتَنِّي بِمِعْصَمٍ عَلِيٍّ وَتَحْوِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِي  
فَقَالَ عُمَرُ : وَيْلَكَ إِنَّكَ مُقْتُولٌ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الصِّدْلَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ  
مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ : أَنْشَدَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ عُمَرَ قَوْلَهُ : [مَنْ الطَّوِيلُ]  
كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَوْ قَدَّمْتَ الْإِسْلَامَ عَلَى الشَّيْبِ لَأَجَزْتُكَ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ قَالَا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنَا  
مَعَاذُ بْنُ مَعَاذٍ وَأَبُو عَاصِمٍ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَيْفٍ ، أَنَّ عَبْدَ بَنِي الْحَسْحَاسِ أَنْشَدَ  
عُمَرَ هَذَا وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَ الَّذِي قَبْلَهُ .

[كَانَ قَبِيحَ الْوَجْهِ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ،  
ابْنُ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : كَانَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَبِيحَ الْوَجْهِ ، وَفِي قَبْضِهِ  
يَقُولُ :

أَتَيْتُ نِسَاءَ الْحَارِثِيِّينَ غُدُوَّةً      بَوَاجِهِ بَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ جَمِيلٍ  
فَشَبَّهَنِي كَلْبًا وَلَسْتُ بِفَوْقَهُ      وَلَا دُونَهُ إِنْ كَانَ غَيْرَ قَلِيلٍ

[كَانَ يَشِيبُ بِنِسَاءِ مَوَالِيهِ]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ : أَتَى عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ بَعْدَ بَنِي الْحَسْحَاسِ  
لِيَشْتَرِيَهُ فَأَعْجَبَ بِهِ فَقَالُوا : إِنَّهُ شَاعِرٌ وَأَرَادُوا أَنْ يَرْغَبُوهُ فِيهِ ، فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِهِ ؛ إِذِ  
الشَّاعِرُ لَا حَرِيمَ لَهُ ، إِنْ شَبِعَ تَشَبَّبَ<sup>1</sup> بِنِسَاءِ أَهْلِهِ ، وَإِنْ جَاعَ هَجَاهُمْ ، فَاشْتَرَاهُ غَيْرُهُ ، فَلَمَّا  
رَحَلَ قَالَ فِي طَرِيقِهِ :

[مَنْ الطَّوِيلُ]

أَشَوْقًا وَلَمَّا تَمَضَى لِي غَيْرُ لَيْلَةٍ      فَكَيْفَ إِذَا سَارَ الْمُطَيُّ بِنَا شَهْرًا ؟  
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى مَالِكًا أَنْ يَبْعَنِي      بِشَيْءٍ وَلَوْ أُمَسْتُ أَنْامُلُهُ صِفْرًا  
أَخْوَكُمُ وَمَوْلَى مَالِكُمُ وَحَلِيفُكُمْ      وَمَنْ قَدْ تَوَى فِيكُمْ وَعَاشَرَكُمْ ذَهْرًا  
فَلَمَّا بَلَغَهُمْ شَعْرُهُ هَذَا رَثَوُا لَهُ ، فَاسْتَرَدَّوهُ .

فكان يشبُّ بنسائهم ، حتى قال :

ولقد تحدَّرَ من كريمةٍ بعضِكم عَرَقٌ على متن الفِرَاشِ وطيب<sup>1</sup>

قال : فقتلوه .

أخبرني الحرَّميُّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجشون بمثل هذه الرواية وزاد فيها : فلما استردَّوه نَشِبَ يقولُ الشعر في نسائهم ، فأخبرني مَنْ رآه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر ويشبُّ بأخت مولاه وكانت غليظة ، ويقول :

[من المنسرح]

ماذا يريدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جَمالٍ لوجهه تَبَعُ  
ما يَرْتَجِي خاب من محاسنها أَمَّا لَهُ في القِياحِ مُتَسَعُ  
غَيْرُ مَنْ لونها وصفرها فارتدَّ فيه الجمال والبدعُ  
لو كان ينبغي الفداء قلتُ له : ها أنا دونَ الحبيبِ يا وجعُ

أخبرني محمد بن خلف قال : حدَّثنا أبو بكر العامريُّ ، عن عليِّ بن المغيرة الأثرم قال : قال أبو عبيدة : الذي تنهى إلينا من حديث سُحيم عبد بني الحسحاس أنه جالسَ نِسوةً من بني صُبَيْر بن يربوع ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزل أن يتعابثوا بشقِّ الثياب وشِدَّةِ المغالبة على إبداء المحاسن ، فقال سُحيم :

[من الطويل]

كأن الصُّبَيْرِيَّاتِ بومَ لقيننا ظباءُ حنَّ أعناقهنَّ في المكائِسِ  
فكم قد شَقَقْنَا من رداءٍ مُنِيرٍ ومن برقٍ عن ناظرٍ غيرِ ناعسِ  
إذا شَقَّ بردٌ شَقَّ بالبردِ بُرُقُعٌ على ذاك حتى كلُّنا غيرُ لابسِ<sup>2</sup>

فيقال : إنَّه لما قال هذا الشعر اتَّهمه مولاه ، فجلس له في مكان كان إذا رعى نام فيه ، فلما اضطجع تنفَّس الصُّعداء ، ثم قال :

[من السريع]

يا ذِكرَةً ما لك في الحاضرِ تذكُّرها وأنتَ في الصادرِ  
من كلِّ بيضاءٍ لها كعثبٌ مثلُ سنامِ البكرةِ المائرِ

قال : فظهر سيِّدُه من الموضع الذي كان فيه كامناً ، وقال له : ما لك ؟ فلجلَجَ في منطقهِ ، فاستراب به ، فأجمعَ على قتله ، فلما وردَ الماءُ خرجت إليه صاحبته ، فحادثته ، وأخبرته بما

1 الشطر الأول في الديوان : فلقد تحدَّرَ من جبين فتاتكم . متن في الديوان : على ظهر .

2 على ذاك في الديوان : دواليك .



يرادُّ به ، فقام ينفض ثوبه ويُعفي أثره ، ويلقُط رَضاً<sup>1</sup> من مَسْكِيها<sup>2</sup> كان كَسَرها في لِعِبِه معها ، وأنشأ يقول :

### صوت

أَتَكْتَمُ حَيِّتُمْ عَلَى النَّأْيِ تُكْتَمَا      تَحِيَّةَ مَنْ أُمْسَى بِجُبِّكَ مُغْرَمَا  
وَمَا تُكْتَمِينَ إِنْ أَتَيْتِ ذَنِيَّةً      وَلَا إِنْ رَكَبْنَا يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مَحْرَمَا  
وَمِثْلُكَ قَدْ أَبْرَزْتُ مِنْ خِدْرِ أُمِّهَا      إِلَى مَجْلَسٍ تَجْرُ بُرْدًا مَسْهَمَا  
الغناء للغريض ثقیل أول بالوسطى وفيه ليحيى المكيّ ثاني ثقیل ، قال : [من الطويل]

وما شِئَ مَشْيَ الْقَطَاةِ اتَّبَعْتُهَا      مِنْ السَّيْرِ تَخْشَى أَهْلَهَا أَنْ تَكَلَّمَا  
فَقَالَتْ : صِهْ يَا وَيْحَ غَيْرِكَ إِنِّي      سَمِعْتُ حَدِيثًا بَيْنَهُمْ يَقْطُرُ الدَّمَا  
فَنَفَضْتُ ثَوْبِيهَا وَنَظَّرْتُ حَوْلَهَا      وَلَمْ أُخْشَ هَذَا اللَّيْلَ أَنْ يَتَصَرَّمَا  
أَعْفَى بَآثِرِ الثِّيَابِ مَبِيتَهَا      وَأَلْقَطَ رَضًا مِنْ وَقُوفٍ تَحْطَمَا<sup>3</sup>

قال : وغدوا به ليقتلوه ، فلما رآته امرأة كانت بينها وبينه مودةً ثم فسدت ، ضحكت به شماتة فنظر إليها وقال :

فَإِنْ تَضْحَكِي مَنِّي فَيَا رَبَّ لَيْلَةٍ      تَرَكْتُكِ فِيهَا كَالْقَبَاءِ الْمَفْرَجِ  
فَلَمَّا قَدَّمَ لِيُقْتَلَ قَالَ : [من الكامل]

شَدُّوا وَثَاقَ الْعَبْدِ لَا يُفْلِتَكُمْ      إِنْ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ  
فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جَبِينِ فَتَاتِكُمْ      عَرَقٌ عَلَى مَتْنِ الْفَرَّاشِ وَطِيبُ

[بحرق في أخدود]

قال : وَقُدِّمَ فَقُتِلَ . وذكر ابن دُأْب أَنَّهُ حُفِرَ لَهُ أَخْدُودٌ ، وَالْقَيَّ فِيهِ ، وَالْقَيَّ عَلَيْهِ الْحَطَبُ فَأَحْرَقَ .

[أصابهن كلهن إلا واحدة]

أخبرني محمد بن مَزِيد بن أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ قَالَ : كَانَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ يُسَمَّى حَيَّةً ، وَكَانَ لِسَيِّدِهِ بِنْتُ

1 رضا : كسراً .

2 مسكها : من سوارها أو خلخالها .

3 وقوف : جمع وقف أي ، سوار من ذبل أو عاج .

بِكر ، فأعجبها ، فأمرته أن يتمارضَ ، ففعل وعصب رأسه . فقالت للشيخ : أَسْرِخْ أَيْهَا  
الرجُل إِبْلَكَ ، ولا تَكِلْهَا إلى العبد ، فكان فيها أياماً ، ثم قال له : كيف تجدُك ؟ قال :  
صالحاً ، قال : فَرُخْ في إِبْلَكَ العشيّة ، فراح فيها ، فقالت الجاريةُ لأبيها : ما أَحْسَبُكَ إِلَّا  
قد ضَيَّعْتَ إِبْلَكَ العشيّة ، أن وَكَلْتَهَا إلى حيّة ، فخرج في آثار إبّله فوجده مستلقياً في ظلّ  
شجرة ، وهو يقول :

يا رَبُّ شَجَوٍ لَكَ في الحاضر      تَذْكُرُهَا وَأَنْتَ في الصادرِ  
من كُلِّ حمراءِ جُماليّة      طيّبةِ القادمِ والآخِرِ<sup>1</sup>

فقال الشيخ : إنّ لهذا<sup>2</sup> لَشْنَأً ، وانصرف ، ولم يُره وجهه . وأتى أهل الماء ، وقال  
لهم : تَعَلَّمُوا والله أنّ هذا العبدَ قد فضحنا ، وأخبرهم الخبر ، وأنشدهم ما قال ، فقالوا :  
اقتله ، فنحنُ طوعُك ، فلمّا جاءهم وثبوا عليه ، فقالوا له : قلتَ وفعلتَ ، فقال : دعوني  
إلى غدٍ حتى أَعْذِرَها<sup>3</sup> عند أهل الماء ، فقالوا : إنّ هذا صواب فتركوه ، فلمّا كان الغد  
اجتمعوا فنادى : يا أهل الماء ، ما فيكم امرأةٌ إِلَّا قد أَصْبَتْها إِلَّا فلانةُ فَإِنِّي على موعدٍ منها ؛  
فأخذوه فقتلوه .

ومّا يَغْنَى فيه من قصيدةٍ سحيم عبد بني الحسحاس ، وقال : إنّ من الناسَ مَنْ يرويهما  
لغيره :

تَجْمَعَنَّ من شَتَى ثلاثاً وأربعاً      وواحدةً حتى كَمَلَنَ ثمانيا  
وأقبلن من أَقصى الخيامِ يُعِدُنَنِي      بقيّة ما أَبْقَيْنَ نَصلاً يمانيا  
يُعِدُنَ مريضاً هنَّ قد هِجَنَ داءُهُ      ألا إِنّما بعضُ العوائدِ دائيا

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأوّل ، والذي ابتدأه «تجمعنَ من شتى ثلاث» لبنان .  
والذي أوّله : «وأقبلن من أَقصى الخيام» . ذكر الهشاميّ أنّه لإسحاق وليس يشبه صنّعه  
ولا أدري لِمَن هو ؟  
[مخارق بكيد لإسحاق]

أخبرني جحظة عن ابن حمدون أنّ مخارقاً عملَ لَحْناً في هذا الشعر :  
وَهَبْتُ شمالاً آخرَ الليل قَرَّةً      ولا ثوبَ إِلَّا بردُها وردائيا

1 جمالية : جميلة .

2 لهذا في ل : هذين .

3 أعذرها : أثبت لها عذراً .

على عمل صنعة إسحاق في :

أماويّ إن المال غاد ورائح

ليکید به إسحاق ، وألقاه على عجوز عُمير الباذ عيسى ، وقال لها : إذا سئلت عنه فقولي : أخذته من عجوز مدنية ، ودار الصوت حتى غنيّ به الخليفة ، فقال لإسحاق : ويليک أخذتَ لحنَ هذا الصوتِ تُغنيهِ كُلَّهُ ، فحلف له بكلّ يمين يرضاه أنّه لم يفعلْ وتضمّن له كشفَ القصّة ، ثم أقبل على مَنْ غَنّاهم الصوتَ فقال : عمّن أخذته ؟ فقال : عن فلان ، فلقيه ، فسأله عمّن أخذه فعرفه ، ولم يزل يكشف عن القصّة ، حتى انتهت من كلّ وجه إلى عجوز عمير ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أخذته من عجوز مدنية ، فدخل إسحاق على عُمير ، فحلف له بالطلاق والعِتاق وكلّ مُحْرِج من الأيمان ألاّ يكلمه أبداً ولا يدخل داره ولا يترك كيده وعداوته أو يصدّقه عن حال هذا الصوت وقصّته ، فصدّقه عُمير عن القصّة ، فحدّث بها الواصل بحضرة عمير ومُخارق ، فلم يمكن مُخارقاً دفعُ ذلك ، وخجل خجلاً بان فيه ، وبطل ما أرادَه بإسحاق .

### صوت

[من الطويل]

ثلاثة أبيات فبيتٌ أحبُّه      وبيتان ليسا من هوايَ ولا شَكلي

ألا أيّها البيتُ الذي حيلَ دونه      بنا أنتَ من بيتٍ وأهلكَ من أهل

الشعر لجميل ، والغناء لإسحاق ماخوريّ بالبِنصر من جامع أغانيه ، وفيه رَمَل مجهول ذكره حَبَش لعلّويه ولم أجِد طريقته .

## [ 493 ] - متمم العبدى والجويرية

أخبرني الحسين بن يحيى المرادي عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : حدثني متمم العبدى قال : خرجت من مكة زائراً لقبر النبي ﷺ ، فإني لیسوق الجُحفة<sup>1</sup> إذا جُويرية تسوقُ بعيراً ، وترنم بصوت مليح طيب حلو في هذا الشعر :

ألا أيّها البيتُ الذي حِيلَ دونه      بنا أنت من بيتٍ وأهلك من أهل  
بنا أنت من بيتٍ وحولك لَذَّةٌ      وظلُّك لو يُسطاعُ بالبارد السهل  
ثلاثةُ أبياتٍ فبيتٌ أحبه      وبيتان ليسا من هوايَ ولا شكلي

فقلت : لمن هذا الشعر يا جُويرية ؟ قالت : أما ترى تلك الكُوةَ الموقاةَ بالكِلةِ الحمراء ؟ قلت : أراها ، قالت : من هناك نهض هذا الشعرُ ، قلت : أو قائله في الأحياء ؟ قالت : هيهات ، لو أن لميت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك ، فأعجبني فصاحةُ لسانها ورقةُ ألفاظها ، فقلت لها : ألكِ أبوان ؟ فقالت : فقدت خيرَهما وأجلَّهما ، ولي أمٌ ، قلت : وأين أمُّكِ ؟ قالت : منك بمراى ومسمع ، قال : فإذا امرأةٌ تبيعُ الخرزَ على ظهر الطريق بالجُحفة ، فأتيتها ، فقلت : يا أمَّته ، استمعي مني ، فقالت لها : يا أمَّه ، فاستمعي من عمي ما يلقيه إليك ، فقالت : حيّاك الله ، هيه ، هل من جائية خبر<sup>2</sup> ؟ قلت : أهذه ابتُكِ ؟ قالت : كذا كان يقول أبوها ، قلت : أفترَوِّجينيها ؟ قالت : ألعلةٌ رَغِبَتْ فيها ؟ فما هي والله من عندها جمالٌ ، ولا لها مال ، قلت : لحلاوة لسانها وحسن عقلها ، فقالت : أينما أمْلَكُ بها ؟ أنا أمٌ هي بنفسها ؟ قلت : بل هي بنفسها ، قالت : فإياها فخطبُ ، فقلت : لعلها أن تستحي من الجواب في مثل هذا ، فقالت : ما ذاك عندها ، أنا أخبر بها ، فقلت : يا جارية ، أما تستمعين ما تقول أمْلِكُ ؟ قالت : قد سمعت ، قلت : فما عندكِ ؟ قالت : أوليس حسبكِ أن قلت : إنني أستحي من الجواب في مثل هذا ، فإن كنتُ أستحي في شيء فلم أفعله ؟ أتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطك ، لا والله لا يشدُّ عليَّ رجل حِواءه وأنا أجدُ مذقة<sup>3</sup> لبن أو بقله ألين

1 الجحفة : قرية كانت على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل وهي ميقات أهل مصر والشام .

2 مثل : ويروى : هل من مغربة خبر . ورد في مجمع الأمثال 404/2 ، والمستقصى 390/2 ، والأمثال لمجهول

بها معاي ، قال : فورد والله عليّ أعجبُ كلام على وجه الأرض ، فقلتُ : أو أتزوَّجكِ والإذن فيه إليك ، وأعطي الله عهداً أنّي لا أقربكِ أبداً إلّا عن إرادتك ؟ قالت : إذا والله لا تكون لي في هذا إرادة أبداً ، ولا بعد الأبد إن كان بعده بُعد ، فقلت : فقد رضيتُ بذلك ، فتروّجتها ، وحملتها وأمّها معي إلى العراق ، وأقامت معي نحواً من ثلاثين سنة ما ضمنتُ عليها حواي قط ، وكانت قد علّقتُ من أغاني المدينة أصواتاً كثيرة ، فكانت ربّما ترنّمت بها ، فأشتهيها ، فقلت : دعيني من أغانيك هذه فإنّها تبعثني على الدُّنوّ منك . قال : فما سمعتها رافعةً صوتها بغناء بعد ذلك ، حتى فارقت الدنيا ، وإن أمّها عندي حتى الساعة ، فقلت : ما أدري متى دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديث هذه .

### صوت

[من الخفيف]

أيّها الناسُ إن رأيي يُريني	- وهو الرأي - طوفةٌ في البلادِ
بالعوالي وبالقنابل تَردي	بالبطاريق مِشِيَةً العُوداً <sup>1</sup>
وبجيش عرمرمٍ عربيٍّ	جَحْفَلٍ يستجيبُ صوتَ المنادي
من تميمٍ وخندفٍ وإباد	والبهاليلِ حَمِيرٍ ومُرادٍ
فإذا سرتُ سارتِ النَّاسُ خَلْفِي	ومَعِي كالجبالِ في كلِّ وادٍ
سَقَنِي ثم سقَّ حَمِيرٌ قومي	كأسَ خميرٍ أُولي النُّهى والعِمادِ

الشعر لحسان بن تبيّع ، والغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه .

1 تردّي : تُسرّع . البطاريق : جمع بطريق : قائد الروم ، تحت إمرته عشرة آلاف رجل .

## [494] - أخبار حسان بن تبع

[يطوف الأرض كلها]

أخبرني بخبر حسان الذي من أجله قال هذا الشعر علي بن سليمان الأخفش عن السكري ، عن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابي . وعن أبي عبيدة وأبي عمرو ، وابن الكلبي وغيرهم ، قال : كان حسان بن تبع أحول أعسر<sup>1</sup> ، بعيد الهمة شديد البطش ، فدخل إليه يوماً وجوه قومه ، وهم الأقبال من حمير ، فلما أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم : [من الخفيف]

أيها الناس إن رأيي يُريني      وهو الرأي طوفة في البلاد  
بالعوالي وبالقنابل تَردي      بالبطاريق مشية العواد

وذكر الأبيات التي مضت آنفاً ، ثم قال لهم : استعدوا لذلك ، فلم يراجع أحد لهيبته ، فلما كان بعد ثلاثة خرج ، وتبعه الناس ، حتى وطىء أرض العجم ، وقال : لأبلغن من البلاد حيث لم يبلغ أحد من التبابعة ، فجال بهم في أرض خراسان ، ثم مضى إلى المغرب ، حتى بلغ رومية<sup>2</sup> ، وخلف عليها ابن عم له ، وأقبل إلى أرض العراق ، حتى إذا صار على شاطئ الفرات ، قالت وجوه حمير : مالنا نفني أعمارنا مع هذا ! نطوف في الأرض كلها ، ونفرق بيننا وبين بلدنا وأولادنا وعيالنا وأموالنا ! فلا ندري من نخلف عليهم بعدنا !

فكلموا أخاه عمراً ، وقالوا له : كلم أخاك في الرجوع إلى بلده ، ومملكه . قال : هو أعسر من ذلك وأنكر ، فقالوا : فاقتله ، ونملكك علينا ، فأنت أحق بالملك من أخيك ، وأنت أعقل وأحسن نظراً لقومك ، فقال : أخاف ألا تفعلوا ، وأكون قد قتلت أخي ، وخرج الملك عن يدي ، فوائقوه ، حتى ثلج<sup>3</sup> إلى قولهم ، وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلهم إلا ذا رعين ، فإنه خالفهم ، وقال : ليس هذا برأي ، يذهب الملك من حمير . فشجعه الباقون على قتل أخيه ، فقال ذو رعين : إن قتلت بادي ملكك .

فلما رأى ذو رعين ما أجمع عليه القوم اتاه بصحيفة مختومة ، فقال : يا عمرو : إني مستودعك هذا الكتاب ، فضعه عندك في مكان حرز ، وكتب فيه : [من الوافر]

1 أعسر : يعمل بيده اليسرى .

2 رومية : مدينة بالمداثن بنيت وسميت بأحد الملوك .

3 ثلج إلى قولهم : استراح .

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بَنُوْمٍ      سَعِيدٌ مِّنْ بَيْتِ قَرِيرَ عَيْنٍ  
فَإِنْ تَكُ حِمِيرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ      فَمَعْدَرَةُ إِلَهِ لَذِي رُعَيْنٍ

[قتله أخوه فامتنع منه النوم]

ثم إنَّ عَمْرًا أَتَى حَسَّانَ أَخَاهُ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَقَتَلَهُ ، وَاسْتَوَى عَلَى مُلْكِهِ . فَلَمْ يَبَارِكْ فِيهِ ، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّهْرَ ، وَامْتَنَعَ مِنَ النَّوْمِ ، فَسَأَلَ الْأَطْبَاءَ وَالْكَهَّانَ وَالْعِيَّافَ ، فَقَالَ لَهُ كَاهِنٌ مِنْهُمْ : إِنَّهُ مَا قَتَلَ أَخَاهُ رَجُلٌ قَطُّ إِلَّا مُنِعَ نَوْمُهُ ، فَقَالَ عَمْرُو : هَؤُلَاءِ رُؤَسَاءُ حِمِيرٍ حَمَلُونِي عَلَى قَتْلِهِ لِيَرْجِعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَيَّ وَلَا لِأَخِي .

فَجَعَلَ يَقْتُلُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ بِقَتْلِهِ ، فَقَتَلَهُمْ رَجُلًا رَجُلًا ، حَتَّى خَلَصَ إِلَى ذِي رُعَيْنٍ وَأَيَقَنَ بِالشَّرِّ ، فَقَالَ لَهُ ذُو رُعَيْنٍ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي أَعْلَمْتُكَ مَا فِي قَتْلِهِ ، وَنَهَيْتُكَ وَبَيَّنْتُ هَذَا ؟ قَالَ : وَفِيمَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي الْكِتَابِ الَّذِي اسْتَوْدَعْتُكَ .

فَدَعَا بِالْكِتَابِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَقَالَ ذُو رُعَيْنٍ : ذَهَبَ دَمِي عَلَى أَخِي بِالْحَزْمِ ، فَصُرْتُ كَمَنْ أَشَارَ بِالْخَطَا ، ثُمَّ سَأَلَ الْمَلِكَ أَنْ يُنْعِمَ فِي طَلَبِهِ ، فَفَعَلَ ، فَأَتَيْتُ بِهِ فَقَرَأَهُ ، فَإِذَا فِيهِ الْبَيْتَانِ ، فَلَمَّا قَرَأَهُمَا قَالَ : لَقَدْ أَخَذْتَ بِالْحَزْمِ ، قَالَ : إِنِّي خَشِيتُ مَا رَأَيْتُكَ صَنَعْتَ بِأَصْحَابِي .

[ذو شناتر وذو نواس]

قَالَ : وَتَشَتَّتَ أَمْرُ حِمِيرٍ حِينَ قُتِلَ أَشْرَافُهَا ، وَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ ، حَتَّى وَثَبَ عَلَى عَمْرُو لَخْنِيْعَةُ يَنُوفَ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ، فَقَتَلَهُ ، وَاسْتَوَى عَلَى مُلْكِهِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ذُو شَنَاتَر<sup>1</sup> الْحَمِيرِيِّ ، وَكَانَ فَاسِقًا يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطَ ، وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى أَوْلَادِ الْمُلُوكِ فَيُلَوِّطُ بِهِمْ ، وَكَانَتْ حِمِيرٌ إِذَا لَبِطَ بِالْغَلَامِ لَمْ تَمْلِكْهُ ، وَلَمْ تَرْتَفِعْ بِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَشْرَبَةٌ<sup>2</sup> ، يَكُونُ فِيهَا يَشْرَفُ عَلَى حَرَسِهِ ، فَإِذَا أَتَى بِالْغَلَامِ أَخْرَجَ رَأْسَهُ إِلَيْهِمْ وَفِي فِيهِ السَّوَاكُ ، فَيَقْطَعُونَ مَشَافِرَ نَاقَةِ الْمَنْكُوحِ وَذَنْبَهَا ، فَإِذَا خَرَجَ صَبِيحَ بِهِ : أَرَطْبُ أُمِّ يَاسٍ<sup>3</sup> ؟ فَمَكَثَ بِذَلِكَ زَمَانًا .

حَتَّى نَشَأَ زُرْعَةُ ذُو نَوَاسَ ، وَكَانَتْ لَهُ ذُوَابَةٌ ، وَبِهَا سَمِيَّ ذَا نَوَاسَ ، وَهُوَ الَّذِي تَهَوَّدَ ، وَتَسَمَّى يُوسُفَ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْأَخْدُودِ بَنَجْرَانَ ، وَكَانُوا نَصَارَى ، فَحَرَقَهُمْ ، وَحَرَقَ الْإِنْجِيلَ ، وَهَدَّمَ الْكَنَائِسَ ، وَمَنْ أَجَلَهُ غَزَتِ الْحَبْشَةُ الْيَمْنَ ، لِأَنَّهُمْ نَصَارَى ، فَلَمَّا غَلَبُوا عَلَى الْيَمَنِ اعْتَرَضَ الْبَحْرَ ، وَاقْتَحَمَهُ عَلَى فَرَسٍ فَغَرِقَ .

1 شناتر : أصابع بلغة حمير .

2 مشربة : عذبة مرتفعة .

3 ياس : يابس أو يبيس .

فلما نشأ ذو نواس قيل له : كأنك وقد فعل بك كذا وكذا ، فأخذ سيكينا لطيفاً خفيفاً  
وسمه ، وجعل له غلافاً ، فلما دعا به لخنيفة جعله بين أخمصه ونعله ، وأتاه على ناقة له يقال  
لها : سراب ، فأناخها ، وصعد إليه ، فلما قام يجامعه كما كان يفعل انحني زُرعة ، فأخذ  
السكين فوجأ بها بطنه ، فقتله ، واحتز رأسه ، فجعل السواك في فيه ، وأطلع من الكوة ،  
فرفع الحرس رؤوسهم ، فأروه ، ونزل زُرعة ، فصاحوا : زُرعة يا ذا نواس ، أرطب أم يياس ؟  
فقال : ستعلم الأحراس استُ ذي نواس ، رطب أم يياس ؟ وجاء إلى ناقته ، فركبها ، فلما  
رأى الحرس اطلاع الرأس صعدوا إليه ، فإذا هو قد قتل . فأتوا زُرعة ، فقالوا : ما ينبغي أن  
يملكنا غيرك بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق ، واجتمعت حمير إليه ، ثم كان من قصته ما  
ذكرناه آنفاً .

### صوت

[من البسيط]

يا ربة البيت قومي غير صاغرة      ضُمِّي إليك رجال القوم والقُرْبَا<sup>1</sup>  
في ليلة من جمادى ذات أندية      لا يُبصر الكلب من ظلماتها الطنبا<sup>2</sup>  
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة      حتى يُلَفَّ على خيشومه الذنبا

الشعر لمرّة بن محكان السعدي ، والغناء لابن سريج ، رَمَل بالوسطى ، وله فيه أيضاً  
خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو ، وذكر حبش أن فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى ، والله  
أعلم .

1 القُرْب : جمع قراب وهو غمد السيف .

2 الطنب : الحبل الطويل يشد به السراق وجمعه أطناب .



## [495] - أخبار مرة بن محكان

[نسبه]

هُوَ مُرَّةٌ بْنُ مَحْكَانَ وَلَمْ يَقَعْ إِلَيْنَا بَاقِي نَسْبِهِ ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ .  
شَاعِرٌ مُقَلِّدٌ لِإِسْلَامِيٍّ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ فِي عَصْرِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ ، فَأَخْمَلَا  
ذَكَرَهُ ، لِنَبَاهَتَهُمَا فِي الشَّعْرِ .

[ينحر مائة بعير]

وَكَانَ مُرَّةٌ شَرِيفًا جَوَادًا وَهُوَ أَحَدُ مَنْ حُبِسَ فِي الْمَنَاخَرَةِ وَالْإِطْعَامِ . أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ  
عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ ، عَنْ الْمَدَائِنِيِّ ، قَالَ : كَانَ مُرَّةٌ بْنُ مَحْكَانَ  
سَخِيًّا ، وَكَانَ أَبُو الْبَكْرَاءِ يُوَاسِمُهُ فِي الشَّرَفِ ، وَهُمَا جَمِيعًا مِنْ بَنِي الرَّبِيعِ ، فَأَنْهَبَ مُرَّةٌ بْنُ  
مَحْكَانَ مَالَهُ النَّاسَ ، فَحَبَسَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْأَبِيرِدِ الرَّيَاحِيِّ : [مَنْ الطَّوِيلُ]

حَبَسْتَ كَرِيمًا أَنْ يَجُودَ بِمَالِهِ      سَعَى فِي ثَأْيٍ مِنْ قَوْمِهِ مُتَفَاقِمٍ  
كَأَنَّ دِمَاءَ الْقَوْمِ إِذْ عَلَقُوا بِهِ      عَلَى مَكْفَهَرٍ مِنْ ثَنَائِيَا الْمَخَارِمِ  
فَإِنْ أَنْتَ عَاقَبْتَ ابْنَ مَحْكَانَ فِي النَّدَى      فَعَاقِبْ هَذَاكَ اللَّهُ أَعْظَمَ حَاتِمِ

قَالَ : فَأُطْلِقَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، فَذَبَحَ أَبُو الْبَكْرَاءِ مَائَةَ شَاةٍ ، فَفَنَحَرَ مُرَّةٌ بْنُ مَحْكَانَ مَائَةَ  
بَعِيرٍ ، فَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ بَنِي تَمِيمٍ يَمْدَحُ مُرَّةً :

شَرَى مَائَةً فَأَنْهَبَهَا جَوَادًا      وَأَنْتَ تَنَاهَبُ الْحَدَفَ الْقَهَادَا

الحدف : صغار الغنم . والقهاد : البيض .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيُّ أَبُو الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الرِّيشِيُّ قَالَ : سَأَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ  
عَنْ مَعْنَى قَوْلِ مُرَّةٌ بْنُ مَحْكَانَ :

ضَمَمِي إِلَيْكَ رَحَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا

مَا الْفَائِدَةُ فِي هَذَا ؟ فَقَالَ : كَانَ الضَّيْفُ إِذَا نَزَلَ بِالْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ضَمُوا إِلَيْهِمْ رَحْلَهُ ،  
وَبَقِيَ سِلَاحُهُ مَعَهُ لَا يُوْخِذُ خَوْفًا مِنَ الْبَيَاتِ ، فَقَالَ مُرَّةٌ بْنُ مَحْكَانَ يَخَاطَبُ امْرَأَتَهُ : ضَمَمِي  
إِلَيْكَ رَحَالَ هَؤُلَاءِ الضَّيْفَانِ وَسِلَاحَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ عِنْدِي فِي عِزٍّ وَأَمْنٍ مِنَ الْغَارَاتِ وَالْبَيَاتِ ،  
فَلَيْسُوا مِمَّنْ يَحْتَاجُ أَنْ يَبْتَئَ لَابَسًا سِلَاحَهُ .

[مصعب بن الزبير يقتله]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دَرِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ  
يُونُسَ ، قَالَ : كَانَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عَلَى الْبَصْرَةِ أَيَّامَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَخَاصَمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ

من بني تميم ، يقال له مُرَّة بن مَحْكَان ، رجلاً ، فلماً أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مُرَّة بنُ مَحْكَان يقول :

أَحَارِ تَبَّتْ فِي الْقَضَاءِ فَإِنَّهُ      إِذَا مَا إِمَامٌ جَارٍ فِي الْحُكْمِ أَقْصَدًا<sup>1</sup>  
وَأِنَّكَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحُكْمِ فَاحْتَفِظْ      وَمَهْمَا تَصْبُهُ الْيَوْمَ تُدْرِكُ بِهِ غَدَا  
فإِنِّي مِمَّا أُدْرِكُ الْأَمَرَ بِالْأُنَى      وَأَقْطَعُ فِي رَأْسِ الْأَمِيرِ الْمُهَنْدَا<sup>2</sup>

فلماً وَلِيَّ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ دَعَاهُ ، فَأَنْشَدَهُ الْأَبْيَاتَ ، فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَأَقْطَعَنَّ السِّيفَ فِي رَأْسِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْطَعَهُ فِي رَأْسِي ، وَأَمْرٌ بِهِ فَحِيسٌ ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ مِنْ قَتْلِهِ .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد عن أبيه ، عن ابن جامع ، عن يونس قال : جاء رجل من قريش إلى الغريض فقال له : بأبي أنت وأمي إِنِّي جئتُكَ قاصداً الطائف أسألك عن صوت تُغْنِيَنِي إِيَّاهُ ، قال : وما هو ؟ قال : لحنك في هذا الشعر :

تَشْرَبَ لَوْنَ الرَّازِقِيَّ بِيَاضُهُ      أَوْ الزَّعْفَرَانَ خَالِطَ الْمَسْكِ رَادِعُهُ

فقال : لا سبيل إلى ذلك ، هذا الصوتُ قد نهتني الجنُّ عنه ، ولكنِّي أغنيك في شعرٍ مُرَّةً بن مَحْكَان ، وقد طرقة ضيفٌ في ليلة شاتية ، فَأَنْزَلَهُمْ ، وَنَحَرَ لَهُمْ نَاقَتَهُ ، ثُمَّ غَنَاهُ قَوْلُهُ : [من البسيط]

يَا رِبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ      ضُمِّيْ إِلَيْكَ رِحَالُ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا

فأطربه ، ثم قال له الغريض : هذا لحن أخذته من عبيد بن سريج ، وسأغنيك لحناً عملته في شعر على وزن هذا الشعر ورويته للحطيئة ، ثم غناه :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَغِيضٍ لَا أَبَا لَهُمْ      فِي بَائِسٍ جَاءَ يَحْدُو أَيْنَقًا شُرْبَا  
جَاءَتْ بِهِ مِنْ بِلَادِ الطُّورِ تَحْمَلُهُ      حَصَاءٌ لَمْ تَتْرُكْ دُونَ الْعَصَا شَذْبَا

فقام القرشي ، فقبلَ رأسه ، فقال له : فدتك نفسي وأهلي ، لو لم أقدم مكةَ لعمرة ولا ليرٍ وتقوى ، ثم قدمتُ إليها لأراك وأسمع منك لكان ذلك قليلاً . ثم انصرف .

وحدثني بعض مشايخ الكتَّاب أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي الْعَنْبَسِ بْنِ حَمْدُونَ يَوْمًا ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُ فَأَقَامَ ، وَأَتَاهُم أَبُو الْعَنْبَسِ بِالطَّعَامِ ، فَأَكَلُوا ، ثُمَّ قَدَّمَ الشَّرَابَ فَشَرَبُوا ، وَغَنَاهُمْ أَبُو الْعَنْبَسِ يَوْمَئِذٍ هَذَا الصَّوْتُ :

أَلَا مُتَّ لَا أُعْطِيتَ صَبْرًا وَعَزْمَةً      غَدَاةَ رَأَيْتَ الْحَيَّ لِلْبَيْنِ غَادِيَا

1 أقصد : قتل مكانه .

2 بالأنى : الحلم .

ولم تعتصر عينيك فكهةً مازح  
فأحسن ما شاء ، ثم ضرب ستارته وقال :

يا ربة البيت غني غير صاغرة

فاندفعت عرفان ، فغنت :

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي إليك رجال القوم والقربا  
قال : فما سمعت غناء قط أحسن مما سمعته من غنائهما يومئذ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ألا مت لا أعطيت صبراً وعزيمة  
ولم تعتصر عينيك فكهةً مازح  
فصيرت دمعاً أن بكيت تلدداً  
لقد جل قدر الدمع عندك أن ترى  
الشعر لأعرابي أنشدناه الحرمي بن أبي العلاء ، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب  
الديناري عن إسحاق الموصلي لأعرابي .  
قال الديناري : وكان إسحاق كثيراً ما يُنشد الشعر للأعراب ، وهو قائله وأظن هذا  
الشعر له ، والغناء لعمر بن بانة ثقیل أول بالبنصر من كتابه .

صوت

[من الطويل]

فإن تك من شيبان أمي فإنني  
وكيف بذكري أم هارون بعدما  
كان نقاً من عالج أرزت به  
وإننا لتغلي في الشتاء قدورنا  
لأبيض من عجل عريض المفارق  
خبطن بأيديهن رمل الشقائق  
إذا الزل ألهاهن شد المناطق  
ونصبر تحت اللأمعات الخوافي  
عروضه من الطويل والشعر للعدیل بن الفرخ العجلي ، والغناء لمبعد خفيف ثقیل من  
أصوات قليلة الأشباه ، عن يونس وإسحاق ، وفيه لهشام بن المربة لحن من كتاب إبراهيم ،  
وفيه لسنان الكاتب ثقیل أول عن الهشامي وحبش ، وقال حبش خاصة : فيه للهدلي أيضاً ثاني  
ثقیل بالوسطى .

## [496] - أخبار العدیل ونسبه

[نسبه]

الْعُدَيْلُ بْنُ الْفَرَّخِ بْنِ مَعْنٍ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَابِرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سُمَى بْنِ الْحَارِثِ ، وَهُوَ الْعُكَابَةُ<sup>1</sup> ، بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عِجْلٍ بْنِ لُجَيْمٍ بْنِ صَعْبٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ بْنِ قَاسِطٍ بْنِ هِنَبٍ بْنِ أَفْصَى بْنِ دُعَمَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارٍ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كَانَ الْعُكَابَةُ اسْمَ كَلْبٍ لِلْحَارِثِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عِجْلٍ ، فَلَقِبَ بِاسْمِ كَلْبِهِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ . قَالَ : وَكَانَ عِجْلٌ مِنْ مُحَمَّقِي الْعَرَبِ ، قِيلَ لَهُ : إِنْ لَكُلِّ فَرَسٍ جَوَادٍ اسْمًا وَإِنْ فَرَسَكَ هَذَا سَابِقَ جَوَادٍ ، فَسَمَّهْ ، فَفَقَّأَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ وَقَالَ : قَدْ سَمَّيْتَهُ الْأَعُورَ ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

رَمْتَنِي بَنُو عَجَلٍ بَدَاءَ أَبِيهِمْ      وَهَلْ أَحَدٌ فِي النَّاسِ أَحَقُّ مِنْ عَجَلٍ ؟  
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنِ جَوَادِهِ      فَصَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تَضْرِبُ بِالْجَهْلِ

[هو ودائع]

وَالْعُدَيْلُ شَاعِرٌ مُقِلٌّ مِنْ شِعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ لَهُ ثَمَانِيَةُ إِخْوَةٍ ، وَأُمُّهُمْ جَمِيعًا امْرَأَةً مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ شَاعِرًا فَارِسًا : أَسْوَدٌ وَسَوَادَةٌ وَشَمْلَةٌ ، وَقِيلَ سَلْمَةٌ ، وَالْحَارِثُ ، وَكَانَ يُقَالُ لَأُمِّهِمْ دَرَمَاءُ .

وَكَانَ لِلْعُدَيْلِ وَإِخْوَاتِهِ ابْنُ عَمٍّ يُسَمَّى عَمْرًا ، فَتَزَوَّجَ بِنْتَ عَمٍّ لَهُمْ بَغِيرَ أُمِّهِمْ ، فَفَضَّضُوا وَرَصَدُوهُ لِيَضْرِبُوهُ ، وَخَرَجَ عَمْرُو وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُسَمَّى دَابِغًا ، فَوَثَبَ الْعُدَيْلُ وَإِخْوَتُهُ ، فَأَخَذُوا سُبُوقَهُمْ ، فَقَالَتْ أُمُّهُمْ : إِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكُمْ ، فَقَالَ لَهَا ابْنُهَا الْأَسْوَدُ : وَأَيُّ شَيْءٍ تَخَافِينَ عَلَيْنَا ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ حَمَلْنَا بِأَسْيَافِنَا عَلَى هَذَا الْحِنُوِّ حِنُو قُرَاقِرٍ<sup>2</sup> لَمَا قَامُوا لَنَا فَاَنْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا عَمْرًا ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ دُعِرَ مِنْهُمْ وَنَاشَدَهُمْ ، فَأَبَوْا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ سَوَادَةٌ فَضْرَبَ عَمْرًا ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ ، وَضْرَبَهُ عَمْرُو فَقَطَعَ رِجْلَهُ فَقَالَ سَوَادَةٌ :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي رَجُلًا بِرَجُلٍ      تَأْبَى لِلْقِيَامِ فَلَا تَقُومُ

وَقَالَ عَمْرُو لِدَابِغٍ : اضْرِبْ وَأَنْتَ حَرٌّ ، فَحَمَلَ دَابِغٌ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا ، وَحَمَلَ عَمْرُو ، فَقَتَلَ آخَرَ ، وَتَدَاوَلَاهُمْ ، فَقَتَلَا مِنْهُمْ أَرْبَعَةً ، وَضْرَبَ الْعُدَيْلُ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا ، وَهَرَبَ

1 ل : العباب .

2 قراقر : موضع ، معجم البلدان 4 : 317 .

دابع ، حتى أتى الشام ، فداوى<sup>1</sup> ربيعة بن النعمان الشيباني للعدیل ضربته ، ومكث مدة . ثم خرج العدیل بعد ذلك حاجاً ، فقيل له إن دابعاً قد جاء حاجاً ، وهو يرتحل ، فيأخذ طريق الشام ، وقد اكترى ، فجعل العدیل عليه الرصد ، حتى إذا خرج دابع ركب العدیل راحلته وهو متلثم ، وانطلق يتبعه ، حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العدیل ويقول : [من الرجز]

يا دار سلمى أقفرت من ذي قار  
وهل بإقفار الديار من عار  
وقد كسرت عرقاً مثل القار  
يخرجن من تحت خلال الأوبار

فلحقه العدیل ، فحبس عليه بعيره ، وهو لا يعرفه ، ويسير رويداً ، ودابع يمشي رويداً ، وتقدمت إليه فذهبت ، وإنما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين ، ثم قال له العدیل : والله لقد استرخى حقب<sup>2</sup> رحلي ، أنزل فأغير الرحل ، وتعينني . فنزل فغير الرحل ، وجعل دابع يعينه ، حتى إذا شد الرحل أخرج العدیل السيف ، فضربه حتى برد ، ثم ركب راحلته فنجا ، وأنشأ يقول :

ألم ترني جللت بالسيف دابعاً  
بوادي حنين ليلة البدر رعته  
وقلت لهم : هذا الطريق أمامكم  
ولم أك إذ صاروا لهم بدليل<sup>3</sup>  
وإن كان ثاراً لم يصبه غليل  
بأبيض من ماء الحديد صقيل

[جرثومة العنزي يعير العدیل]

وقال أبو اليقطان : كان العدیل هجا جرثومة العنزي الجلاني فقال فيه :

أهاجي بني جلالن إذ لم يكن لها  
حديث ولا في الأولين قديم  
فأجابه جرثومة فقال :

[من الطويل]

وإن امرأً يهجو الكرام ولم ينل  
أطلب في جلالن وترأ ترومه  
من الثار إلا دابعاً للثيم  
وفاتك بالأوتار شر غريم<sup>4</sup>

[العدیل يهرب من الحجاج]

قالوا : واستعدى مولى دابع على العدیل الحجاج بن يوسف ، وطالبه بالقود فيه ، فهرب العدیل من الحجاج إلى بلد الروم ، فلمّا صار إلى بلد الروم ، لجأ إلى قيصر ، فأمنه ، فقال في الحجاج :

[من الطويل]

أخوف بالحجاج حتى كأنما  
يحرك عظم في الفؤاد مهيض

1 ل : فودى .

2 الحقب : الخزام يلي حقو البعير .

3 أك في ل : آل .

4 في هذا البيت إقواء .

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لأيدي الناعجات عريض<sup>1</sup>  
مهائم أشباه كأن سربها ملاء بأيدي الراحضات رحيض<sup>2</sup>

فبلغ شعره الحجاج ، فكتب إلى قيصر : لتبعثن به أو لأغزيتك جيشاً يكون أوله عندك  
وأخره عندي ، فبعث به قيصر إلى الحجاج ، فقال له الحجاج لما أدخل عليه : أنت القائل :  
ودون يد الحجاج من أن تنالني . . . فكيف رأيت الله أمكن منك ؟ قال : بل أنا القائل أيها  
الأمير :

[من الطويل]

فلو كنت في سلمى أجاً وشعابها لكان لحجاج علي سبيل<sup>3</sup>  
خليل أمير المؤمنين وسيفه لكل إمام مصطفى و خليل<sup>3</sup>  
بنى قبة الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعد الضلال رسول<sup>3</sup>  
فخلّى سبيله ، وتحمل دية داغ في ماله .

[الحجاج يعفو عن العديل]

أخبرني عمي وحيب بن نصر المهلب ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال :  
حدثني محمد بن منصور بن عطية الغنوي قال : أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن  
أبي عثمان البقري قال : خرج العديل بن الفرخ يريد الحجاج ، فلما صار ببابه حجه  
الحاجب ، فوثب عليه العديل ، وقال : إنه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر  
مني ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجب الكلام ، فأحفظه ، وانصرف العديل عن باب  
الحجاج إلى يزيد بن المهلب ، فلما دخل إليه أنشأ يقول :

[من الطويل]

لئن أرتج الحجاج بالخل باباه فباب الفتى الأزدي بالعرف يفتح<sup>3</sup>  
فتى لا يبالي الدهر ما قل ماله إذا جعلت أيدي المكارم تسنح<sup>3</sup>  
يداه يذ بالعرف تنهب ما حوت وأخرى على الأعداء تسطو وتعرج<sup>3</sup>  
إذا ما أتاه المرملون تيقنوا بأن الغنى فيهم وشيكاً سيسرح<sup>3</sup>  
أقام على العافين حراساً باباه يُنادونهم والحُرُّ بالحرّ يفرح<sup>3</sup>  
هلموا إلى سيب الأمير وعرفه فإن عطياه على الناس تنفع<sup>3</sup>

1 الناعجات : السارعات .

2 الراحضات : الغاسلات . والرحيض : المغسول .

3 المرملون : من نفذ زادهم .

وليس كعلاجٍ من ثمودَ بكفٍّ من الجودِ والمعروفِ جذم مطوَّحٌ  
فقال له يزيدُ : عرَّضْتَ بنا وَخاطَرْتَ بدمِك ، وبالله لا يصلُّ إليك وأنتَ في حَيْرِي ،  
فأمر له بخمسين ألف درهم ، وحمله على أفراس ، وقال له : الحقُّ بعلِياء نجد ، واحذر أن  
تعلقك حبالُ الحجاج أو تحتجِّنك محاجنُه ، وابعث إليَّ في كلِّ عام ، فلك عليَّ مثلُ هذا ،  
فارتحل . وبلغ الحجاجُ خبره ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العديلَ ، ففاته ، وقال لما  
نجا :

ودونَ يدِ الحجاجِ من أن تنالني بساطُ لأيدي الناعجاتِ عريضُ  
قال : ثم ظفِّر به الحجاجُ بعد ذلك ، فقال : إيه ، أنشدني قولكَ :

ودون يد الحجاج من أن تنالني

فقال : لم أقل هذا أيُّها الأمير ، ولكنِّي قلت :

إذا ذكِرَ الحجاجُ أضمرتُ خيفةَ لها بين أحناء الضلوع نفيضُ  
فتبسّم الحجاجُ ، وقال : أولى لك ! وعفا عنه ، وفرض له .

[سادات بكر يشفعون له عند الحجاج]

وقال أبو عمرو الشيباني : لما لجَّ الحجاج في طلب العديل لفظته الأرض ، ونبا به كلُّ مكان  
هربَ إليه ، فأتى بكر بن وائل ، وهم يومئذ بادُّون جميعٌ ، منهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو  
يشكر ، فشكا إليهم أمره ، وقال لهم : أنا مقتول ، أفتسلمونني ، هكذا وأنتم أعزُّ العرب ؟ قالوا :  
لا والله ، ولكنَّ الحجاج لا يُراغم ، ونحن نستوهبُك منه ، فإن أجابنا فقد كُفيت ، وأن حادنا في  
أمرِكَ منعناك ، وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا . فأقام فيهم ، واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى  
الحجاج ، فقالوا له : أيُّها الأمير ، إنَّا قد جنَّينا جميعاً عليك جناية لا يُغفر مثلُها ، وها نحن قد  
استسلمنا ، وألقينا بأيدينا إليك ، فإمّا وهبت فأهل ذلك أنت ، وإمّا عاقبت ، فكنتَ المسلَّطَ الملكَ  
العاذل . فتبسّم ، وقال : قد عفوت عن كلِّ جرمٍ إلّا جرْمَ الفاسق العديل ، فقاموا على أرجلهم ،  
فقالوا : مثلك أيُّها الأمير لا يستثنى على أهل طاعته وأوليائه في شيء فإن رأيت ألاَّ تذكرَ مِنك  
باستثناء ، وأن تهبَ لنا العديل في أوَّل من تهب ! قال : قد فعلت فهاتوه قبَّحه الله ، فأتوه به ، فلمَّا  
مثل بين يديه أنشأ يقول :

فلو كنتُ في سلمى أجاً وشعابها	لكان لحجَّاجٍ عليَّ دليلُ
بنى قُبةَ الإسلامِ حتى كأنَّما	هدى الناسَ من بعد الضلال رسولُ
إذا جار حُكْمُ الناسِ ألجأ حكمه	إلى الله قاضٍ بالكتاب عقولُ

خليلٌ أمير المؤمنين وسيفه  
به نصر الله الخليفة منهم  
ويروى : به نصر الله الإمام عليهم .

فأنت كسيف الله في الأرض خالد  
وجازيت أصحاب البلاء بلاءهم  
وصلت بمراق العراق فأصبحت  
أقام الواحد مقام الجمع في قوله : ذلول .

أذقت الحمام ابني عباد فأصبحوا  
ومن قطري نلت ذاك وحوله  
إذا ما أتت باب ابن يوسف ناقتي  
وما خفت شيئاً غير ربي وحده  
تري الثقلين الجن والأنس أصبحا  
على طاعة الحجاج حين يقول

فقال له الحجاج : أولى لك فقد نجوت ! وفرض له ، وأعطاه عطاءه ، فقال يمدح سائر  
قبائل وائل ، ويذكر دفعها عنه ، ويفتخر بها : [من الكامل]

صرم الغواني واستراح عواذلي  
وذكرت يوم لوى عتيق نسوة  
لعب النعيم بهن في أظلاله  
حتى لبسن زمان عيش غافل

### صوت

يأخذن زيتهن أحسن ما ترى  
وإذا خبان خدودهن أريننا  
ورمينني لا يسترن بجنة  
يلبسن أريّة الشباب لأهلها  
وإذا عطّلن فهن غير عواطل  
حدق المها وأجدن سهم القاتل  
إلا الصبا وعلمن أين مقاتلي  
ويجرن باطلهن جبل الباطل

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لابن سريج ثاني ثقليل بالوسطى من رواية يحيى المكي ،  
وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي إلى ابن سريج .

1 مراق : قرية كثيرة النخيل والآبار والعيون على طريق البصرة .

2 في هذا البيت إقواء .



بَيْضُ الْأُنُوقِ كَأَنَّهُنَّ ، وَمَنْ يُرِدْ  
 زَعَمَ الْغَوَايِ أَنْ جَهْلَكَ قَدْ صَحَا  
 وَرَأَاكَ أَهْلَكَ مِنْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ  
 وَإِذَا تَطَاوَلَتِ الْجِبَالُ رَأَيْتَنَا  
 وَإِذَا سَأَلْتَ ابْنِي نَزَارَ بَيْنَنَا  
 حَدِيثَ بَنِي بَكْرٍ عَلَيَّ وَفِيهِمْ  
 خَطَرُوا وَرَائِي بِالْقَنَا وَتَجَمَّعَتْ  
 إِنَّ الْفَوَارِسَ مِنْ لُجَيْمٍ لَمْ تَزَلْ  
 مَتَعَّمٍ بِالتَّاجِ يَسْجُدُ حَوْلَهُ  
 أَوْ رَهْطَ حَنْظَلَةَ الَّذِينَ رَمَاحُهُمْ  
 قَوْمٌ إِذَا شَهَرُوا السُّيُوفَ رَأَوْا لَهَا  
 وَلَئِنْ فَخَرْتُ بِهِمْ لَمَثَلِ قَدِيمِهِمْ  
 أَوْلَادُ ثَعْلَبَةَ الَّذِينَ لِثْلِهِمْ  
 وَلَمْ جَدُّ يَشْكُرْ سُورَةَ عَادِيَّةَ  
 وَيَسُو الْقِدَارِ إِذَا عَدَدَتْ صَنِيعَهُمْ  
 وَإِذَا فَخَرْتُ بِتَغْلِبِ ابْنَةِ وَائِلٍ  
 وَلِتَغْلِبَ الْغُلَبَاءُ عَزَّ بَيْنُ  
 تَسْطُو عَلَى النُّعْمَانِ وَابْنِ مُحَرَّقٍ  
 بِالْمَقْرِبَاتِ يَتَنَحَّلُ حَوْلَ رَحَالِهِمْ  
 أَوْلَادُ أَعُوجَ وَالصَّرِيحَ كَأَنَّهَا  
 يَلْقِظْنَ بَعْدَ أَزْوَاجِهِنَّ عَلَى الشَّبَا

بَيْضُ الْأُنُوقِ فَوَكَّرُهَا بِمَعَاقِلِ<sup>1</sup>  
 وَسَوَادَ رَأْسِكَ فَضْلُ شَيْبٍ شَامِلٍ  
 وَلَقَدْ تَكُونُ مَعَ الشَّبَابِ الْخَاذِلِ  
 بِفُرُوعِ أَرْعَنَ فَوْقَهَا مُتَطَاوِلِ  
 مَجْدِي وَمَنْزِلَتِي مِنْ ابْنِي وَائِلٍ  
 كُلُّ الْمَكَارِمِ وَالْعَدِيدِ الْكَامِلِ  
 مِنْهُمْ قِبَائِلُ أُرْدِفُوا بِقِبَائِلِ  
 فِيهِمْ مَهَابَةٌ كُلُّ أَبْيَضٍ نَاعِلِ<sup>2</sup>  
 مِنْ آلِ هَوْدَةَ لِلْمَكَارِمِ حَامِلِ<sup>3</sup>  
 سُمُ الْفَوَارِسِ حَتْفَ مَوْتٍ عَاجِلِ<sup>4</sup>  
 حَقًّا وَلَمْ يَكُ سَلْهُا لِلْبَاطِلِ  
 بَسَطَ الْمُفَاخِرَ لِلْسَّانِ الْقَائِلِ  
 حِلْمَ الْحَلِيمِ وَرَدُّ جَهْلِ الْجَاهِلِ  
 وَأَبَ إِذَا ذَكَرُوهُ لَيْسَ بِخَامِلِ  
 وَضَحَ الْقَدِيمُ لَهُمْ بِكُلِّ مُحَافِلِ  
 فَادْكِرْ مَكَارِمَ مِنْ نَدَى وَشَمَائِلِ<sup>5</sup>  
 عَادِيَّةَ وَيَزِيدَ فَوْقَ الْكَاهِلِ  
 وَابْنِي قَطَامَ بَعِزَّةٍ وَتَنَاوِلِ  
 كَالْقَدِّ بَعْدَ أَجَلَةٍ وَصَوَاهِلِ  
 عِقْبَانُ يَوْمِ دُجْنَةٍ وَمَخَايِلِ  
 عَلَقَ الشَّكِيمُ بِالسُّنِّ وَجَحَافِلِ

1 الأنوق : العقاب .

2 لجيم بن صعب بن وائل .

3 آل هودّة: هو هودّة بن علي وفد على كسرى وقاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ .

4 رهط : من بني عجل بن لجم .

5 وشمائيل في ل : وأوائل .

قوم هم قتلوا ابن هند عَنوة  
منهم أبو حَنْشٍ وكان بكفّه  
ومُهلهل الشعراء إن فَخروا به  
حَجَبَ المنيّة دون واحد أمّه  
وأبى مجالسة السَّبابِ فلم يكن  
حتى أجازَ على الملوِك فلم يدعْ  
في كلِّ حيٍّ للهُذيل ورهطه  
بيضُ كرائمُ رَدَهْن لَعَنوة  
أبناؤهنَّ من الهُذيل ورهطه  
وقفا الرّماح تَدوُدُ ورَدَ الناهل  
ريُّ السَّنانِ وريُّ صدرِ العامل  
وندى كُليبٍ عند فضلِ النائل  
من أن تبيتَ وصدرُها بيلابل  
يُستَبُّ مجلسُه وحقُّ النازل  
حَرِباً ولا صَعراً لرأس مائل  
نَعَم وأخذُ كريمة بتناول  
أسلُ القنا وأخذنَ غيرَ أرامل  
مثلُ الملوِك وعشنَ غيرَ عوامل

وقال أبو عمرو أيضاً: قال العُدَيْلُ لرجل من موالِي الحِجْلاج كان وجَّهه في جيش إلى بني عِجْلٍ يطلب العُدَيْلَ حين هرب منه ، فلم يقدر عليه ، فاستاق إليه ، وأحرق بيته ، وسلب امرأته وبناته وأخذ حُلَيْهَن ، فدخل العُدَيْلُ يوماً على الحِجْلاج ومولاه هذا بين يديه واقف فتعلَّق بشوْبه وأقبل عليه وأنشأ يقول :

### صوت

سلبتَ بناتي حَلِيهَن فلم تدعْ  
سيوراً ولا طَوْقاً على النحر مُذهبا  
هكذا في الشعر : سلبتَ بناتي ، والغناء فيه : سلبتَ الجوّاري حَلِيهَن .  
وما عزَّ في الآذان حتى كأنما  
تُعْطَل بالبيض الأوانسَ رربا  
عواطلُ إلا أن ترى بخدودها  
قسامةٌ عِتق أو بنانا مُخَضَّباً<sup>1</sup>  
فككتَ البرينَ عن خِدال كأنها  
براديُّ غيلٍ ماؤه قد تنضَّباً<sup>2</sup>  
من الدُّر والياقوتِ عن كلِّ حرّة  
ترى سِمَطَها بين الجُمانِ مُثَقَّباً  
دَعَوْنَ أُميرَ المؤمنين فلم يُجب  
دعاءً ولم يُسمعنَ أمّاً ولا أبا

غَنَّى في الأوّل والرابع من هذه الأبيات أحمدُ النّصيبِيّ الهَمْدانيّ ثانٍ ثَقيل بالسَّبابَة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيهما ثَقيل أوّل بالسَّبابَة والوسطى ، نسبه ابن المكيّ إلى عبد الرحيم الدَّفَاف ، ونسبه الهشاميّ إلى عبد الله بن العباس .

1 قسامة : حُسْن .

2 البرين : جمع برة ، وهي هنا الخلخال . خِدال : السوق الغليظة المستديرة جمع خدلة . برادي : جمع بردي ، وهو نبات مائي يكتب على أوراقه إذا جفّت . غيل : أجمة وكل واد فيه ماء .

[رجل من قوم العدیل يُصيب أنف عجلي]

وقال أبو عمرو الشيباني : أصاب رجل من رهط العدیل من بني العكابة أنف رجل من بني عجل يقال له جبار ، فقال العدیل في ذلك ، وكان عدوًّا له : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ جَبَّارًا وَمَارِنًا أَنْفَهُ      لَهُ ثُلَمٌ يَهُوَيْنُ أَنْ يَتَنَحَّأَ  
وَنَحْنُ جَدَعْنَا أَنْفَهُ فَكَأَنَّمَا      يَرَى النَّاسَ أَعْدَاءَ إِذَا هُوَ أَطْلَعَا  
كُلُّوْا أَنْفَ جَبَّارٍ بِكَارًا فَإِنَّمَا      تَرْكَنَاهُ عَنْ فَرْطٍ مِنَ الشَّرِّ أَجْدَعَا<sup>1</sup>  
مَعَاقِدُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَنُوفُهُمْ      بِكَارًا وَثِييًّا تَرْكَبُ الْحَزْنَ ظُلْمَا

قال : وكان رجل من رهط العدیل أيضاً ضرب يد وكيع أحد بني الطاغية ، وهما يشربان ، فقطعها وافترقا ، ثم هرب العدیل وأبوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأول يفخر بقطع أنف جبار ويد وكيع ؛ لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفه ويده دون من فعل بهم ، فلجأ إلى عُفَيْر بن جُبَيْر بن هلال بن مرة بن عبد الله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جُشَم بن قيس بن عجل ، فقال العدیل في ذلك : [من الطويل]

تَرَكْتُ وَكِيْعًا بَعْدَمَا شَابَ رَأْسُهُ      أَشَلَّ الْيَمِينِ مُسْتَقِيمَ الْأَخَادِعِ  
فَشَرَّبَ بِهَا وَرَقَ الْإِفَالِ وَكُلَّ بِهَا      طَعَامَ الذَّلِيلِ وَانْجَحِرَ فِي الْمَخَادِعِ<sup>2</sup>

فَقَالَتْ بَنُو قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ لِلْفَرَخِ أَبِي الْعَدِيلِ : يَا فَرَخُ ، أَنْصَفَ قَوْمِكَ ، وَأَعْطَاهُمْ حَقَّهُمْ ، فَرَكَبَ إِلَيْهِمُ الْفَرَخُ ، وَمَعَهُ حَسَّانُ بْنُ وَقَّافٍ وَدِينَارُ (رَجُلَانِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ) فَأَسْرَتْهُ بَنُو الطَّاغِيَةِ ، وَانْتَزَعُوهُ مِنَ الرِّجْلَيْنِ ، وَتَوَجَّهُوا بِهِ نَحْوَ الْبَصْرَةِ ، فَرَجَعَ حَسَّانُ وَدِينَارُ إِلَى قَوْمِهِمَا مُسْتَنْفِرِينَ لَهُمْ ، فَرَكَبَ الْغَفِيرُ فِي طَلَبِ بَنِي الطَّاغِيَةِ ، فَأَدْرَكُوا مِنْهُمْ رَجُلًا فَأَسْرَوْهُ بَدَلَ الْفَرَخِ . ثُمَّ إِنَّ عُفَيْرًا لَحِقَ بِهِمْ ، فَاشْتَرَى مِنْهُمْ الْجِرَاحَةَ بِسَبْعِينَ بَعِيرًا ، وَأَخَذَ الْفَرَخَ مِنْهُمْ فَأَطْلَقَهُ ، فَقَالَ الْعَدِيلُ فِي ذَلِكَ :

مَا زَالَ فِي قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ لَجَارَهُمْ      عَلَى عَهْدِ ذِي الْقَرْنَيْنِ مُعْطٍ وَمَانِعُ  
هُمْ اسْتَنْقَدُوا حَسْبَانَ قَسْرًا وَأَنْتُمْ      لِغَامِ الْمَقَامِ وَالرِّمَاحِ شَوَارِعُ  
غَدَرْتُمْ بِدِينَارٍ وَحَسَّانٍ غَدْرَةً      وَبِالْفَرَخِ لَمَّا جَاءَكُمْ وَهُوَ طَائِعُ  
فَلَوْلَا بَنُو قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ لَأَصْبَحَتْ      عَلَيَّ شَدَادًا قَبْضُهُنَّ الْأَصْبَاعُ

1 بكاراً : مبادرين مسرعين .

2 وُرُق : جمع أورق وهو ما في لونه بياض إلى سواد . الإفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .

أَلَا تَسْأَلُونَ ابْنَ الْمُشْتَمِّ عَنْهُمْ جُعَامَةً وَالْجِرَانُ وَافٍ وَظَالِعٌ<sup>1</sup>  
وَأَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : قَالَ أَبُو النَّجْمِ  
لِلْعَدِيلِ بْنِ الْفَرَخِ : أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ :

فَإِنْ تَكُ مِنْ شِيْبَانٍ أُمِّي فَإِنِّي لِأَبْيَضُ عَجَلِيَّ عَرِيضُ الْمَفَارِقِ ؟  
أَكُنْتَ شَاكًّا فِي نَسَبِكَ حِينَ قُلْتَ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ الْعَدِيلُ : أَفَشَكَكَتْ فِي نَفْسِكَ أَوْ شَعْرَكَ  
حِينَ قُلْتَ :

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشَعْرِي شَعْرِي لِلَّهِ دَرِّي مَا يُجِنُّ صَدْرِي  
فَأَمْسَكَ أَبُو النَّجْمِ وَاسْتَحْيَا .

[العديل ومالك بن مسمع]

أَخْبَرَنِي أَبُو دُكَلْفٍ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ عَنْ الْعُتْبِيِّ قَالَ : حَمَلُ  
زِيَادًا إِلَى مَعَاوِيَةَ مَالًا مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَقَفَزَتْ تَمِيمُ وَالْأَزْدُ وَرَبِيعَةُ إِلَى مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ ، وَكَانَتْ  
رَبِيعَةُ مَجْتَمِعَةً عَلَيْهِ كَاجْتِمَاعِهَا عَلَى كُلِّبٍ فِي حَيَاتِهِ ، وَاسْتَغَاثُوا بِهِ ، وَقَالُوا : يَحْمِلُ الْمَالُ ،  
وَنَبَقِيَ بِلَا عَطَاءٍ . فَرَكِبَ مَالِكُ فِي رَبِيعَةٍ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَلَحِقَ بِالْمَالِ فَرَدَّهُ ، وَضَرَبَ  
فُسْطَاطًا بِالْمَرِيدِ ، وَأَنْفَقَ الْمَالُ فِي النَّاسِ حَتَّى وَقَاهُمْ عَطَاءَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ شَتِمَ الْآنَ أَنْ  
تَحْمِلُوا فَاحْمِلُوا ، فَمَا رَاجِعُهُ زِيَادُ فِي ذَلِكَ بِحَرْفٍ ، فَلَمَّا وَلِيَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْبَصْرَةَ  
جَمَعَ مَالًا ؛ لِيَحْمِلَهُ إِلَى أَبِيهِ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى مَالِكٍ ، وَاسْتَغَاثُوا بِهِ ، فَفَعَلَ مِثْلَ فَعْلِهِ زِيَادُ ،  
فَقَالَ الْعَدِيلُ بْنُ الْفَرَخِ فِي ذَلِكَ :

إِذَا مَا خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظَلَامَةٍ  
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ  
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

أَمِنْ مَنْزِلٍ مِنْ أُمَّ سَكُنَ عَشِيَّةً  
مَعِيَ كُلِّ مُسْتَرْخِي الْإِزَارِ كَأَنَّهُ  
يُزْجِي الْمَطَايَا لَا يَبَالِي كَلَالَهَا  
ظَلَلْتُ بِهِ أَبْكِي حَزِينًا مُفَكِّرًا  
إِذَا مَا مَشَى مِنْ جَنٍّ غِيلٍ وَعَبَقْرًا<sup>3</sup>  
مُقَلَّصَةً خَوْصًا مِنَ الْأَيْنِ ضَمْرًا<sup>4</sup>

1 ظالع : غامر في مشيه .

2 حَسْرَ : جمع حاسر : مَنْ لَا سِلَاحَ مَعَهُ .

3 غِيلٍ وَعَبَقْرٍ : مَكَانَانِ تَزْعَمُ الْعَرَبُ أَنَّهُمَا مِنْ مَسَاكِنِ الْجَنِّ .

4 خَوْصٌ : جَمْعُ خَوْصَاءٍ أَيْ غَاثِرَةِ الْعَيْنِ . مِنَ الْأَيْنِ : مِنَ النَّعْبِ .

[العديل شاعر بكر بن وائل]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ قال : حدّثني عبدة بن عصمة بن معبد القيسيّ قال : حدّثني جدّي أبو أميّ فراس بن خنيدف ، عن أبيه ، عن جدّه عليّ بن شقيق قال : لقيتُ الفرزدقَ منصرفه عن بكر بن وائل ؛ فقلت له : يا أبا فراس : مَنْ شاعرُ بكر بن وائل ممّن خلفته خلفك ؟ قال : أميم بن عجل ، يعني العديل بن الفرخ ، على أنّه ضائع الشعر ، سروق للبيوت . [مدح أو غريض]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ عن إسحاق عن الهيثم بن عديّ ، عن حماد الراوية قال : لما قدِمَ الحجاجُ العراقَ قال العديلُ بن الفرخ :

دعوا الجُبْنَ يا أهلَ العراقِ فإنّما	يُهان ويُسيّ كلٌّ مَنْ لا يقاتلُ
لقد جرّدَ الحجاجُ للحقّ سيفه	ألا فاستقيموا لا يميلنّ مائلُ
وخافوه حتى القومُ بينَ ضلوعهم	كَنَزُوا القطا ضُمَّتْ عليه الجبائلُ
وأصبح كالبازي يقلّبُ طرفه	على مرّقب والطيرُ منه دواحلُ <sup>1</sup>

قال : فقال الحجاج ، وقد بَلَغَتْه ، لأصحابه : ما تقولون ؟ قالوا : نقول : إنّهُ مدحك ، فقال : كلاًّ ولكنّه حرّضَ عليّ أهلَ العراق ، وأمر بطلبه فهرب وقال : [من الطويل]

أخوَفُ بالحجاج حتى كأنّما	يُحرّكُ عَظْمٌ في الفؤادِ مَهيضُ
ودون يدِ الحجاج من أن تنالني	بساطُ لأيدي الناعمات عَريضُ
مهائمُه أشباه كأنّ سرائها	ملاءَ بأيدي الغاسلات رَحِيضُ

فجد الحجاجُ في طلبه حتى ضاقتْ عليه الأرضُ ، فأَتى واسطاً ، وتنكّر ، وأخذ رُفْعَةً بيده ، ودخل إلى الحجاج في أصحاب المظالم ، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول :

هأنذا ضاقتْ بي الأرض كلّها	إليك وقد جوّلتُ كلّ مكانٍ
فلو كنتُ في ثهلان أو شعبتي أجاً	لخلتُك إلا أن تصدّ تراني <sup>2</sup>

فقال له الحجاج : العديلُ أنتَ ؟ قال : نعم ، أيها الأمير ، فلوّى قضيبَ خيزران كان في يده في عنقه ، وجعل يقول : إيه .

1 دواحل : معناها فارة ومستتره .

2 ثهلان : جبل لنمير .

## بساط لأبي الناعم عريض

فقال : لا بساط إلا عفوك ، قال : اذهب حيث شئت .

[حوشب بن يزيد وعكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فiras قال : حدثنا العُمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عباس قال : كان حوشب بن يزيد بن الحُوَيث بن رُويم الشيباني وعكرمة بن ربعي البكري ، يتنازعان الشرف ، ويتباريان في إطعام الطعام ونحر الجزر في عسكر مصعب ، وكاد حوشب يغلب عكرمة لسعة يده . قال : وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بُجَير ، قال : وهو زوج أم شعبة الفقيه ، بسفائن دقيق ، فأتاه عكرمة فقال له : الله الله في ، قد كاد حوشب أن يستعليني ، ويغلبني بماله ، فيُعني هذا الدقيق بتأخير ، ولك فيه مثلُ ثمنه ربحاً ، فقال : خذه ، وأعطاه إياه ، فدفعه إلى قومه ، وفرقه بينهم ، وأمرهم بعجنه كله ، فعجنوه كله ، ثم جاء بالعجين كله ، فجمعه في هوة عظيمة ، وأمر به ، فغطى بالحشيش ، وجاء برمكة<sup>1</sup> ، فقربوها إلى فرس حوشب ، حتى طلبها ، وأفلت ، ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعها ، حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس ، حتى تورط في العجين وبقي فيه جميعاً ، وخرج قوم عكرمة يصيحون في العسكر : يا معشر المسلمين ، أدركو فرس حوشب ، فقد غرق في خميرة عكرمة ، فخرج الناس تعجباً من ذلك أن تكون خميرة يغرق فيها فرس ، فلم يبق في العسكر أحد إلا ركب ينظر ، وجاؤوا إلى الفرس ، وهو غريق في العجين ما يبين منه إلا رأسه وعنقه ، فما أخرج إلا بالعمد والحبال ، وغلب عليه عكرمة ، وافتضح حوشب ، فقال العدیل بن الفرخ يمدحهما ، ويفخر بهما : [من الطويل]

وعكرمة الفياض فينا وحوشب هما فتيا الناس اللذا لم يغمرا

هما فتيا الناس اللذا لم ينلها رئيس ولا الأقيال من آل حميرا

قال : وفي حوشب يقول الشاعر :

وأجود بالمال من حاتم<sup>2</sup> وأنحر للجزر من حوشب

[شعر العدیل بين السهل والفحل]

أخبرني محمد بن يونس الكاتب قال : حدثنا أحمد بن عبيد ، عن الأصمعي قال : دخلت على الرشيد يوماً وهو محموم فقال : أنشدني يا أصمعي شعراً مليحاً ، فقلت :

1 الرمكة : الفرس والبرذونة تتخذ للنسل .

2 مثل : ورد في الدرر الفاخرة 107/1 ، 126 وجمهرة الأمثال للعسكري 298/1 و336 ، ومجمع الأمثال

للميداني 182/1 ، والمستقصى للزمخشري 53/1 .

أرصيناً فحلاً تُريده يا أمير المؤمنين أم شجياً سهلاً ؟ فقال : بل عزلاً بين الفحل والسَّهل ،  
فأنشدته للعدیل بن الفرخ العجلّي :

صحا عن طلاب البيض قبل مشيه      وراجع غَضَّ الطرف فهو خفيضُ  
كأنّي لم أرع الصبأ و يروفتي      من الحيّ أخوى المقتلين غَضِيضُ  
دعاني له يوماً هوى فأجابه      فؤادٌ إذا يلقي المراضَ مريضُ  
مُستأنساتٍ بالحديث كأنّه      تهلّل غُرّاً برُفهنّ وميضُ

فقال لي : أعدّها ، فما زلتُ أكررها عليه ، حتى حفظها .

[موته وثناء الفرزدق له]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدّثني الرياشيّ ، عن محمد بن سلّام ، قال : قدّم  
العدیل بن الفرخ البصرة ، ومدح مالك بن مسمع الجحدريّ ، فوصله ، فأقام بالبصرة ،  
واستطابها ، وكان مقيماً عند مالك ، فلم يزل بها إلى أن مات ، وكان يُنادم الفرزدق ،  
ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه :

وما وكدتُ مثلَ العدیل حليلاً      قديماً ولا مستحدثاتُ الحلائلِ  
وما زال مذ شدّتُ يداه إزاره      به تفتح الأبواب بكرُ بن وائلِ

### صوت

[من المنسرح]

إنّي بذهماء عزّ ما أجدُ      عاودني من حبابها زُؤدُ  
عاودني حبّها وقد شحطتُ      صرفُ نواها فإنّني كميدُ

قوله : «عزّ ما أجد» أي : شدّ ما أجد . وحبّابها : حبّها ، وهو واحد ليس بجمع ؛  
والزُؤدُ : الفرع والذعر . وصرفُ نواها : الوجه الذي تصرفُ إليه قصدها إذا نات .  
والكميد : شدة الحزن .

الشعر لصخر الغيّ الهذليّ ، هكذا ذكر الأصمعيّ وأبو عمرو الشيبانيّ ، وذكر إسحاق  
عن أبي عبيدة أنّه رأى جماعة من شعراء هذيل يختلفون في هذه القصيدة فيرونها بعضهم  
لصخر الغيّ ، ويرونها بعضهم لعمرو ذي الكلب ، وأنّ الهيثم بن عديّ حدّثه عن حماد الراوية  
أنّها لعمرو ذي الكلب .

## الفهرس

- [ 460 ] - أخبار خالد بن عبد الله . . . . . 5
- [ 461 ] - أخبار صخر بن الجعد ونسبه . . . . . 25
- [ 462 ] - أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه . . . . . 33
- [ 463 ] - ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ ونسب أميمة بنت عبد شمس . . . . . 40
- [ 464 ] - أخبار مالك ونسبه . . . . . 55
- [ 465 ] - أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه . . . . . 58
- [ 466 ] - أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه . . . . . 70
- [ 467 ] - أخبار أوس ونسب اليهود النازلين بيثرب وأخبارهم . . . . . 77
- [ 468 ] - أخبار السموع ونسبه . . . . . 84
- [ 469 ] - سعية بن غريض . . . . . 87
- [ 470 ] - أخبار الربيع بن أبي الحقيق . . . . . 91
- [ 471 ] - أخبار كعب ونسبه ومقتله . . . . . 94
- [ 472 ] - أخبار بيهس ونسبه . . . . . 96
- [ 473 ] - أخبار الكميت بن معروف ونسبه . . . . . 101
- [ 474 ] - أخبار يعلى ونسبه . . . . . 104
- [ 475 ] - نسب جواس وخبره في هذا الشعر . . . . . 106
- [ 476 ] - أخبار إبراهيم بن المدثر . . . . . 110
- [ 477 ] - ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب . . . . . 131
- [ 478 ] - أخبار محبوب . . . . . 140
- [ 479 ] - أخبار عبيدة الطنبورية . . . . . 144
- [ 480 ] - أخبار أحمد بن صدقة . . . . . 149
- [ 481 ] - أخبار الحارث بن ولة . . . . . 152
- [ 482 ] - أخبار علي بن عبد الله بن جعفر ونسبه . . . . . 156
- [ 483 ] - أخبار عتبية ونسبه . . . . . 159
- [ 484 ] - أخبار عبد الله بن العجلان . . . . . 166
- [ 485 ] - أخبار المؤمل ونسبه . . . . . 172
- [ 486 ] - أخبار أبي مالك ونسبه . . . . . 178
- [ 487 ] - أخبار أبي دهمان . . . . . 180
- [ 488 ] - أخبار أبي حزابة ونسبه . . . . . 182
- [ 489 ] - نسب زهير السكب وأخباره . . . . . 189
- [ 490 ] - أخبار النمر بن تولب ونسبه . . . . . 191
- [ 491 ] - أخبار مالك بن الربيع ونسبه . . . . . 201
- [ 492 ] - أخبار عبد بني الحسحاس . . . . . 213
- [ 493 ] - متمم العبدى والجويرية . . . . . 220
- [ 494 ] - أخبار حسان بن تبع . . . . . 222
- [ 495 ] - أخبار مرة بن محكان . . . . . 225
- [ 496 ] - أخبار العديل ونسبه . . . . . 228